AL-HADAF
الهدف
كل الحقيقة للجماهير
فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية

المقاومة مفتاح العودة

الهدف - فلسطين - العدد 59 (1533) - أيار / مايو 2024

الافتتاحية

فلسطين ..

بين مرارة النكبة وإرادة الثبات والصمود والمقاومة

النكبة التي حلت بالشعب الفلسطيني والأمة العربية، هي جريمة اغتصاب فلسطين وطرد أهلها، هي الاحتلال والاقتلاع والتهجير، هي المؤامرة الإمبريالية الصهيونية الكبرى عبر وعد بلفور المشؤوم، وتثبيت مخططات سايكس بيكو، وتجزئة الوطن العربي وتفتيته إلى دول ودويلات بهدف إضعافه وإخضاعه للهيمنة تابعاً متخلفاً مرتبطاً خدمةً للمصالح الإمبريالية في المنطقة والعالم، كما جاء في مؤتمر لندن 1905-1907.

هي نكبة الاغتصاب واحتجاز التطور لقطع الطريق على استعادة أمجاد العرب وتاريخهم الحضاري، ومنع إقامة دولتهم الواحدة الموحدة القوية التي تجاوزت حدودها في زمنٍ ما المحيطات والبحار.
هي بناء قاعدة صهيونية بدوافع استعمارية للسيطرة والتحكم بمستقبل القارات عبر الاستحواذ على ما تختزنه منطقتنا من ثروات، ولما فيها من أسواق، وما يتخللها من ممرات بحرية وبرية استراتيجية.
الغاية استعمارية والرواية صهيونية تلمودية، ولو تطلب ذلك احتلال ما هو أبعد من فلسطين أي «من الفرات إلى النيل» هي أعقد العقد بعد الحرب العالمية الثانية لأنها محمية الغرب الاستعماري وعلى رأسه أمريكا، صُنعت لتكون أبدية مستعصية الحل، طالما المنظومة الإمبريالية تتغول وتتحكم بالعالم، وتحدد اتجاه تطوره ومستقبله.
إن ما حصل لفلسطين والوطن العربي من اغتصاب واحتلال وسيطرة على يد المشروع الصهيو – إمبريالي، وبشكل خاص الصهيو- أمريكي موضوعياً يخلق نقيضه القومي والسياسي والثقافي والاجتماعي والحضاري والتاريخي.
في الوقت الذي تتوالى فيه جرائم الكيان الصهيوني المدعوم من أكبر دول الغرب الإمبريالي، تتنامى نضالات الشعب الفلسطيني وشعوب المنطقة ضد الاستعمار، وضد الكيان الصهيوني، وضد التطبيع وضد القواعد الأميركية، وضد الأدوات المحلية والأنظمة التابعة بأشكال مختلفة.
ويتميّز الشعب الفلسطيني بصدارة المشهد المقاوم منذ ما يزيد عن المئة عام، إدراكاً منه بأن الصراع وجودي والتناقض تناحري ولا يعالج ولا يحل بالتسويات، هو يعي أن تحرير فلسطين يعني تحرير الأمة العربية من التبعية والسيطرة الإمبريالية، لذلك فقضية فلسطين هي قضية تحرر وطني وقومي بالدرجة الأولى، وأيضاً هي قضية تحررية عالمية بالنسبة لقوى الحرية والتقدم في العالم.
إن ما وصلت إليه مخططات العدو الصهيوني من إلغاء لوجود الشعب الفلسطيني، ولوجود أرض فلسطين، وما يقوم به من تهويد ومصادرة أراضي واستيطان وقتل واقتلاع وتدمير واعتقال وحرق وتصفية للقضية الفلسطينية، وما صلت إليه الدموية الصهيونية من وحشية، وحرب الإبادة والتطهير العرقي، وتدمير كل مقومات الحياة، يعني أن الصراع وصل إلى ذروته.
إن السابع من أكتوبر (طوفان الأقصى)، وما تحقق بها من انهيار لفرق عسكرية صهيونية بأكملها وما حدث من خلخلة للكيان الصهيوني، ما هو إلا بروفةُ الانتصار الكبير المتمثل بالتحرير والعودة، وما العدوان الصهيوني المستمر على مدار ثمانية أشهر بكل أنواع السلاح وأبشع أشكال الجريمة والإبادة، ما هو إلا تعبيرٌ عن حجم الخطر الذي أدركه العدو المتمثل بالخطر الوجودي، أي مستقبل ووجود الكيان، ولأنه مشروع استعماري تداعت كل دول الغرب الإمبريالي لحمايته وتثبيته، باعتباره ركيزة استراتيجية لاستمرار السيطرة على المنطقة والعالم.
إن صمود الشعب الفلسطيني وثباته على أرضه، يتعزز بالوحدة والمقاومة، وثبات ودعم دول وأطراف محور المقاومة وأحرار العالم، وإن ما يحصل من تغييرات كبرى على مستوى العالم باتجاه تعدد الأقطاب سيوفر فرصة كبيرة للشعب الفلسطيني وشعوب المنطقة للتخلص من هذا الكيان العنصري الفاشي ومن السيطرة الإمبريالية. إن إرادة الحق والصمود والمقاومة هي الأبقى، فلسطين ستنتصر والكيان المصطنع إلى زوال.

أسسها عام 1969
الأديب الشهيد
غسـان كنفـاني

رئيس التحرير
كايد الغول

مدير التحرير
سامي يوسف

سكرتير التحرير
محمد أبو شريفة

المدير الفني
منـير الرفـاعي

تصميم الغلاف
جيفارا عبد القادر

المقالات المنشورة
لا تتطابق بالضرورة
مع وجهة نظرة الهدف

يسمح بالنقل وإعادة النشر
بشرط الإشارة إلى المصدر

عناوين مجلة وبوابة الهدف:
غزة ـ بجوار مشفى الشفاء ـ
نهاية شارع الثورة
الهاتف: 082836472

البريد الإلكتروني:
hadafmagazinenew@gmail.com

تصدر عن
دائرة الإعلام المركزي
الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

AL-HADAF
الهدف
كل الحقيقة للجماهير
فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية

العدد رقم (59) - (1533) - أيار (مايو) 2024

الافتتاحية		
• فلسطين .. بين مرارة النكبة وإرادة الثبات والصمود والمقاومة		2
حوار الهدف		
• حوار مع المناضل صلاح صلاح	حوار: محمد أبو شريفة	4
ملف العدد:76 عاماً على النكبة في السردية الفلسطينية الجديدة		
• مواقف وآراء		8
في الهدف		
• الأطفال يولدون مرتين..	أحمد علي هلال	21
شؤون فلسطينية		
• النكبة مصطلح لوصف حالة قائمة منذ 76 عاماً	حاتم إستنبولي	22
• حق العودة لا عودة عنه	علي بدوان	24
• بين النكبة وطوفان الأقصى بداية التحرير	د. انتصار الدنّان	26
• 76 عاماً على اغتصاب فلسطين	فهمي الكتوت	27
• هي نكبة لا تنتهي	سهيل كيوان	28
• المقاومة والصمود يثبتان تمظهرات مرحلة تاريخية جديدة	وسام الرفيدي	30
• القدس في ميزان محكمة العدل الدولية	د. عبد الحسين شعبان	32
شؤون عربية		
• السردية الفلسطينية الجديدة	د. لبيب قمحاوي	39
• عودة الوهج لسردية مفتاح العودة	رضي الموسوي	40
• طوفان الأقصى وإعادة السيطرة على مصطلح النكبة	عابد الزريعي	42
• في ذكرى تقسيم فلسطين: لا خيار لنا سوى الانتصار	سامي سماحة	43
شؤون دولية		
• إبادة غزة وانتفاضة الجامعات الأمريكية	صياح عزام	45
• من يكتب التاريخ؟	رامي حاج سعيد	47
• طوفان الأقصى وإعادة السيطرة على مصطلح النكبة	أيهم السهلي	49
• نظرة مبسطة حول مشروع الحزام والطريق	د. أدهم شقير	51
• الحركة الاحتجاجية الطلابية الأمريكية تواجه القمع الشامل	عبد النبي العكري	53
شؤون العدو		
• في ذكرى تقسيم فلسطين: لا خيار لنا سوى الانتصار	علي زيدان	55
• إبادة غزة وانتفاضة الجامعات الأمريكية	عليان عليان	57
• غزة عرت الرواية الإسرائيلية وأسقطت ورقة التوت الأخيرة لها أمام شعوب العالم	وديع أبو هاني	61
• في مناهضة التطبيع التربوي	معاذ الجحري	63
شؤون ثقافية		
• زلازل من المخمل	عبد النور الهنداوي	65
• صمود الوعي ووعي الصمود	د. ثائر يوسف عودة	67

حوار مع المناضل

صلاح صلاح

أحد مؤسسي حركة القوميين العرب والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

◄ أجرى الحوار: محمد أبوشريفة
سكرتير تحرير مجلة الهدف

في خضم الأحداث المتلاحقة التي تجري على أرض فلسطين وفي ظل العدوان الهمجي الذي يشنه كيان الاحتلال على قطاع غزة منذ أكثر من 8 أشهر متواصلة تجلت أحداث كثيرة ومتسارعة طالت البعد الوطني والإقليمي والدولي لذلك أجرت الهدف حوارا مع القائد الوطني والقومي صلاح صلاح تناولت العديد من الجوانب خاصة أنه عاصر مراحل مختلفة من عمر القضية الفلسطينية وهو شاهد على الكثير من المفاصل الحساسة والتي تطلبت التصدي للعديد من المؤامرات التي طالت القضية وأهلها، ونحن أمام الذكرى السادسة والسبعين من عمر النكبة المستمرة كانت إجاباته متصلة بعمق تلك القضية من بداياتها وحتى اللحظة الراهنة.

■ السؤال الأول: حدثنا عن آخر الأشهر والأسابيع قبل الاجتياح الصهيوني لمنطقتكم وعموم فلسطين؟ ما المشاهد التي تستحضرها ذاكرتك في قريتك المهجرة «غوير أبو شوشة»؟

أول مشهد في ذاكرتي هو موقع قريتنا غوير أبو شوشة، على رأس تلة ضمن منطقة صخرية، في أسفلها امتداد واسع لسهل الغور تُزرع فيه كل أنواع الخضروات على موسمين (صيفي، شتوي) يتميز إنتاجها بجودتهِ في الأسواق التجارية في مدينتي طبريا وحيفا.

على جانبي القرية نهران، (وادي ربطية، ووادي عمود) نتقاسم مياه أحدهما مع مستوطنة يهودية (كنوصر). مع تطور الأوضاع وضع المستوطنون لغمّاً في السِكر الذي يوزع المياه بيننا وبينهم انفجر بابن عمي (علي) مما سبب له تشوهاً في وجههِ وعينيهِ وإحدى يديهِ.

كنا أطفالاً نراقب بفضول اللقاءات بين شباب القرية واجتماعات وجهائها لتنظيم الحراسات الليلية وتحديد مواقع الدفاع في حال تعرضت القرية لهجومٍ من القوات الصهيونية. تصاعدت وتيرةُ الحراك والتوتر بين أبناء القرية بعد أن تعرضت إلى هجومٍ في فجرِ أحد الأيام وتمكن الشباب من صدّه، وتدل آثار الدماء بأن المهاجمين تكبدوا خسائر اضطرتهم إلى الانسحاب مهزومين وبخسائر محدودة من القرية، وذلك رغمَ قلة الأسلحة التي يمتلكونها ونوعيتها القديمة. كانت فرحة ممزوجة بالقلق من هجوم آخر سيقوم به الصهاينة بقوةٍ أكبر في حين لا يستطيع سكان القرية الحصول على أسلحةٍ إضافية، ويشكون من قلة الذخيرة الموجودة لديهم.

■ السؤال الثاني: ماذا تحدثنا عن نكبة وتهجير أهل القرية عام 1948؟

بعد نتائج المعركة الأولى المخاوف من احتمالات معركة قادمة غير متكافئة قرر وجهاء القرية إخلائها من النساء والأطفال والمسنين وإبقاء الشباب للدفاع عنها، لكن بعد فترة قصيرة سقطت مدينة طبريا التي تبعد حوالي عشرة كيلو متر إلى الجنوب من القرية ثم تلاها سقوط مدينة صفد التي تقع إلى الشمال من قريتنا فقد الشباب الأمل بإمكانية الحصول على أي دعم، لذا قرروا المغادرة والالتحاق بعوائلهم الذين ذهبوا باتجاهين: الأول اختار منطقة البطيحة الطرف الآخر من بحيرة طبريا في الأراضي السورية. والثاني ذهب إلى قرية الرامة على أمل العودة القريبة بعد أن تدخل الجيوش العربية لتحرير فلسطين.

خاب الأمل، احتلت القوات الصهيونية مساحات واسعة من فلسطين بما فيها الرامة، وأجبرتنا على المغادرة إلى لبنان مشياً على الأقدام. وكان تدفق موجات الهجرة التي تلتقي على الحدود اللبنانية المنظر المأساوي الأبشع الذي لا يغيب عن ذاكرتي، منظر الأطفال يبكون من الجوع والعطش، منظر الشباب المتعب يحمل على ظهره والده أو والدته والعجوز، منظر النساء ينّحبنَ مصيرهنّ المجهول، والكل منهك وقلقٌ من غدٍ لا يعرفه.

■ السؤال الثالث: هل قام العدو بمجازر في قريتكم والمناطق المجاورة؟

لا أتذكر قيام العدو بمجازر في منطقتنا والمناطق المجاورة.

■ السؤال الرابع: هل ساهمت أنت شخصيا بحمل السلاح والقتال؟

ربما بسبب عمري (12 سنة) في عام النكبة 48 وقلة السلاح لم أساهم في القتال كان عمي يملك بارودة إنكليزية يدرب عليها كل أفراد العائلة الذكور.

■ السؤال الخامس: كيف تعاملتم مع جيش الانقاذ؟ وهل وصلتكم مؤازرات شعبية عربية؟

كنت أسمعُ حديثاً عن جيش الإنقاذ وجيوش عربية ستصل لتحرير فلسطين لكننا لم نر أحداً منها في قريتنا. بعد النكبة صرتُ أسمع كثيراً من كبار السن يتهكمون على الجيوش العربية ويتهمونها بأنها «دخلت فلسطين لتسليمها مفروشة للحركة الصهيونية».

■ السؤال السادس: حدثنا عن بواكير نشاطك التنظيمي والسياسي متى وأين؟ ومن هي الشخصيات القيادية آنذاك التي استحوذت على اهتمامك؟

دخلنا الأراضي اللبنانية عبر بنت جبيل ومنها إلى النبطية ثم نقلتنا شاحنات إلى مخيم عين الحلوة – صيدا.

في هذا المخيم، وفي ظروف مأساوية كنا نعيشها أصرّ عمي (وهو شيخ عشيرتنا) أن يحافظ على نفس التقليد الذي كان يمارسه في فلسطين، فتمكن من الحصول على خيمةٍ مميزةٍ بكبر حجمِها من وكالة الغوث يستعملها « ديوان « يلتقي به يومياً من الصباح إلى المساء زعماء ومخاتير القرى الموجودة في المخيم. يتبادلون أطراف الحديث عن

> **الصمود البطولي في غزة يسجل فخراً وعزة لكل الشعب الفلسطيني، وأعاد طرح القضية الفلسطينية ببعدها الوطني باعتبارها قضية تحرر وطني تستهدف إنهاء وجود هذا الكيان العنصري الاستيطاني الغاصب**

الانتفاضات والثورات في فلسطين، عن ظلم وقسوة الانتداب البريطاني المنحاز « لليهود « في فلسطين، عن استهتارنا « باليهود « وكيف أننا لم نأخذ بالجدّية استهدافهم اغتصاب أرضنا وإخراجنا منها، عن خيانات الأنظمة العربية في كل مراحل النضال الفلسطيني، ولا يفوتهم حتى الحديث عن القرى في فلسطين والتقاليد والعادات المشتركة أو المختلفة بينها... إلخ.

«الديوان» الذي كنتُ أحرص أن أجالس روادهُ يومياً كان مدرسةً تعلمت فيها الكثير عن القضية الفلسطينية ونضال شعبها من خلال شهادات حيّة ممن عاشوها انتصارات أجهضتها الأنظمة العربية بالهزيمة الكبرى « النكبة».

في أحد الأيام في أواخر العام 1952 حضر مداومٌ على «الديوان» ومعه نشرةً صغيرة الحجم بحدود 8 صفحات «الثأر» وطلب مني قراءتها على الحضور. لاحظت تأثيرها المعنوي والنفسي وتأثيرها في رفع المعنويات، أعجبتني وانتقلت من قارئٍ لكل عدد إلى موزع لها. بعد فترة من القيام بمهمة التوزيع دعاني الشخص الذي كان يسلمني النشرة. إلى اجتماع خاص وسري جداً، وجدت نفسي مع مجموعة من اربعه شباب وأنا خامسهم، الفلسطيني الوحيد، على رأسها الأخ محسن إبراهيم، وفي بيته يحدثنا عن مبادرةٍ يقوم بها شباب من عدة دول عربية لتشكيل حركة قومية تناضل لتحرير فلسطين باعتبار ذلك مسؤولية الشعب العربي بعد أن خذلتنا الأنظمة العربية. واستمر بالتعريف في هذه المجموعة باسم «الشباب القوميين العرب» وتصورها بشروط العضوية الصارمة، والضوابط السرية، والطموحات الكبيرة التي تسعى لتحقيقها وشعاراتها المتلازمة « وحدة تحرر ثأر «. واقترح في نهاية حديثه أن نكون نحن المجتمعون النواة الأولى لتأسيس فرع لشباب القوميين العرب في الجنوب بما في ذلك المخيمات الفلسطينية.

حصل هذا في الأشهر الأولى في العام 1953، وبعد ذلك بعام أي 1954 نلتقي في نفس المكان مع الأخ جورج حبش الذي أتى لزيارة المجموعة والتعرف عليها ونشاطاتها وتزويدها بمزيد من المعلومات عن النواة المؤسسة ورؤيتها المستقبلية وبرامجها وما تتوقعه من صعوبات.

الدرس الأساسي الأهم الذي أضعه برسم الشباب اليوم هو كيف استطاعت مجموعة من ستة شباب وهم على مقاعد الدراسة أن ينجحوا في تأسيس حركة سياسية « حركة القوميين العرب « يكون لها دوراً فاعلاً في إحداث الكثير من التغيرات التي حصلت في المنطقة العربية بما فيها ثورة تنتصر بطرد الاحتلال البريطاني من جنوب اليمن، ودعم أو المشاركة في أكثر من ثورة عربية. وقيادة التصدي لكل المشاريع التي كانت تقودها الولايات المتحدة لتصفية القضية الفلسطينية في الخمسينات وتساهمُ في التأسيس لانطلاقة الثورة الفلسطينية المستمرة منذ منتصف الستينات بما في ذلك الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

■ السؤال السابع: ما أوجه الشبه بين نكبة 1948 والعدوان الصهيوني على غزة؟

منذ النكبة عام 1948 وما تلاها من حروب في أعوام 1956، 1967، 1982، وحتى الانتفاضتين (1987، و2000) يسعى العدو بكل وحشية لتحقيق هدفٍ أساسي وهو إبادة الشعب الفلسطيني، ودفعٍ من يتبقى منه إلى الهجرة واللجوء أو الخضوع الكامل لهيمنة الكيان الصهيوني.

وقد مارس العدو الإسرائيلي نفس الأسلوب الإجرامي بارتكاب المجازر ونسف البيوت وتدمير البنى التحتية مما يؤكد طبيعته ككيان عنصري، عرقي، يمثل نموذجاً جديداً للنازيةِ بأبشع صورها.

■ السؤال الثامن: هل تعتقد أن أساليب التهجير والتشريد ذاتها التي ما زالت يعتمدها الكيان الصهيوني رغم مرور 76 عاما على النكبة؟

نعم، العدو الإسرائيلي نفذ نفس الأساليب التي تعتمد بالأساس على ممارسة العنف بأقسى صوره؛ سبق ودمر أكثر من 50 قرية في الحرب 1948، وارتكب مجازر عدة كدير ياسين والطنطورة وكفر قاسم، وبقر بطون النساء، وقصف مدرسة أطفال في بحر البقر، ودمر مخيمات كاملة في اجتياح لبنان عام 1982 وقصف ملاجئ على من فيها من نساء وأطفال في أكثر من مخيم، ودمر الضاحية في جنوب بيروت وعدة قرى في جنوب لبنان كما لا يزال يفعل حتى اليوم.

هذا هو العدو الإسرائيلي، هذه هي طبيعتهُ التي تغذيها خلفيه دينية وأيديولوجية تجعل إمكانية التعايش معه مستحيلاً والرهان خاسر مسبقاً على أي حل سياسي، وواهم من يأمل بقراراتٍ دوليةٍ تردعهُ.

■ السؤال التاسع: برأيك ماذا حقق صمود أهل غزة لعموم اللاجئين الفلسطينيين؟

الصمود البطولي في غزة يسجل فخراً وعزة لكل الشعب الفلسطيني، وأعاد طرح القضية الفلسطينية ببعدها الوطني باعتبارها قضية تحرر وطني تستهدف إنهاء وجود هذا الكيان العنصري الاستيطاني الغاصب، وفي سياق ذلك يتم حل مشكلة اللاجئين بالتحرير والمقاومة وليس من خلال القرارات الدولية؛ كما يطالب البعض على مدى 76 عام بتنفيذ قرار رقم 194، ولا بالرهان على اتفاقات أوسلو التي أدت إلى وثيقة عبد ربه _ بيلين التي تقدم للاجئين الفلسطينيين خيارات أخرى غير حق العودة.

الصمود الأسطوري لأهلنا صحح بوصلة النضال للشعب الفلسطيني في مختلف مواقعه؛ بأنه نضال يستهدف تحرير فلسطين من بحرها إلى نهرها، وبذلك يعود اللاجئون إلى وطنهم، ونستعيد القدس ونصلي في المسجد الأقصى وكنيسة القيامة، وتتوحد الضفة مع غزة، ويسترجع سكان منطقة 1948هويتهم الفلسطينية.

■ السؤال العاشر: هناك سيناريوهات ظهرت أخيرا تشير إلى مخطط تهجيري وقمعي تعد له سلطات الاحتلال لاجتثاث كل فلسطيني في غزة ما هو استعداد الجهات الرسمية والمؤسسات الفلسطينية لمثل هذا السيناريو؟

قيل الكثير وكتبَ الأكثر عن سيناريوهات لتهجير سكان القطاع إلى سيناء والمنافي وذلك لاعتبارين أساسيين:

الأول؛ تمشياً مع سياسة الكيان الصهيوني بتفريغ كل أرض فلسطين من سكانها الأصليين، لذا يتوقع المحللون بأنه إذا نجح العدو بإنجاز هذه الخطوة في قطاع غزة سيتبعها بعمل مماثلٍ في الضفة الغربية التي تتصاعد فيها المقاومة يوماً بعد يوم.

الثاني؛ ما يقال عن ثروةٍ هائلة من النفط والغاز تختزنها شواطئ قطاع غزة تغري الولايات المتحدة لأن تقوم بهذه المغامرة المجنونة مع العدو الإسرائيلي.

المقاومة البطولية للمقاتلين الشجعان في القطاع وصمود شعبنا الأسطوري وقدرته الهائلة على الاحتمال والصبر هو الذي سيفشل هذه السيناريوهات الخبيثة.

■ السؤال الحادي عشر: هناك مخاوف كثيرة من نكبة جديدة يتعرض لها من بقي من الفلسطينيين في الداخل المحتل 48، أو في الضفة الفلسطينية كيف تنظرون إلى هذه المخاوف؟

لا شك أنها مخاوف مطروحة، لكن نجاح العدو بتحقيقها يتوقف على ما ستنتهي إليه الحرب في غزة، ثقتي جارفة بحتمية الانتصار لشعبنا ومقاومتنا في غزة لأن العدو الإسرائيلي في أسوأ حالاته منذ النكبة؛ حكومة متناقضة متصارعة، جيش مفكك، مجتمع منقسم على ذاته، يفقد يومياً من رصيده في التحالفات العالمية، بدأت المحافل الدولية تتجرأ باتخاذ قرارات دولية تدينه وتتخذ عقوبات ضد بعض قادتهِ السياسيين والعسكريين.. إلخ.

في حين تزداد المقاومة عناداً عنفواناً وتوقع خسائر فادحة بقوات العدو، وحاضنة شعبيه رائعة بثباتها وصبرها واستعداداتها للعطاء، ومحور مقاومة يشارك بثقل واقتدار مع المقاومة الفلسطينية لتعزيز قدرتها وتمكينها من تحقيق الانتصار، وحراك جماهيري غير مسبوق على الصعيد الرأي العام العالمي خاصه في الجامعات وعلى الأخص الجامعات الأمريكية. وأخذ يكتشف حقيقة هذا الكيان العنصري النموذج الجديد للنازية، ويردد مع الفلسطينيين وحلفائهم في سابقةٍ غير مألوفة «التحرير من البحر إلى النهر».

■ السؤال الثاني عشر: على ضوء المتغيرات العاصفة عالميا وعربيا وفلسطينيا ماذا يمكن لنا أن نقول في الذكرى السادسة والسبعين للنكبة خاصة أن معركة طوفان الاقصى مستمرة وتدخل شهرها الثامن؟ أما زال هناك ما يمكن قوله للشعب الفلسطيني؟

في الذكرى السادسة والسبعون للنكبة، وفي نهاية مقابلتي مع مجلة الهدف أود التأكيد على قناعتي أن معركة طوفان الأقصى وضعتنا أمام مرحلة جديدة تجعلني أثق بأن، معركة تحرير فلسطين أصبحت على الأبواب كان التحرير بالنسبة لجيلي أمل، طموح، هدف استراتيجي سيتحقق حتماً لكنه بعيد المنال يستجوب أجيالاً. لكنني في ظل المعطيات والتي أشرت لبعضها في معرض أجوبتي على الأسئلة أعلاه أرى أن التحرير أصبح أمراً ممكناً، قابلاً للتحقيق على المدى المرئي وليس البعيد. هذا الهدف الاستراتيجي لتحرير فلسطين لم تعد مهمة الفلسطينيين وحدهم، بل هو مهمة يشارك النضال لتحقيقها كل أطراف محور المقاومة، ويعلنون ذلك جهاراً نهاراً.

ربما لا يتحقق ذلك دفعة واحدة قد يسبقه تحرير مزارع شبعا وتلال كفر شوبا اللبنانية والجولان السورية وهذا سيضع الكيان الصهيوني في مأزقه الاستراتيجي الذي يهيئ لأنهاء وجوده. تفاؤل أكثر من اللزوم؟ ربما، لكنه تفاؤل مشروع وله حيثياته.

لوحة بعنوان «فلسطين حرة» مشاركة من الفنان النمساوي Richard Langthaler

ملف

76 عاماً على النكبة

في السردية الفلسطينية الحديدة:

استحقاق التاريخ والهوية

في مساءلة السردية الفلسطينية في اللحظة الفارقة، لحظة -طوفان الأقصى- تنطوي غير إجابة على التصورات الناجزة لسردية فلسطينية، تبدع في إزاحة السردية الإسرائيلية، في زمن مختلف وبعد مضي ستة وسبعين عاماً على النكبة واستعاراتها الفادحة في الثقافة والفكر والاجتماع، ولعل من كثافة المؤشرات لتقدم وعلو كعب السردية الفلسطينية، هو بدء العد العكسي، لانكفاء المشروع الصهيوني ونهايته الحتمية، والأدل أيضاً أن ملحمة طوفان الأقصى رسخت حقائقها العنيدة، على مستوى التاريخ والجغرافيا، والبنى المفاهيمية؛ وثمة ما هو جدير بالانتباه أيضاً هو شيوع التفاؤل بحتمية النصر، التي أعادت اكتشاف فلسطين في الوعي، والمعنى ليصبح طليقاً، ليس فقط في التبشير بإنديات السردية المضادة التي قامت على كي الوعي، وتفكيكه، بل في المتغيرات الدراماتيكية، على غير مستوى. في الملف ثمة العديد من المقاربات المتنوعة في أشكال استجابتها لما تصادى بفعل النكبة، في الفكر والسياسية والإبداع وتكامل حراكهما إنتاجاً ومعنى، وتكامل خطاب معرفي يسهم في التقريب لماهية السردية الفلسطينية ومكوناتها وديناميتها وشرطها التاريخي الجديد الذي يقوض سرديات الوهم والتفكك.

كيف استطاع الشعب الفلسطيني أن يحافظ على القضية الفلسطينية بعد ستة وسبعين عاماً من النكبة رغم كل المجازر ومحاولات الشطب والتذويب والأسرلة من قبل الكيان الصهيوني؟ السردية الفلسطينية الآن تتقدم على مستوى الرأي العام العالمي على حساب السردية الإسرائيلية بعد ستة وسبعين عاماً من النكبة إلى ماذا يؤشر هذا التقدم؟

د. ماهر الطاهر

مسؤول العلاقات الدولية في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

بعد اقتراف جريمة من أبشع جرائم العصر الحديث، عندما تم إقتلاع الشعب الفلسطيني من أرضه وديارة عام 1948 وتشريده في كل أصقاع الأرض في جريمة من أبشع جرائم العصر الحديث اقترفتها العصابات الصهيونية بدعم من الاستعمار الغربي الذي زرع هذا الكيان الصهيوني في قلب الوطن العربي لعرقلة تقدمه ووحدته ومن أجل تحقيق مصالح استعمارية لصالح القوى الامبريالية في المنطقة.

الشعب الفلسطيني قاوم هذه الغزوة الصهيونية على امتداد عقود طويلة وقام بالعشرات من الانتفاضات والثورات في مواجهة هذا المشروع الصهيوني الغاشم وقدم شعبنا التضحيات والشهداء على مدى 76 عاماً، لم يستكين ولم يتراجع وصمم على مواجهة هذا المشروع الصهيوني المدعوم من كل القوى الاستعمارية في المنطقة ورغم المجازر ومحاولات الشطب والتذويب والأسرلة من قبل الكيان الصهيوني إلا أن شعبنا الفلسطيني تشبث بأرضه وترابه وحقوقه. وكان قادة الكيان الصهيوني يقولون ويتوهمون بأن الكبار سيموتون والصغار سينسون. الكبار ماتوا، وهذه هي سنة الحياة ولكن الصغار هم الذين يقاومون اليوم هذا المشروع الصهيوني بكل قوة وبكل صلابة وكنا جيلاً بعد جيل، كل جيل فلسطيني جديد يكون أكثر تشبثاً وأكثر استعداداً للتضحية والعطاء إلى أن وصلنا لمعركة طوفان الأقصى في يوم 7 أكتوبر عام 2023، هذه الملحمة التاريخية التي كان لها نتائج وانعكاسات كبيرة على كل المستويات الفلسطينية والعربية والإقليمية والدولية وكان لها انعكاسات عميقة على صعيد الكيان الصهيوني الذي اهتزت هيبته واتضح أن ما سمي بالجيش الذي لا يقهر تمكن شعبنا الفلسطيني العظيم من قهره وإيقاع الخسائر به وتمكنا عبر ملحمة طوفان الأقصى أن نقاتل لمدة ثمانية شهور حتى الآن في مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية التي تقود هذه الحرب العدوانية، وفي مواجهة جيش صهيوني يمتلك كل أسلحة القتل والدمار وأحدث وسائل التكنولوجيا، تمكن قطاع غزة الباسل المحاصر منذ 18 عاما أن يصمد وأن يقاتل وأذهل كل أحرار العالم ولم يُرفَعْ علم في العالم كما رفِعَ علم فلسطين عند كل شعوب الأرض وتمكن شعبنا من أن يضع القضية الفلسطينية على أجندة كل الأحرار، وعلى أجندة كل الشرفاء في العالم.

واليوم، اتضح تماما زيف السردية الصهيونية واتضح أن السردية الفلسطينية بدأت تفرض نفسها عند كل الشعوب، لذلك نجد هذه المظاهرات في الجامعات الأمريكية وفي الجامعات الأوروبية، حيث اتضحت الحقائق وخاصة عند أجيال الشباب الذين بدأوا يدركون زيف السردية الصهيونية التي ادعت بأنها هي الديمقراطية الوحيدة في المنطقة، وأيضا تم كشف حقيقية الولايات المتحدة الأمريكية التي تدعي الديمقراطية وحقوق الإنسان عندما قامت بقمع المتظاهرين واعتقال الآلاف منهم من أجل طمس الحقيقة الفلسطينية لكن قضيتنا اليوم، ونتيجة لتضحيات شعبنا العظيم، وللدماء الغالية التي سالت على أرض قطاع غزة، وفي الضفة الفلسطينية والقدس، وفي عموم أرض فلسطين، دماء أطفالنا ونسائنا وشيوخنا، هذه الدماء تصنع فجر جديد، وتوجه ضربة قاتلة للسردية الصهيونية بعد 76 عاما من النكبة، هذا يؤشر بأن الشعب الفلسطيني يسير على طريق الانتصار وعلى طريق إزالة هذا الكيان الغاشم الذي يتداعى اليوم أمام ضربات ثوارنا، وأمام صمود شعبنا، ولذلك هذا المشروع الصهيوني بدأ يعاني مأزق تاريخي شديد التعقيد، وبدأ في حالة هبوط، وفي حالة تراجع أمام شعبنا الفلسطيني المتشبث بأرضه وترابه وحقوقه، وبالتالي فإن الأمور تسير لصالح الشعب الفلسطيني، ونحن نسير في طريق الانتصار، فقد ولى عهد الهزائم، وولى عهد تزييف الحقائق، نسير بالاتجاه الصحيح نحو تحرير كل ذرة من تراب أرضنا من بحرها إلى نهرها، وسيأتي اليوم الذي يرتفع فيه علم فلسطين فوق القدس، عاصمتنا الأبدية.

المناضلة ليلى خالد

النكبة ليست ذكرى لكنها حياة للشعب الفلسطيني.. لذلك كل يوم ونحن ما زلنا لاجئين هو نكبة، وتزداد وتتكثف هذه الذكرى في معركة طوفان الأقصى والتي تعد أقسى أنواع الإبادة الجماعية البشرية لشعبنا التي مورست عليه النكبة منذ العام 1917، عندما أعلن وعد بلفور من أجل إقامة وطن قومي لليهود، وحصل ذلك في العام 1948، وما زلنا نحصد تداعيات هذه النكبة في المخيمات والمنافي، وأقول المنافي لأنها فعلا هي منافي عن فلسطين، لكن تأتي هذه الذكرى في ظل هذه الظروف الصعبة ليؤكد شعبنا على الصمود في غزة والضفة وليقول للجميع هذه أرضنا ولن نرحل عنها واننا هنا صامدون ولن نكرر النكبة مرة أخرى.

أدعوا الجميع أينما كانوا في كل أنحاء العالم أن يصححوا التاريخ معنا، فالعالم الان أصبح واعيا لحقائق الصراع ولذلك سننتصر وسنعود.

أحمد أبو السعود
الأسير المحرر
عضو المكتب السياسي
للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

شعبنا الفلسطيني تضرب جذوره منذ وجد الإنسان على الأرض الفلسطينية أي قبل الديانات بألاف السنين، وحفر تاريخاً وتراثاً وأعراف وتقاليد على مر العصور، ونجح في التصدي لكل الاحتلالات التي طمعت بأرضنا، وها هو الاحتلال الرابع والعشرين على أرض فلسطين ولن يستمر طويلا، لأن شعبنا لديه من الخبرات والصبر والقوة على اقتلاعه، وهذا لأن شعبنا مؤمن بعدالة مطلبه بالحرية، وينتمي للأرض انتماءً عميقاً يموت فيها ولا يتخلى عنها، وخير مثال ما يشهده العالم في غزة، حتى إن بعض الصهاينة يستغربون من قوة تمسكنا بالأرض، وشعبنا صنع العديد من الثورات وبات لديه مخزون من الخبرة في المقاومة والنضال والجهاد بهدف الحفاظ على الهوية والأرض والتاريخ والثقافة والوجود.

ما كان ممكناً للعالم أن ينقلب على الرواية الصهيونية لولا الصورة الفاضحة لحجم الإجرام الفاشي الصهيوني، وأيضاً حجم الصلابة والصمود لأبناء شعبنا، ورفضهم التهجير والاقتلاع، فانكشفت الحقيقة أمام العالم وبخاصة الجيل الصاعد جيل الشباب الذي ينبري لحمل الراية الفلسطينية وروايتها، وصولاً لنيل شعبنا الحرية.

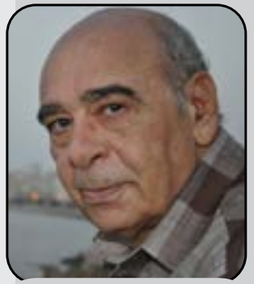

د.أحمد الخميسي
كاتب وقاص - مصر

تحافظ الشعوب على هوياتها بمسارات تاريخية مختلفة، لكن هوية الشعب الفلسطيني تخلقت وتقدست في غمرة كفاحه المستمر الذي لم يعرف التاريخ الحديث له مثيلا، وروى الشعب الفلسطيني هويته من نهر دماء لم تنقطع عبر قرن تقريبا، منذ وعد بلفور المشئوم في 1917 وظهور منظمات المقاومة «المنتدى العربي» وغيرها، مرورا بمحطات النضال الكبرى وكفاح الشيخ عز الدين القسام في الثلاثينيات، واندلاع الثورة الكبرى من 1936 حتى 1939 بدءا من يافا، وظهور حركة فتح في 1959، ثم الانتفاضة الأولى بدءا من عام 1987، والثانية من عام 2000 حتى 2005. ولا أرى في تاريخ الشعب الفلسطيني لحظة توقف فيها عن صيانة هويته، ولا لحظة التقط فيها أنفاسه، ولا لحظة ألقى فيها سلاحه، منذ النكبة 1948 حتى مجزرة غزة في أكتوبر2023. إنها هوية من نار لا تكف عن الدفاع عن نفسها، وصيانة تاريخها، وأغانيها، وأساطيرها، كان تلك الهوية أصبحت رمزا للحرية. ولم يكن مستغربا بعد دخول مجزرة غزة في شهرها الثامن أن تهتز الضمائر الحية في كل بقعة من الأرض تناصر الشعب الفلسطيني، وتتغني بصموده، وبطولاته، حتى تبددت كل الأكاذيب التي أحاط بها الكيان نفسه، الأكاذيب التاريخية، والدينية، والسياسية، وظهر الوحش عاريا قبيحا على حقيقته أمام العالم أجمع. وقد دفع الشعب الفلسطيني ثمنا باهظا لتحطيم السردية الصهيونية، والارتقاء بسرديته، لكن هل بخل الفلسطينيون يوما بأعز ما لديهم في سبيل انتزاع حقهم؟ وتأكيد هويتهم؟. الآن أصبحت غزة، والسردية الفلسطينية ضميرا للعالم، واستطاع الشعب الفلسطيني أن يجعل من اسمه ومن بطولته قرينا للضمير مرادفا للحرية والصمود الأسطوري.

النكبة المستمرة!..

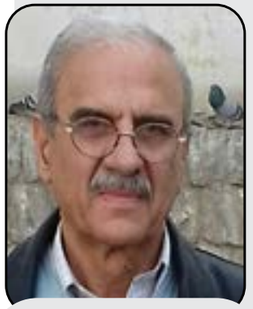

محمد صوان
كاتب سياسي فلسطيني - تركيا

يعلن المناضلون المقبلون على الشهادة وصاياهم .. وينادون بكل فلسطين: «كل فلسطين لنا»، فأفكارهم تتقاطع مع نهج الكفاح المسلح.. وهنا نستذكر وصية الشهيد باسل الأعرج: «إن لم تكن مشتبكاً، فلا منك ولا من ثقافتك»، والمثال الأكثر سطوعاً الشهيد غسان كنفاني الذي قال: «عندما يتعثر المشروع الوطني لا نستبدله بل نستبدل الأدوات الحاملة له».. وشكّل مع ناجي العلي وإدوارد سعيد رموزا ثورية للشعب الفلسطيني الذي أكد أنه كالعنقاء يخرج من تحت الركام ويعلن الحياة من جديد.. وقد أعادت عملية «طوفان الأقصى» لشعبنا روح الفداء التي تم تبديدها منذ اتفاق أوسلو عام 1993.. عادت الروح بسبب إجرام الصهيونية وحلفائها.. انتفض الشعب الفلسطيني دفاعاً عن وطنه وحقوقه ولإسقاط دعوات التعايش والتطبيع مع الاحتلال الاستيطاني الذي ينفي وجود الفلسطيني أصلاً، فالسلام والصهيونية لا يتعايشان!.. المقاومة عقيدة، والعقيدة لا يمكن إبادتها، كما لم تكن سبباً لجرائم الحركة الصهيونية عبر التاريخ!.. فهل يُعقل أن نحمّل المجاهد عزالدين القسام مسؤولية شهداء ثورة 1935-1936، أو نحمّل ياسر عرفات وجورج حبش مسؤولية شهداء صبرا وشاتيلا و تل الزعتر، والانتفاضتين الأولى والثانية؟!

لم يكن تاريخ الشعوب التي قاومت الاستعمار والعنصرية والاستبداد مكللاً بالورود، بل مخضباً بدماء الشهداء.. ومن يحمّل المقاومة مسؤولية ما حدث ويحدث، عليه أن يعيد النظر في سرديته.. فالفلسطيني لا يحتاج إلى تعريف هويته!. ولو قدّر لنا إعادة ثيودور هرتزل أو بن غوريون أحياء وسألناهم: **من هو الفلسطيني؟! لأجابوا دون تردد: هو الذي لا يرضى احتلالنا لأرضه!..**

حماية المرأة والشباب
للهوية الوطنية الفلسطينية!..

إلهام الحكيم - كاتبة فلسطينية - تركيا

ست وسبعون سنة مضت على النكبة الفلسطينية المتمثلة بالمجازر والقتل والتدمير والتهجير.. ورغم استمرار المحاولات الصهيونية بتذويب الهوية ونسف الانتماء الوطني لكننا مازلنا نلاحظ التمسك الفلسطيني بهويته وأرضه وحقوقه، وتلعب المرأة دوراً كبيراً بترسيخ ذلك الشعور لدى أطفالها منذ ولادتهم فترضعهم حليبها الفلسطيني الأصيل، ثم تربيهم على الزيت والزعتر والزيتون وكل نتاج البيارة والحاكورة المجبول بتراب الأرض المقدسة.. وما تنتجه البادية والنقب.. تطعمه سمك غزة وطبريا المطهّر بماء البحر والبحيرات.. تتراقص فوقها النوارس المجللة بالشمس الفلسطينية في الجهات الأربع والتي لا يمكن تغطيتها بالغربال.. تربيهم على التمسك بالمسرى والمهد وخليل الرحمن وأسوار عكا وكرمل حيفا وبرتقال يافا وآثار أريحا وصفد والجليل..

على غرار تربية الأم في الوطن أنشأت الأم اللاجئة أبناءها على حكاية الأرض والشعب تاريخاً وجغرافيا , تحدثت لهم عن أرض الآباء والأجداد المسلوبة , لكنها ممتدة الجذور إلى عمق التاريخ وسوف يرحل عنها الصهاينة العابرون كما غادرها من قبلهم المستعمرون الغابرون , ربتهم على الالتحاق بركب المقاومة في سبيل النصر والتحرير، لهذا ومع هدير «طوفان الأقصى» لاحظنا انخراط الشباب الفلسطيني به كلٌ من موقعه.. استخدموا وسائط التواصل الاجتماعي والإعلام الرقمي وتوجهوا لأقرانهم في العالم فنقلوا الحدث بالصوت والصورة.. استقطبوا الشباب من مختلف الشعوب الذين تفتحت عيونهم لحقيقة ما يحصل في فلسطين وما تتعرض له غزة من قصف وتدمير ومجازر وإبادة جماعية بحق المدنيين خاصة الأطفال والنساء والمسنين، زالت الغشاوة عن عيونهم حيث كان الصهاينة يلعبون دور الضحية.. انقلب السحر على الساحر وانطلقت المسيرات والفعاليات المطالبة بوقف العدوان على غزة ثم تحولت لاعتصامات جامعية مطالِبة بوقف التعاون الأكاديمي لجامعاتهم مع الجامعات الصهيونية.. بدأت في أمريكا ثم تدحرجت الكرة لتشمل مختلف الدول الغربية والعالم أجمع , استمر الضغط على حكوماتهم المنافقة والمنحازة للسردية الصهيونية التي استفردت بغسل الدماغ الغربية على مدى عشرات السنين لكن الطوفان طهّر تلك العقول وفتح الأنظار على الواقع الذي عرى الجلاد فوقفت الشعوب إلى جانب الحق والعدالة ولابد ستؤثر على حكوماتها وتحدث التغيير كما حصل في فيتنام وجنوب إفريقيا..

من النكبة إلى الطوفان..
سرديات الحرب كانت ومازالت حزءاً من المعركة

ولاء الشرقاوي - كاتبة وإعلامية فلسطينية - سورية

خلال سنوات الصراع مع العدو الصهيوني وعلى مدار سبعة وستين عاماً منذ النكبة وإلى يومنا هذا الذي مازالت فيه مجازر الاحتلال ماثلة أمامنا في قطاع غزة عقب عملية طوفان الأقصى وفي الضفة والقدس وحتى أراضينا المحتلة عام 1948، كانت رواية الأحداث اليومية والسرديات التاريخية جزءاً لا يتجزأ من المعركة مع الكيان الصهيوني.

فالعدو الذي أيقن مبكراً أهمية الدعاية وضرورة استخدام الإعلام وكل الوسائل المتاحة لإضفاء شرعية على احتلاله، أقام كيانه على مجموعة من الادعاءات لإعطاء نفسه الحق باغتصاب الأرض وتهجير أهلها منها، فكانت الكذبة الأولى لزعماء الحركة الصهيونية أن فلسطين «أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض».

الكذبة التي نُشرت لتشجيع اليهود على الهجرة إلى فلسطين من شتى أصقاع العالم، استندت إلى مقولات توراتية أثبتت جميع الدراسات التاريخية والتنقيبات الأثرية زيفها، ولكن استمر الترويج لها على مبدأ «جوزيف غوبلز» راعي الدعاية النازية «اكذب، ثم اكذب، ثم اكذب، حتى يصدقك الناس».

ولأن الأرض التي كان يقطنها حوالي مليون وأربعمائة ألف نسمة عام ثمانية وأربعين كانت بشعب حي، واجهت العصابات الصهيونية مقاومة شديدة خلال الاحداث المرافقة للنكبة، إلا أن عدم تكافئ القوى وعدم وجود دعم وإسناد عربي أو دولي حقيقي، أدى لتهجير حوالي ثمانمائة ألف فلسطيني عن أرضه، وتدمير حوالي خمسمائة قرية وارتقاء أكثر من خمسة عشر ألف شهيد في سبعين مجزرة ومذبحة.

هذه النكبة التي ألمت بالشعب الفلسطيني ويحيي الملايين ذكراها في الخامس عشر من أيار دولياً، يحتفل الإسرائيليون فيها بما أطلقوا عليه « عيد الاستقلال « في إخفاء متعمد لعمليات التطهير العرقي التي مهدت لإقامة الكيان الصهيوني، مع الترويج لإظهار اليهود كضحايا لاعتداءات الفلسطينيين ولمقولة بيع الفلسطينيين أراضيهم للجمعيات اليهودية، الكذبة التي مازال بعض العرب المطبعين يسعون لنشرها.

السردية الصهيونية التي بدأت منذ المراحل الأولى عند التنظير لفكرة إقامة وطن قومي لليهود لم تتوقف بإعلان بن غوريون قيام دولة إسرائيل في الرابع عشر من أيار عام 1948، وإنما باتت أحد الأسلحة التي تشهر في وجه الفلسطيني عند كل حدث لاسيما الأحداث المفصلية منها.

اليوم ونحن نقترب من أبواب العقد الثامن من عمر الصراع لابد من استثمار ما يحدث في قطاع غزة لإثبات صدق الرواية الفلسطينية وزيف السردية الصهيونية، فما ارتكبته آلة الإجرام الصهيونية بحق الفلسطينيين من مجازر وتطهير عرقي ومحاولات تهجير سابقاً نراها اليوم بالصوت والصورة ماثلة أمامنا على الشاشات رغم تجييش وسائل إعلامية ضخمة لتلفيق المزيد من التهم والأكاذيب كدعشنة المقاومة وادعاء قطع رؤوس الأطفال واستخدام المستشفيات في عملياتها.

إلا أنه ورغم سطوة وسائل الإعلام بشقيها التقليدي والحديث والتي تسيطر عليها إسرائيل بشكل مباشر أو غير مباشر لم تستطع هذه المرة اقناع الرأي العام العالمي بروايتها، فاضطرت مرات عدة لحذف ادعاءاتها بعد انتشار الفيديوهات والصور اليومية من أرض المعركة، وتوضيح أن ما يحدث أقل ما يقال عنه إنه إبادة جماعية، في انتصار للسردية الفلسطينية وإثبات الحق رغم طول سنوات الكذب.

د. سامي الشيخ محمد ـ باحث أكاديمي ـ سورية

بعد مرور ستة وسبعين سنة على نكبة فلسطين، أصبحت فلسطين في مركز محور الأحداث العالمية على كوكب الأرض، بفعل تنامي وتعاظم الفعل الفلسطيني في مواجهة الاحتلال الصهيوني المدعوم أمريكيا وأوروبيا له منذ إنشائه في فلسطين في العام ألف وتسعمئة وثمانية وأربعين إلى يومنا هذا.

فشعبنا الفلسطيني تضاعف عشرة أضعاف من حيث التعداد السكاني داخل فلسطين وفي بلدان الطوق واللجوء عما كان عليه قبل النكبة، وازدادت مقاومته فاعلية عبر العقود الثمانية من الصراع ومواجهة الاحتلال الصهيوني البغيض لفلسطين، فأصبحت أشد قوة وبسالة

في الذكرى السادسة والسبعين للنكبة:
فلسطين إلى أين؟

تلحق الخسائر الجسيمة بالمحتل بشكل أسطوري وفق خط بياني متصاعد زلزل الكيان الصهيوني المحتل وجوديا، آخرها طوفان الأقصى الذي ألحق هزيمة نكراء بالكيان المحتل على الصعد كافة، العسكرية والمعنوية، والسياسية والإعلامية، والأخلاقية، والعالمية، رغم فداحة تضحيات شعبنا في مواجهة العدوان الصهيوني، وارتكابه جرائم الإبادة والتطهير العرقي بحق أبناء شعبنا في غزة ومدن الضفة الغربية المحتلة وأحيائها ومخيمات اللجوء فيها.

اليوم وبعد ستة وسبعين عاما من النكبة، أصبحت الحركة الوطنية الفلسطينية متبلورة في غاية النضج السياسي المقاوم بفعل خبرتها التراكمية عبر العقود الثمانية من عمر المقاومة والصراع مع المحتل، وتضحيات شعبنا المتعاظمة يوما بعد يوم.

فلسطين اليوم في ضمير شعوب العالم الحر والمجتمعات الإنسانية قاطبة، عبر انكشاف الدور والوظيفة التواطئية للحكومات الغربية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية الداعمة الراعية للكيان الاحتلالي الصهيوني في فلسطين، والتعاطف مع مظلومية شعبنا المقاوم.

حورية الصفدي ـ كاتبة سورية

في حضرة العشق المقدس تنتشي أزاهير البطولة والاباء فوق أرض تطهرت بولادة المسيح ومعراج الرسول

في الذكرى السادسة والسبعين للنكبة ،ذكرى محاولة نزع فلسطين من جغرافيتها العربية ،ذكرى اسوأ سرقة بتاريخ الإنسانية، متزامنة بمحرقة ليس لها مثيل تقولها آلة القتل الصهيونية بحق غزة وشعبها. لقد استطاع الشعب الفلسطيني أن يحافظ على هويته بعد ستة وسبعين عاما لتقف إرادة البقاء شامخة بوجه العالم وتثبت حقها بالعيش فوق أرضها وتنتزع راي العالم عنوة .لتهب الشعوب الحية بالعالم بصرخة واحدة لوقف الموت وإعادة الحق لأصحابه وحرية فلسطين.

شعوب رفضت سياسة بلدانها المساندة للإرهاب وزينت معالم بلدانها... بأعلام فلسطين لتصرخ بوجه الظلم ناطقة بالحق والعدالة الإنسانية...

والعوامل التي ساعدت الشعب الفلسطيني على الحفاظ على هويته رغم كل هذا العداء والقتل كثيرة. واهمها الثقافة الفلسطينية المتأصلة بالفكر والوجدان.. ثقافة الموت أو النصر والتمسك بالهوية والثبات فوق الأرض بكرامة أو تحتها بكرامة.

والعامل المهم أيضاً الأدب الفلسطيني المقاوم الذي كان وما يزال يذكي جذوة الثورة في النفوس ويعد الجدار المنيع المساند للقضية حيث يتبارى الأدباء لتجسيد المأساة وفضح جرائم الاحتلال بحروفهم الباعثة على الأمل والبقاء. كذلك الفن التشكيلي العربي عامة ساهم بالحفاظ على الهوية ونشر فن يلون المأساة بالوان الدماء والحقيقة.

والعامل الأهم من عوامل ثبات الهوية.. عامل التاريخ الفلسطيني الحافل بالبطولات، المخضب بمآثر البقاء.. تاريخ أصيل يغص بحكايا الصبر والوجع وقوافل الشهداء.

هذا التاريخ المتجذر بأعماق كل فلسطيني داخل فلسطين وخارجها.. لن يندثر. سيشمخ عاليا بعطر الليمون والزيتون.

لن تخبو شعلة الثورة مهما حشد القتلة من دعم دولي وحاولوا تحويل القضية لقضية إغاثة لضياع الحق بالعودة وقتل روح النضال.. وإقامة دولة يهودية برعاية دولية ،وهذا محال .. لان طهارة فلسطين ستهزم أوهامهم.

سنبدل لون التربة ونخلع ثوب المنافي ونرفع راية الحق بسماء فلسطين الملأى بعبير الفخر والإباء.

قوة الشعب الفلسطيني ومنذ بداية الصراع مع الكيان الصهيوني الغاصب، كانت في إدراكه للمخاطر المحدقة بالهوية الوطنية الفلسطينية، وإدراكه أيضا للمحاولات البائسة التي اعتمدها هذا الكيان للنيل من مضمون وعمق الأواصر التي تربط عموم الشعب الفلسطيني بهويته الوطنية وقضيته العادلة وأساسها التحرري.

وهي مخاطر لا تزال قائمة وسعي الكيان الصهيوني سيظل مستمرا ومتواصلاً للنيل من هذه الهوية لأنها هوية مقاومة وتحررية وتشكل دليلاً للشعب الفلسطيني في إنهاء الاحتلال وخياراً استراتيجياً لا محيد عنه. وتحتاج دوماً لتفعيل الوعي النقدي الذي يجعل الفلسطيني على بينة من تحايل الكيان الغاصب على حق الفلسطيني في العودة واستعادة الأرض ولم الشتات والعيش بكرامة على أرضه.

تمة فرق شاسع بين سردية الاحتلال وهي بلا أساس وباطلة ولا حضور لها مقنع سواء للتاريخ أو لذاكرة الشعوب وهي نابعة من التزوير والاحتيال على التاريخ والذاكرة، وللأسف يجد الكيان الصهيوني من يساعده في التسويق لهذه الأسطوانة المشروخة المبنية على الكذب والبهتان لأنه يمتلك آليات تساعده في ذلك ومنها وسائل الإعلام والتكنولوجية.

وسردية المقاومة وهي التي تتمتع بالمشروعية التاريخية، وتستمد قوتها من سيرورة الصراع والنضال وصمود المقاومة على أرض وساحات وميادين المعارك.

وهي أيضا سردية مقاومة ومحصنة نتيجة إجماع القوى الوطنية ومكونات الصف الوطني الفلسطيني وفصائله حول مضامينها وأهدافها، وفي كل معركة تضيف صفحات ملحمية تؤكد للكيان الغاصب أن لا مكان له على الأرض الفلسطينية وآخر تجليات هذه السردية هو ملحمة طوفان الأقصى.

إدريس علوش
كاتب من المغرب

من أسف القول، أن بعض الفلسطينيين، والكثير من العرب، أسهم عن قصد أو بدون قصد، وربما بغباء مركب، في تعميم الرواية الصهيونية أو السردية المعادية القائمة أساسا على الخرافات والأساطير، والكذب والتزييف المتعمد للحقائق، واختلاق سرديات زائفة يتولى ضعاف النفوس، ومدعي الثقافة، وفاقدي الحس الوطني أو الوعي القومي. إن ترديد الرواية الصهيونية، رواية الغرب الاستعماري الامبريالي، هو شكل من أشكال استسهال للأمور على خطورتها،بعيدا عن أعمال العقل والفكر، لتبين الحقائق وكشف الزيف ودحض الأكاذيب.

الحقيقة واضحة وضوح الصباح، ساطعة سطوع الشمس، فالتاريخ لنا، والأرض لنا، والبحر لنا، والثوب لنا، والناي لنا... هذا الشعب العظيم الذي كتب تاريخه بالدم، وصنع ملاحم من الفداء والعطاء من الثلاثاء الحمراء،إلى يوم الكرامة ويوم الأرض، وليلة الطائرات الشراعية وصولاً إلى ملحمة طوفان الأقصى، التي أعادت السردية الفلسطينية لتحتل مكانها الصحيح، مسقطة بالضربة القاضية الرواية أو السردية الصهيونية التي تهاوت أمام حقيقة تمسك الطفل الفلسطيني بأرضه قبل الرجال والشيوخ،وأن القتل والدمار والإبادة الجماعية،لن تفرض على أطفالنا التخلي عن أرض الأجداد والآباء....

رافع الساعدي
أمين سر اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين

راهن الكيان الصهيوني المحتل على إطالة أمد لجوء الشعب الفلسطيني وذلك لإجباره ودفعه للتأقلم مع تفاصيل الحياة الجديدة في الدول التي استقر فيها.. منطلقا من نبوءته الصهيونية «الكبار يموتون، والصغار ينسون «ويصبح الفلسطيني بلا هوية... لكن الرياح لم تأت كما أراد المحتل، فالكل الفلسطيني أصر على تمسكه بهويته الفلسطينية.

تشرب الأبناء حب وطنهم من أهاليهم وحكاياتهم وعاداتهم وطقوسهم الاجتماعية..

فالمرأة الفلسطينية حافظت على التراث الفلسطيني من خلال حفاظها على الثوب الفلسطيني والرجل حافظ على الزي الفلسطيني من خلال لباسه التقليدي (الحطة والعقال) وأيضا من خلال المأكولات الفلسطينية والإصرار على التمسك باللهجة الفلسطينية... كل ذلك انعكس على الجيل الجديد فاكتسب عادات وتقاليد فلسطينية وحافظ عليها متمسكا بهويته الفلسطينية وكل ما يمت لها من تراث مادي ومعنوي...

إن الكفاح الفلسطيني كفاح مشروع منذ بداياته وحتى الآن..

قامت اسرائيل باستهداف النساء والأطفال وكل ما هو موجود انتقاما من عملية «طوفان الأقصى» التي أطلقتها المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال ونظام الفصل العنصري الاسرائيلي...

انتفضت المظاهرات لتعم كل أرجاء العالم «وخاصة جامعاتها» تعبيرا عن التضامن مع الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة...

إن السردية الفلسطينية تمتلك عناصر قوتها من خلال تسلحها بالحقيقة وشعاراتها الواقعية والتي جوهرها اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس وحق العودة...

إن الحق الفلسطيني سنديانة باسقة لا تهزها رياح القمع والقتل والإبادة وكل محاولات وأد ودفن الحلم الفلسطيني...

فايز حميدي
أكاديمي وشاعر فلسطيني – السويد

نكبة الإنسانية وصلابة الإنسان

جلال علي زيد
مسؤول منبر الحرب الناعمة ـ اليمن

ستة وسبعون عاماً تبدلت فيها كل معالم الحياة ومواقف المجتمعات وجائت معها اجيال جديدة تواكب العالم الحديث الذي ينسج روايته وقصته بحسب رغبة النظام العالمي المستكبر.

ستة وسبعون عاماً من الخيانة والتطبيع ومحاولات التصفية للقضية الفلسطينية ومحاولة اقتلاع الإنسان الفلسطيني من جذوره التاريخية والقومية والدينية.

ستة وسبعون عاما مضت على يوم النكبة رأينا فيها شعبٌ تشبث بجغرافيا فلسطين وتمسك بهويته الحضارية والإنسانية والقومية وواجهة بكل صلابة كل التحديات والأخطار فنراه كهلاً يحمل مفتاح منزله معه ويوصي من بعده بالعودة إلى داره ونراه شاباً حمل حجارته يذود عن كرامة العالم وإنسانيته ويحمل بندقاً يقاوم بها أعداء الأرض والإنسان.

هذه القوة والاقتدار الفلسطيني قلّ أن تجد نظيراً له في التاريخ الإنساني ويدفع الإنسان إلى التوقف بكل ما لديه من ذرات إنسانية وفطرية إحتراما لهذا الشعب الأصيل و متخندقاً معه في ذات الخندق للدفاع عن الإنسانية والعدالة.

ومع قليل من التأمل والتفكر المنصف نجد أن فلسطين وشعبها بكل تلك التضحيات والتحديات التي واجهتها طوال ستة وسبعون عاماً كانت تدعو الأحرار والشرفاء ليستيقظوا من غفلتهم وليدافعوا عن شرفهم الإنساني المنتهك وكانت حقاً محك الاختبار ومعيار الإنسانية والقيم التي سقط أغلب دول العالم وأنظمتها فيه.

ازداد الفلسطيني ثباتاً ورسوخاً على مبدأ العودة إلى فلسطين وطرد المحتل رغم مرور ستة وسبعون عاماً من ذكرى النكبة ؛ وازداد حضوراً في قلوب الأحرار بل وصنع طريقاً للنضال التحقت به الكثير من المجتمعات والشعوب .

بينما نرى في المقابل إنحسار القوة الصهيونية وانكشاف صورتها الإجرامية في العالم ليغلب الدم الفلسطيني سيف العدو الغاصب، وتظهر حجة الفلسطيني على كل حجة.

فسلام على هذا الشعب الأصيل وعلى جذوره الراسخة وعلى أغصان الزيتون التي يحملها وعلى قوته وصلابته.

النكبة الفسلطينية..
76 عاماً من المقاومة المتواصلة ورفض الأسرلة

عزيز موسى
باحث في الشؤون الدولية والأمنية ـ سورية

عملت الصهيونية العالمية منذ أكثر من 76 عاماً على محاولات متعددة لاقتلاع جذور الشعب العربي الفسلطيني من أرض فسلطين المقدسة، تحت مسميات عديدة

واستطاع الشعب الفلسطيني المقاوم من خلال عقيدة الانتماء المتجذرة به أولاً، وإيمانه المطلق بحريته بأن يقاوم كل المحاولات الصهيونية في القضاء على التاريخ والحضارة الفلسطينية، وبأبسط الأدوات مقارنة بأدوات العدو، والتي كان آخرها عملية طوفان الأقصى التي شكلت إعادة ترتيب جيوسياسي للمنطقة، وشكّلت انكشافاً كبيراً لمدى قدرة الشعب الفلسطيني على كسر أسطورة الوهم الصهيونية بالتخطيط والتنفيذ والمقاومة، إضافة لذلك بات هناك رأي عام عالمي انطلق في العديد من المدن والعواصم الأوروبية والتي كان آخرها الحراك والمظاهرات الطلابية في الجامعات الأمريكية وبعض الدول الأوروبية الأخرى بهدف الضغط عالمياً لوقف الأعمال الإجرامية ضد الشعب الفلسطيني والتدمير الكامل لقطاع غزة، وسط عدم اتخاذ أية إجراءات فعلية من شأنها وقف هذه الحرب.

سحر محرز
طالبة إعلام / جامعة دمشق

لعل من أهم ما حققه الصمود الفلسطيني النجاح في كشف زيف السردية القومية التي فرضتها إسرائيل على العالم منذ إنشائها قبل ستة وسبعين عاماً، وأدت إلى خروج القضية الفلسطينية من النطاق التقليدي إلى النطاق الإنساني العالمي، بعدما رأى العالم بالصوت والصورة واقع ما يعيشه الشعب الفلسطيني.

فقد ساهمت بعض الشخصيات اليهودية المؤثرة مثل «جوديت بتلر، وجدعون ليفي، وإيلان بابيه» وجماعات يهودية مثل «الصوت اليهودي المؤكد»، في فضح الرواية الإسرائيلية وتفنيد ادعاءاتها في المقالات والبيانات والمشاركات التلفزيونية، والتي تم فيها وضع هجوم (حماس) ضمن سياقه، عن شعب تهجر من أرضه وحُرم من هويته ومن فرصة العيش بكرامة، إذ أكد إيلان بابيه وجوديت بتلر «أن القضية الفلسطينية لم توجد يوم 7 أكتوبر فقط، وإنما وجدت في السياق الاستعماري، وسياسات الفصل العنصري التي تنتهجها إسرائيل».

وهذا التغيير في سردية القضية الفلسطينية على مستوى الرأي العام العالمي يشير إلى أن فضح رواية الاحتلال الصهيوني أمام العالم سيكون له تداعياته القريبة والبعيدة على صورة إسرائيل خصوصاً في الغرب، وعلى علاقاتها مع حكومات ومجتمعات الدول الغربية، إذ قال زعيم حزب العمال البريطاني السابق جيرمي كوربين: «إن القناع قد سقط عن جيش إسرائيل، وإن الصورة التي سعوا لترسيخها قد انكسرت أمام العالم». وبالطبع سيكون لهذا التغيير تأثير كبير على مسار القضية الفلسطينية ومستقبلها، حيث يرى كوربين «أنه رغم الانحياز الرسمي والإعلامي والسياسي لإسرائيل، فإن العالم يشهد انتقالاً متزايداً إلى دعم فلسطين»، ويؤكد «أن الجيل الجديد يتفتح على هذا القمع الذي يتعرض له الفلسطينيون وسيتأثر به».

د. نضال حماد
أخصائي العلاج الفيزيائي - سورية

منذ 76 عاماً والنكبة مستمرة بأشكال مختلفة، تعرض فيها الشعب الفلسطيني لمختلف أنواع المؤامرات والمذابح، لاقتلاعه من جذوره وتذويب هويته حيث جسد الشعب الفلسطيني عقبة كأداء أمام تطبيع العلاقات مع الكيان الصهيوني وتحويله إلى دولة طبيعية في المنطقة. إلا أن تمسك الشعب الفلسطيني بهويته الوطنية وحقوقه المشروعة ونضاله المستمر جعل حق عودة اللاجئين إلى ديارهم الأصلية نقيضا للنكبة وأمرا غير مستحيل التحقيق و قريب المنال.

إن تمسك الفلسطينيون بأرضهم، وبحقهم في المقاومة بالرغم من حروب الإبادة والحصار والتجويع يثبت إصرارهم وفعاليتهم في مقاومة المشروع الصهيوني، بالرغم من الإمكانيات المتواضعة والمحدودة. وقد جاءت عملية طوفان الأقصى استمرارا لنهج المقاومة من أجل تحرير الأرض واستعادة الحقوق الوطنية المشروعة.

ومن الأهمية النظر إلى عملية طوفان الأقصى بأنها نقطة تحول مفصلية في تاريخ الشعب الفلسطيني ومقاومته الباسلة. وتأكيدا على أن البوصلة بالاتجاه الصحيح إلا أن هذا الأمر يتطلب إنهاء الانقسام الفلسطيني وتوحيد كلمة المقاومة تحت راية واحدة وبرنامج سياسي يستند إلى الثوابت الوطنية.

هيثم حميدة
كاتب سياسي فلسطيني - سورية

لم تتقدم السردية الفلسطينية على السردية الصهيونية في الآونة الأخيرة إلا بعد معاناة وتضحيات وصراعات مريرة تراكمت حقيقة حية خالدة بأن قضية فلسطين هي أعدل قضية في العالم، وأن ادعاءات الصهيونية بأن فلسطين أرض بلا شعب لشعب بلا أرض ادعاءات كاذبة مضللة لا تمت للواقع ولا للتاريخ والجغرافيا بصلة. لقد اعتمدت السردية الصهيونية على الأضاليل والحجج الواهية وتضليل وسائل الإعلام في الغرب.

إلا أن نضال الشعب العربي الفلسطيني وكفاحه ومقاومته للمشروع الصهيوني وتقديمه آلاف الشهداء ومع تطور وسائل الإعلام عبر النت/ السوشيال ميديا، وكسر احتكار الدول الغربية لوسائل الإعلام والكيان الصهيوني أدى إلى ظهور وتكشف الحقيقة بأن لا أثر تاريخي علمي لليهود أو الصهيونية في فلسطين التاريخية إنما كل ذلك كذب وافتراء لا يستند إلى اي دليل علمي

ومع صمود ونضال شعبنا الفلسطيني منذ النكبة وما قبلها وما بعدها إلى الصمود الأسطوري في غزة والذي لم يسبق له مثيل توضحت السردية الفلسطينية العادلة والمحقة فظهر الحق وزهق الباطل وبانت السردية الصهيونية الكاذبة فاندفعت الجماهير في شتى بقاع الأرض تنادي بالحق الفلسطيني وسرديته العادلة.

لقد رسم جيل النكبة الأول الطريق بوضوح راسخ بأننا يجب أن نعود وأن كل ذرة من تراب فلسطين ملك لشعبها وأن على الأجيال القادمة حمل المسؤولية بعد تدارك الحقيقة بصدق وأمانة.

ونقلت صورة واضحة بقيت في خيال كل شاب و طفل فلسطيني عن المجازر التي تعرضوا لها وتفاصيل المعاناة وطريق الخروج والشتات والضياع بقيت راسخة عبر الأجيال وكبرت الاجيال وكبر معهم حب القضية وعشق فلسطين واستعدادهم للتضحية والفداء وباتت فلسطين هي الأم وهي الأب وهي الماضي والمستقبل وأنها ستعود والأجيال تصغي إلى وقع الخطا عند الإياب.

لمى الشطلي
كاتبة صحفية فلسطينية ـ سورية

إذا كانت الهوية عبارة عن الاشتراك بمجموعة من الرموز كاللغة والثقافة والتاريخ والارتباط المصيري الوجودي بالمعنى العام، إلا أنه في الحالة الفلسطينية تم إضافة عنصر المقاومة كاشتراط وجودي لاكتمال عناصر الهوية الفلسطينية (المقاومة شرط لازم لوطنية الهوية وإطار ناظم لها)، وهذا ما أدى لتشكيل الهوية النضالية الفلسطينية لتحقيق عامل البقاء والاستمرار للشعب الفلسطيني، لتصبح جوهر الهوية ولتفرض وحدة القضية سواءً على من كان داخل فلسطين أو خارجها، وهذا ما انعكس على تفاصيل حياة الشعب الفلسطيني في اللغة والتعليم والثقافة والأدب والشعر والتراث ...إلخ، وخلق آلية دفاعية تعمل على نفي المنفى الداخلي والخارجي، لتكون وحدة الشعب في القضية العنصر الأهم في تشكيل الهوية وقائم على وحدة الهدف في التحرير والعودة، وهنا يبرز الاعتقاد الأكثر أهمية في أن المقاومة كفكر ومنهج حافظت على الهوية الفلسطينية في صراعها التناقضي مع الكيان الصهيوني وفكره الإحلالي القائم على إلغاء عناصر الهوية الفلسطينية لصالح إثبات رواياتها وسرديتها الكاذبة. ذلك تحديداً ما دفع بإسرائيل إلى استثمار كل العناصر التاريخية والثقافية والتعليمية الفلسطينية والعمل على استبدالها ودمغها بدلائل مصطنعة مستندة على خلفية دينية اختلقتها كمبرر لتأكيد هوية سياسية تلعب دور تناحري وإقصائي ضد الهوية الفلسطينية.

إنّ من إفرازات معركة طوفان الأقصى أنها ساهمت بحسم معركة السرديات الإسرائيلية الملفقة لحساب القضية الفلسطينية بعد مضي ستةٍ وسبعين عاماً على النكبة، حيث نجحت بإعادة تشكيل الوعي العالمي لصالح القضية الفلسطينية، وإحياء البحث عن الحقائق التاريخية بالعودة بالزمن إلى أساس القضية الفلسطينية من أسباب وتداعيات منذ عام ١٩٤٨ حتى الآن، حيث بات المجتمع الدولي بغالبيته يقر بأحقية وعدالة القضية الفلسطينية وشعبها الذي تعرض لحرب ممنهجة فرضت تشكيل دولة فوق أرضه عبر حرب إبادة ما انفكت إسرائيل عن ممارستها يوماً، ومما لا شك فيه أن دخول وسائل الإعلام غير التقليدية في مواجهة الإعلام التقليدي المؤيد لإسرائيل دحض سنوات من الكذب والخداع حينما كان يصوّر القاتل في موقع الضحية، لتسقط على أرض غزة سقوطاً مدوياً صمّت آذان العالم أجمع عما كانت تفبركه إسرائيل وحلفائها عبر عقود من الزمن، ولتخلق في مجملها رأي عالمي جديد منتفض لأجل فلسطين وشعبها ويؤمن بحقهم بإقامة دولتهم على أرضهم التاريخية.

للمرة السادسة والسبعين سيرتبك المحتلون وأتباعهم من ثبات الهوية الفلسطينية والتي أصلاً لا يشكّ حاملوها بأنها زائلة بل نحن على تمام الثقة بأن هويتنا راسخة كرسوخ الجرمق في أرضنا. بعد ستة وسبعين عاماً بقيت الهوية الفلسطينية صامدة بوجه المحتل رغم كل المحاولات لإبادتها، ولا يزال المحتل راكضاً في الميادين والمحافل الدولية لوأد كلمة فلسطين لكن هذا العام ركض المحتل ممزق الكرامة أرعن والدماء تسيل من مخالبه على مقاعد مجلس الأمن والجمعية العامة ورأى العالم أجمع هذه الدماء، إنها دماء غزة الطاهرة التي مهدت لخسارة جهد الستة والسبعين عاماً من الاحتلال. عندما أدرك العالم حقيقة الاحتلال امتلأت شوارع المدن الغربية والولايات المتحدة الأمريكية بالمظاهرات الداعمة لفلسطين وهنا ظنّ الاحتلال الضليع بعلوم الإعلام والاتصال أن هذا الرأي العام هو الرأي الآني العاطفي المندفع الذي سيتغير بعد فترة كالعادة، لكن حماقة الاحتلال وغطرسته وإجرامه حوّل هذا الرأي العام من آني عاطفي جمعي إلى عقيدة راسخة ناقمة على الكذب والخداع الطويل، وتبع هذا كله ثورة الجامعات في العالم وهذا مؤلم حقاً لكيان محتل لديه عقدة الشرعية وتراكمت أيضاً المنتجات التي تمت مقاطعتها في كل المحال التجارية رغم سخاء المعلنين واحترافهم فن التأثير عبر الإعلانات، وتبع هذا وذاك شكّ داعمي الاحتلال بقدرته على البقاء وحده دون عونٍ مكلف.

ها قد خطّ الغزيون بدمائهم وثباتهم وبطولاتهم هزيمة الاحتلال وإن بغى وتجبّر

السؤال الذي لا يبرح يتردد في داخل كل فلسطيني سواء أكان لاجئاً مهاجراً قسراً أو باقٍ تحت براثن هذا المحتل، لمَ لم يدرك العالم هذا قبل شلال الدم في غزة الجريحة ألم يقتلوننا من قبل بنفس مراحل التنفيذ؟ ألم يسمع العالم من قبل بمجازر الطنطورة ودير ياسين وصبرا وشاتيلا ومخيم جنين؟! ألم يسمعوا بالطفل المقدسي الذي قتلوه حرقاً وهو حي ألم يسمعوا بعائلة دوابشة؟

لمَ لم يدرك العالم هذا قبل أن يُسفك المزيد من دمنا؟

الآن!!

وبعد استشهاد عشرات الآلاف وتدمير غزة؟ الآن شعر العالم أن الرواية الإسرائيلية مبنية على ظلمٍ وقهر وقتل وإبادة وتهجيرٍ قسري وتطهير عرقي.

الآن وصل الاحتلال إلى قاعات المحاكم متهماً بجرائم ضد الإنسانية؟

إن ثبات هويتنا هو سر إيماننا جيلاً بعد جيل أن هنا على هذه الأرض لنا حقاً مشروعاً لا يمكن دفنه، فهو بذرة سينمو مجدداً وسيهزمكم

نبال عمر
كاتبة صحفية فلسطينية ـ سورية

علي الجلولي
حزب العمال ـ تونس

إن السر في حفاظ الشعب الفلسطيني على هويته منذ النكبة إلى اليوم يكمن في ثبات هذا الشعب وتحديه لآلة الاحتلال الاستيطاني التي تستهدف اقتلاع شعب فلسطين لإقامة قاعدة متقدمة للامبريالية في قلب المنطقة لوضع اليد على مقدراتها وثرواتها. لقد صمد الشعب الفلسطيني وتشبث بهويته رغم كل المجازر وحروب الإبادة المستمرة منذ إعلان قيام دولة الكيان الغاصب في 15 أيار/مايو 1948، وقبلها لما تشكلت العصابات الصهيونية في أحضان الاستعمار البريطاني.

إن شعب فلسطين مثله مثل كل الشعوب الحرة مؤمن بوطنه وبحتمية انتصاره مهما تظافرت ضده كل القوى، وهو ما عاشه فعلا، فالشعب الفلسطيني كان ولا يزال يواجه الاحتلال ويواجه أدوات الاحتلال وصنائعه وحلفائه الموضوعيين في الداخل وفي المحيط العربي. لقد لعبت الأنظمة العربية أقذر الأدوار بحكم طبيعتها التابعة للامبريالية والاستعمار، وهو الحال اليوم إذ تواصل هذه الأنظمة التآمر ومدّ العدو بكل ما من شأنه تواصل تدميره للمقاومة التي تنزعج من وجودها خوفا على يقظة شعوبها ونهوضها للثورة والانتفاض ضدها. إن الشعب الفلسطيني لم يجد سندا له طوال تاريخ كفاحه إلا الشعوب وقواها التقدمية في الوطن العربي وفي العالم، وهي تضطلع اليوم بدور حيوي في ضرب السردية الصهيونية التي أثرت ماضيا على جزء من الرأي العام العالمي. إن الرواية الصهيونية والامبريالية تتهاوى على وقع النهوض التقدمي المناهض للإبادة، والفضل في ذلك يعود إلى الصمود الأسطوري لشعب الجبارين و لمقاومته الوطنية الباسلة التي تصنع اليوم الانتصار وتمرغ أنف آلة الحرب الصهيونية في وحل غزة الصامدة المنتصرة. إن العالم الحر بصدد الاقتناع أن شعب فلسطين على حقّ، وان الكيان الصهيوني هو كيان محتل آن الأوان لرحيله وزواله.

رغم تعاظم علب الماكدونالدز والديمقراطية المزعومة الوحيدة في الشرق الأوسط والسامية والأكاذيب التاريخية والإم 16 وغيرها من السياسات والأفكار والتحالفات، لم تمنع الشمس من التعبير عن دفئها ونفسها، في ذكرى النكبة سيسمع العالم نشيد الحرية ويرتبك للمرة السادسة والسبعين من الوجود الفلسطيني الذي في كل محاولة لمحوه ودفنه، يعود أكثر حياةً وغزارةً وتدفقاً في ضمير العالم كله؛ الساحات، الجامعات، الشوارع الرئيسية والفرعية، نشرات الأخبار، الصحافة العالمية، القمع والهراوات في المحارب الجامعية، هتاف Free Free Palestine، كل هذا على ما نقول شهيد..

محمد نذير جبر
كاتب وشاعر سوري

عند الدخول إلى أي منزل فلسطيني، أول ما يلفت النظر رمزية الشعب المقدسة، «العلم الوطني الفلسطيني وخريطة فلسطين التاريخية»، الحديث باللهجة الفلسطينية، تجمّعات الفلسطينيين في مناطق سكنية مخيمات او ضواحي، كبار السن الذين يتناقلون جيلا بعد جيل أحداث النكبة وسرقة الوطن، العادات اللّباس التراثي الأغاني الكتب، الأدب، الشعر والثقافة الثورية التي انتشرت بينهم، التمسك بالتعليم والتطوّر من أجل فلسطين، تمسك الأجداد والآباء بالعودة للوطن، الطبيعة الإنسانية التي لا تتنازل عن الحق خاصة عند التعرض للظلم، المآسي والفقر وكل محدّدات تكوين الشخصية تجعل الفلسطيني يتمسك بهويته ووطنه الأصلي المحفور في وجدانه قبل أي شيء آخر، ذاكرة الفلسطيني صخر جبلي وبحر عميق.

لقد اعتمد الكيان الصهيوني سابقاً على روايات مبالغ بها عن اضطهاد اليهود، فسيطر على الوعي العالمي بالسيطرة على وسائل الإعلام واستغلال المال لتوظيف أحدث التقنيات والعقول لصناعة الدعاية الصهيونية.

لكن حين بدأت حرب الإبادة الجماعية ضد الغزيين وُثِّقت الجرائم على الهواء مباشرة، ونشرت عبر السوشال الميديا، هنا بدأ دور الفلسطينيين في أوروبا بلَغت أنظار الغرب لما يتم نشره، فأقنعوا من حولهم بالوثائق الحيّة، ونظّفوا وعي الغرب بكشف كذب الدعاية الصهيونية ليظهر وجهها الحقيقي الإجرامي، كل هذا تم بتوظيف الوقائع الحقيقية والحقائق التاريخية، التي جعلت الكيان يتخبط ويفقد سيطرته على المشهد، وهكذا يكون المؤشر بدء نهاية الصهيونية بخسارة الرأي العام العالمي لصالح الحقيقة الفلسطينية.

خليل موسى
كاتب صحفي واعلامي فلسطيني ـ سورية

محمد حسين
كاتب سياسي

بعد ستة وسبعين عاماً على النكبة ما زال الشعب الفلسطيني يخوض معركة مفتوحة مع الاحتلال الصهيوني على كافة الأصعدة، حيث يخوض معركة البقاء والتمسك بالأرض والهوية، ويخوض معركة هزيمة هذا الاحتلال من جهة أخرى،

بعد تشريد الشعب الفلسطيني في أصقاع الأرض إثر النكبة والتي أدت إلى بعثرة الشعب الفلسطيني، أصبح لديه هاجس الحفاظ على هويته من جهة وحلمه بالعودة إلى وطنه المغتصب، فتمسكوا بالذاكرة التي كانت تحفظ تضاريس الوطن. لقد لعبت الذاكرة الفلسطينية عبر تناقلها من جيل إلى آخر دوراً مهماً في الحفاظ على الهوية الوطنية، وأسقطت مقولة غولدا مائير الكبار يموتون والصغار،

عندما جاءت الثورة الفلسطينية المعاصرة عززت الهوية السياسية للشعب الفلسطيني عبر الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، كما لعب الأدب الفلسطيني المقاوم دوراً مهما في بقاء الهوية الوطنية الفلسطينية متقدة في نفوس الشعب الفلسطيني وخاصة الأدب المقاوم (غسان كنفاني، سميح القاسم، محمود درويش، جبرا ابراهيم، إميل حبيبي، إميل توما الخ).

بعد السابع من أكتوبر استطاع الشعب الفلسطيني تقديم روايته للعالم عبر استخدام تقنيات الإعلام التي أفلتت من قبضة الهيمنة الصهيونية، واستطاع الشعب الفلسطيني تقديم روايته وكسب معركة الرأي العام العالمي، هذا الإنجاز جاء نتيجة صمود الشعب الفلسطيني ومقاومته الباسلة، والمجازر الدموية التي ارتكبها الاحتلال الصهيوني بحق الشعب الفلسطيني التي كشفت وجهه الإجرامي أمام العالم، فأصبحت (الدولة) التي كانت تقدمها نفسها على أنها واحة الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان في قفص الاتهام في محكمة الدولية ومحكمة الجنايات الدولية، لارتكابها جرائم إبادة جماعية بحق الشعب الفلسطيني،

إبراهيم شريف
الأمين العام السابق لجمعية «وعد» البحرينية

طوفان الأقصى خلق طوفانا على مستوى الوعي والمفاهيم وأعاد القضية الفلسطينية إلى موقعها الصحيح كقضية مركزية. فقد زادت وتيرة التظاهرات المؤيدة لفلسطين في البحرين ويشارك فيها حاليا أكثر من 20 جهة سياسية وأهلية والحراك مستمر أيضا على عدة مستويات منها مقاومة التطبيع ومقاطعة البضائع والسلع الداعمة للاحتلال، ويمتاز الحراك البحريني الداعم للقضية الفلسطينية بمشاركة ثلاث أجيال مع بعضهم البعض بحيث ترى الجد والأب والحفيد في هذه التظاهرة وأيضا من يقود الحراك هم الشباب بمعنى ان القضية الفلسطينية رسخت مفهوم الوعي لدى الأجيال المتعاقبة. نحن في البحرين واجهنا منذ العام 2001 الى 2011 انقسامات سياسية ومجتمعية إلا أن القضية الفلسطينية وغزة وحدت الناس على المستوى المجتمعي والسياسي واعتقد أنها ستكون رافعة على مستوى قضايا أخرى.

لا يمكن تصور ما يسمى بالهوية الفلسطينية بمعزل عن حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة، فأهل فلسطين العرب لم يكونوا المجموعة البشرية الوحيدة التي تعرضت للتهجير القسري في القرن العشرين. قد يكمن الفارق في واقع أن الدولة الصهيونية قد أقيمت في إطار مشروع فرض الهيمنة الغربية على المنطقة وتقسيمها وهندستها وفق المصالح والرؤى الغربية، التي تقف حتى اليوم على النقيض مع مصالح وتطلعات شعوب المنطقة. هذا الصدام كان حتميا وبدأ مبكرا، وساهم في صوغ الهوية السياسية والعقيدة القتالية عند شعوب المنطقة، فيما شكل المخيم الفلسطيني بواقع الحال رأس الحربة في هذه المواجهة، فقد كان منذ البداية في حالة تناقض مع الأنظمة الرجعية العربية، وكان الحليف الطبيعي للحركات وللأنظمة التقدمية العربية التي لا يمكن إنكار دورها في إيقاظ تطلعات التحرر ودعم الحركات الثورية لدى كافة شعوب المنطقة. كذلك فرضت طبيعة الكيان الصهيوني الإقصائية التوسعية حالة مواجهة دائمة لم تترك حيزا يجعل الاستكانة خيارا يحسّن أوضاع العرب والفلسطينيين بأي حال، وهذا رأيناه في اتفاقات السلام بين الأنظمة العربية والكيان، وظهر بوضوح بعد اتفاق أوسلو.

على الجانب الدولي يجب التمييز بين الرأي العام العالمي وبينه في المجتمعات الغربية، ومن الممكن القول بأن الخلط بين الاثنين قد أثر سلبا في تطور أساليب عمل الفلسطينيين وخطاب الحركة الوطنية بصورة عامة. حركة التحرر الفلسطينية كانت جزء من نضال الشعوب ضد الاستعمار وحظيت بتأييد معظم شعوب ودول العالم، في حين ظلت السردية الصهيونية تعتبر جزءا من الواقع الاستعماري وسردياته. الأمر يختلف في المجتمعات الغربية، أي مجتمعات «المركز الاستعماري» نفسه. هناك تشكل دولة إسرائيل وسردية قيامها جزءا من هوية المجتمعات الغربية توظف سياسيا في خدمة عقيدة الهيمنة الغربية. المعركة هناك مستمرة، والموقف من إسرائيل وسرديتها يعتمد بالدرجة الأولى على قدرة المقاومة على جعل هذا الكيان عبئا على داعميه على كل الأصعدة، كما يمكن القول بأن نمو الجاليات الفلسطينية الديموغرافي في هذه المجتمعات قد ساهم بالدفع بالموضوع الفلسطيني إلى واجهة الجدل المجتمعي.

د.محمد أبوالروس
ناشط في نادي فلسطين العربي - فيينا

تغريد بو مرعي
شاعرة ومترجمة ـ لبنان

على الرغم من مرور 76 عامًا على المجازر المستمرة من قبل الكيان الصهيوني، فقد استطاع الشعب الفلسطيني بشكل لافت الحفاظ على هويته. هذه المرونة متجذرة في إحساسهم القوي بالوطن والمجتمع، التقاليد الثقافية، والالتزام الثابت بقضيتهم. لعب الشتات الفلسطيني دورًا حاسمًا في الحفاظ على تراثهم والدفاع عن حقوقهم عالميًا. كما كانت المبادرات التعليمية، الأدب، الفنون، ووسائل الإعلام ضرورية في الحفاظ على الهوية والرواية الفلسطينية وتعزيزها.

يشير تزايد بروز الرواية الفلسطينية في الرأي العام العالمي إلى تحوّل كبير. يعكس هذا التغيير زيادة الوعي والاعتراف بالظلم التاريخي الذي واجهه الفلسطينيون. كما يدل على تساؤل أوسع حول التحيزات القديمة وفحص أكثر نقدية للصراع الإسرائيلي-الفلسطيني. إن صعود وسائل التواصل الاجتماعي والمنصات الرقمية سمح للفلسطينيين بمشاركة قصصهم وتجاربهم مباشرة مع العالم، متجاوزين بذلك مرشحات الإعلام التقليدي.

يشير هذا التقدم إلى إمكانية وجود خطاب أكثر توازنًا وربما إعادة تقييم للسياسات الدولية تجاه القضية الفلسطينية. ويبرز الروح الدائمة للشعب الفلسطيني وقدرته على التكيف والاستمرار في نضاله من أجل العدالة وتقرير المصير.

شاهد عباس
شاعر وكاتب من باكستان
ترجمة : تغريد بومرعي

العالم اليوم في دائرة من عدم اليقين والسلام العالمي في خطر كبير. لقد فشلت دول العالم في تحقيق السلام بينما نشهد عدوان إسرائيل. للأسف، الكون بأسره صامت تجاه قتل الأبرياء. غزة أكبر سجن على وجه الأرض. مع أعظم نور للإيمان والحب للسلام، شجع الفلسطينيون على القتال من أجل حقوقهم. العديد من القوى المزعومة تساعد إسرائيل في حرمانهم من حقوقهم في أرضهم. لكنهم يقاتلون من أجل حقوقهم وسيستمرون حتى آخر نفس لهم. مهما حدث، سيفعلون ذلك من أجل الأرض المقدسة لأجدادهم.

لأجيال، واجه الفلسطينيون تحديات ومشاكل لا يمكن تصورها من التهجير والاحتلال إلى الحصار والعنف. ومع ذلك، رغم هذه الصعوبات، يواصلون الصمود، وشجاعتهم وإصرارهم يلهمان الكون بأسره.

القوى المزعومة تتعامل مع الأمر كقضية ثيوقراطية، بينما هي في الواقع قضية إنسانية. مهما حدث، لا يمكن لأحد أن يمحو وطنيتهم. على الرغم من أن إسرائيل تحاول ذلك بمساعدة بعض الأشرار، إلا أنهم فشلوا.

سيأتي اليوم عندما تشرق شمس الحرية وسيتعين على جميع الأشرار العودة إلى حيث جاءوا. سيكتب التاريخ اسم الفلسطينيين بحروف من ذهب قائلاً: «لم يستسلم الناس أمام الأشرار وقاتلوا حتى آخر نفس».

محمد صادق الرحمن رومن
شاعر وكاتب وصحفي من بنغلاديش
ترجمة: تغريد بومرعي

النكبة، هي الحرب التي شهدت ولادة «دولة إسرائيل» وأدت إلى موجة من النزوح وطرد الفلسطينيين. يُحيي الشعب الفلسطيني هذه الذكرى كل عام في 15 أيار/مايو. هذا العام يصادف الذكرى الـ 76 لهذا الحدث الذي وقع في عام 1948.

لم تسمح المؤامرة الصهيونية للشعب الفلسطيني بالعيش في سلام وراحة، والحرب المستمرة هي دليل على ذلك، وإنشاء دولة فلسطينية مستقلة هو مطلب منطقي وواقع تاريخي، ونحن نعرب عن تضامننا الصادق معه. من الضروري أن تلعب جميع الدول المستقلة في العالم والأمم المتحدة دورًا قويًا من أجل أن يعيش الشعب الفلسطيني بأمان وسلام في أرضه.

لا يمكن لأي حضارة ذات قيم دينية وإنسانية طبيعية أن تتسامح مع الحرب الإرهابية الصهيونية والإبادة والمذابح. مثل هذا العمل العنيف المدمر للإنسانية سيزيد من تأزم الحضارة. بالنسبة لكل الروح والقيم الدينية بما في ذلك السلام والنظام والوئام في العالم، فإن هذا العمل البغيض يشكل تهديدًا حقيقيًا.

يواصل الشعب الفلسطيني نضاله لتحقيق هذا الهدف. نحترم صبرهم وشجاعتهم ومبادئهم وقيمهم. في وجه العدالة، لا بد أن يُهزم الظلم، ويؤمن الشعب الفلسطيني بهذه الروح ويواصل النضال من أجل العدالة، متقبلاً الخسائر الجسيمة في الأرواح والممتلكات.

من واجب شعوب جميع الأمم والحضارات في العالم أن تؤازرهم وتمد يد العون لهم.

زينب سلوم
صحفية و إعلامية - لبنان

بغض النظر عن كل كلام يُقال هنا أو هناك فإن المثل العربي الذي يقول «لا يموت حق وراءه مطالب» هو الوحيد الذي يفسر بقاء القضية الفلسطينية حية في أذهان العالم وعلى طاولات الأمم المتحدة رغم مضي نحو ثلاثة أرباع القرن عليها – ما سُمي بالنكبة- ورغم كل المحاولات السياسية والإعلامية والترغيبية والترهيبية عبر المجازر المتتالية ومحاولات الأسرلة وتذويب الهوية والتي شارك بها القريب والبعيد في الآن ذاته.

إذاً لقد كان الفلسطينيون، سواء في الداخل المحتل أم في الشتات، هم من أبقى راية القضية مرفوعة أمام الجميع، وبدمائهم أناروا شعلتها، فمنذ اللحظة الأولى للنكبة أعلنوا رفض الموت والاندثار ورفعوا السلاح وارتضوا الشهادة بل وأمام صلف المجرم والصك العالمي المفتوح له للإيغال بجريمته ابتكروا أساليباً مدهشة للنضال كان من بينها مثلاً ما دُعي بانتفاضة الحجارة، ليجعلوا من قضيتهم الخبر الأول على شاشات العالم والمشكلة الأهم على طاولات حكام العالم.

وخلال السنوات الماضية وأمام المحاولة المستجدة من العدو وفريقه لوأد القضية الفلسطينية بصورة نهائية كان «طوفان الأقصى» هو الذي فجر السد الإعلامي التضليلي الذي صنعه هذا الفريق أمام القضية الفلسطينية، وكان لسيل الدم الفلسطيني المتدفق في غزة فعل السحر في الملايين حول العالم التي استيقظت من أضاليل العدو المسيطر عبر ضفّتَي الأطلسي لينقلب السحر على الساحر ونرى شباب الغرب الجامعي وسواه من المثقفين والمؤثرين يهتفون رافضين هذا الإجرام لتعود القضية الفلسطينية إلى مكانها الطبيعي كحركة تحرر عالمي محقة ما يوحي بعالم جديد يختلف ولو جزئياً عن عالم حكمته الصهيونية واصدقائها، ولو تحت ستار دول كبرى، كما تريد.

د. عمر نجم
صيدلاني - سورية

بدأت معركة «طوفان الأقصى» بتسجيل أكبر وأوسع هزيمة في تاريخ الاحتلال الصهيوني، إذ لم يسبق أن تلقى المشروع الصهيوني خسارة بمثل هذه القوة منذ العام 1948، وجوهر المعركة هو تراجع كيان الاحتلال الذي لم يحقق أي من أهدافه، بينما نجحت المقاومة والحاضنة الشعبية الصامدة بحماية الرواية الفلسطينية .

إن استمرار الشعب الفلسطيني في صموده هو الذي حافظ على سرديته وجعلها تجوب كل أنحاء العالم الذين انتفضوا لحرية الشعب الفلسطيني ولحريتهم، وما لاحظة العالم من صمود أسطوري للشعب الفلسطيني في غزة والضفة والقدس يبرهن على التأمل والتفكر بضرورة نيل الاستقلال والحرية.

حنان بدران
كاتبة فلسطينية ـ الأردن

بعد تشريد الشعب الفلسطيني في أصقاع الأرض أدى إلى تبعثر المجتمع الفلسطيني وضياعه، حتى صار جل تفكيرهم بكيفية العودة إلى وطنهم فتمسكوا بكل بارقة أمل تعيدهم إليه.

ومع ربط تحرير فلسطين بالهوية العربية، حيث كانت السياسات تعامله بنوع من (التميز والتهميش) رفض الفلسطينيون سياسة الاندماج القسري.

أدى إلى تماسك العائلة الفلسطينية بالخارج بالتضامن وكانت وسيلة للحفاظ على هويتها.

ومع انعدام مقولة غولدمائير الكبار يموتون والصغار ينسون خلق جيل متمسك بالأرض وبالهوية أكثر وحق العودة.

جاء الأدب الفلسطيني ليكون أحد الروافع المهمة في الحفاظ على الهوية الفلسطينية بخلق أدب جديد يسمى (بالأدب المقاوم) بداية من (روايات اللواء الفكري المسلح وأول شهيد للفكر والقلم غسان كنفاني) الى محمود درويش والكرمي وسميح القاسم.. الخ

وأمام عالمنا الضاج بالانتصارات المزعومة والساقط بالإنسانية خلق هناك طرفي صراع على سرديتين متناقضتين لإثبات عدالة قضيتهما، وقد تنوعت مسارح السجال على منابر المهزلة لكسب التعاطف الدولي.

حتى في ٧/اكتوبر بكل تداعيتها وإرهاصاتها التي كشفت زيف الرواية الصهيونية وأدت إلى انهيارها تماما، بعدها لم يعد يحتاج الشعب الفلسطيني إلى أدلة، مما أدى إلى انقلاب شعوب العالم ضده.

أعادت ملحمة أكتوبر 2023 ذكرى نكبة فلسطين في العام 1948 بحيث أعطت الملحمة شكلا من أشكال الصمود الفلسطيني رغم قسوة المعاناة وحجم الاجرام والقمع الذي عرفه التاريخ البشري أعادته ذكرى انتصار المقاومة الفلسطينية في السابع من اكتوبر. فهو ليس ملحمة خاصة وإنما أصبح لها تأثيراتها المحلية والاقليمية والعالمية. إن تطورات طوفان الأقصى الذي صنعه الفلسطينيون في غزة والضفة وكل فلسطين أصبح له تداعيات في أكثر من محطة وتحديات كبيرة نلاحظها تتعاظم غب الرأي العام الدولي المساند للقضية الفلسطينية.

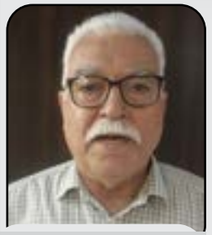

د. كاظم الموسوي
باحث سياسي ـ العراق

د. سعيد ذياب
أمين عام حزب الوحدة الشعبية ـ الأردن

أحمد الدبش
باحث ومؤرخ ـ فلسطين

مجدي المعصراوي
الأمين العام السابق
للمؤتمر القومي العربي ـ مصر

الذكرى 76 للنكبة تختلف عن سابقاتها، علينا ان نعترف ان النكبة ليست حدثا في لحظته، بل هو استمرار لتحولات سياسية بدأت منذ بداية القرن الماضي. هذه التحولات ارتبطت بتقسيم الوطن العربي من خلال اتفاقية سايكس بيكو وكذلك بالوعد الذي قطعته بريطانيا على نفسها بتأسيس وطن قومي لليهود ومن ثم دور عصبة الأمم الذي لوضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني. والشعب الفلسطيني عبر هذا الزمن الطويل وحتى الآن لم يتوان لحظة واحدة في مقاومة المشروع الصهيوني.

بعد النكبة عاش الشعب الفلسطيني نوع من الغيبوبة السياسية لفترة قصيرة ثم جاءت حرب العام 1967 لتضع الشعب الفلسطيني على عاتقه مهمة التصدي المباشر للعدو الصهيوني وعدم الركون للأنظمة العربية واستمر النضال الفلسطيني بأشكال متعددة من الانتفاضة الشعبية والمسلحة وانتهاء بطوفان الأقصى الذي شكل حدثا مميزا بكل المعايير العسكرية والسياسية والأمنية.

نجح الفلسطيني في إحداث الصدمة الحقيقية للعدو الصهيوني ونجح في وضع الصهاينة أمام خيارات جديدة ليتعامل فيها مع الشعب الفلسطيني، وكان ردة فعل العدو الصهيوني كبيرة وتعامل من موقع الانتقام ومارس ما هو في بنيته من عنف وقتل وتدمير وإجرام لذلك نرى حجم الإبادة البشرية. والمفارقة أن الغرب دعم هذا الإجرام تحت ذريعة الدفاع عن الذات. وهذا الموقف يعكس طبيعة الغرب العنصرية. إن الصمود الأسطوري للشعب الفلسطيني نجح في فرض تحولات في الراي العام الغربي تجاه كشف الرواية الصهيونية المزيفة والمزورة وبدا العالم يتعاطى مع القضية الفلسطينية بمنظار مختلف بأن الشعب الفلسطيني مظلوم وهو الضحية ومن حقه ان يعيش في وطنه متحررا من كل اشكال الاحتلال.

في الذكرى 76 الاحتلال فلسطين ونكبة الشعب الفلسطيني كشفت هذه الذكرى جوهر المشروع الصهيوني من خلال الإبادة البشرية التي يمارسها الاحتلال على قطاع غزة.

76 عاماً شهدت فلسطين سلسلة من المذابح والمجازر وحتى اليوم حيث يتكرر المشهد لكن على الأسوأ أمام وسائل الاعلام.

76 عاماً وما زال شعب الفلسطيني يناضل ويكافح ويقاتل على أرضه. واليوم واثبت بعد هذه السنوات الطويلة ان المقاومة الفلسطينية جدوى مستمرة عندما خاضت المعركة بكل جدارة حيث اخترقت حدود الكيان الصهيوني المتخيلة وكسر نظريات الملاذ الآمن والقلعة المحصنة والحروب الخارجية واستطاعت المقاومة نقل الحرب إلى داخل الكيان الصهيوني.

76 عاماً من النكبات لكن اليوم في هذه الذكرى ستكون بداية لانتصارات بدأت منذ تاريخ السابع من اكتوبر 2023.

نبارك لأنفسنا وللشعب العربي بطوفان الأقصى فهو تتويج لنضال الشعب العربي الفلسطيني وترجمة لنضال بدأ منذ العشرينات والثلاثينيات من القرن الماضي حتى وصولنا لنكبة 1948 فالنضال لم يتوقف يوما واحدا ،حيث وصل ذروته إلى طوفان الأقصى الذي نرى نتائجه العملية في تحقيق نصر قوي وصل مداه إلى جميع اقطار المعمورة وأعاد السردية الفلسطينية الى مكانها الطبيعي والتي وصلت العالم أجمع والتي دحضت السردية الصهيونية بكل زيفها الفاضح. بفضل صمود الشعب الفلسطيني وصمود المقاومين الأبطال سيتم النصر المؤزر وتحرير فلسطين من البحر إلى النهر

تمر ذكرى النكبة الـ (76) هذا العام وقد ظهرت القضية الفلسطينية على أجمل صورة. فقد كنا نعيش زمن من رحيل إلى رحيل ومن خيمة إلى خيمة، ووصلنا اليوم إلى طوفان الأقصى الذي قلب كل الموازين وجعل من ذكرى النكبة ذكرى للثورة ومواصلة التحرير. ذكرى النكبة تمر ونحن نعيش مرحلة تحرير فلسطين من بحرها إلى نهرها، كل وسائل الإعلام والمفكرين ومراكز الدراسات تقول بان طوفان الأقصى أحدث تغييرا كبيرا ليس على المستوى الفلسطيني، بل على المستوى العالم. نحن الآن نعيش بركات هذا الطوفان في ذكرى النكبة 76 هذه البركات التي اجتاحتنا من الداخل والخارج وعرت كل الانتهازيين والخونة والمطبعين، من أوسلو إلى وادي عربة إلى كامب ديفيد إلى الاتفاقيات الإبراهيمية وغيرها.

علينا أن نتفاءل اليوم بأننا مررنا من نكبة إلى نكبة، ولكن هذا العام كانت آخر النكبات وتاليا نعيش أول الانتصارات.

غزه وفلسطين صنعت انتصارا جديدا وملحمة جديدة. فالتاريخ بدأ اليوم فمن كان يحلم ان فلسطين ستصنع تاريخ العالم وليس تاريخ العرب فقط، ومن كان يحلم ان تكون فلسطين هي بداية التاريخ.

د. عصام السعدي
شاعر ومؤرخ وباحث سياسي ـ الأردن

ست وسبعون عاماً من استمرار النكبة وما زال الشعب الفلسطيني يناضل ويكافح ويتصدى بجسده ولحمه آلة البطش والحرب الإسرائيلية الهمجية صامدا على أرضه رغم كل ما واجهه من حروب ومؤامرات لتصفية القضية الوطنية وتذويب الهوية التاريخية. لقد نجح الشعب الفلسطيني من خلال صموده على المحافظة على سرديته التاريخية مقابل السردية الصهيونية الزائفة واستطاع أيضا ان ينقل قضيته إلى مختلف أرجاء المعمورة لأنها قضية حق وعدالة.

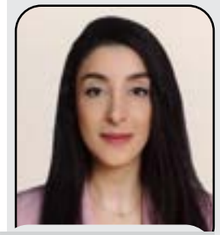

نور غنوم
محامية ـ فرنسا

في الذكرى السادسة والسبعين للنكبة تبرز مشاهد القتل والدمار وتشريد شعب أصيل من دياره تحت مرأى ومسمع العالم آنذاك وهو ما يجري الآن من تخاذل دولي إزاء حرب الإبادة البشرية بحق المدنيين في قطاع غزة الصامد. بحيث انتفضت شعوب العالم أجمع على الممارسات الصهيونية المدعومة اميركيا وغربيا وفضحت جوهر المشروع الصهيوني وأعلنت مساندتها للحق الفلسطيني من خلال محكمة العدل الدولية او الملاحقات القضائية لمجرمي الحرب الصهاينة او الدعم الشعبي بمختلف اشكاله.

مها عبدو
محامية ـ سورية

تتزامن الذكرى السادسة والسبعين لنكبة فلسطين وشعبها مع حدث تاريخي غير مسبوق انطلق في السابع من أكتوبر العام الماضي ليؤكد على استمرارية الصمود والمقاومة للشعب الفلسطيني ويثبت تمسك الأجيال الفلسطينية المتعاقبة بالهوية التاريخية القومية والوطنية.. كما أن هذا الحدث التاريخي الذي تمثل في طوفان الأقصى كشف بشاعة الإجرام الصهيوني وزيف الرواية المخادعة التي روج لها طوال عقود طويلة.

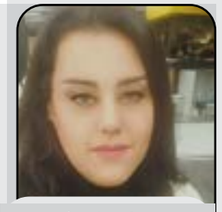

كيندا عقل
محامية ـ سورية

فلسطين حرة.. من النهر إلى البحر

ماري ناصيف ـ الدبس
المنسقة السابقة للقاء اليساري العربي
نائبة الأمين العام السابقة للحزب الشيوعي اللبناني

ما نشهده، منذ السابع من تشرين الأول 2023، من تضامن عالمي قلّ نظيره مع شعب فلسطين إنما هو النتيجة المنطقية لصمود هذا الشعب وإصراره على حق أبنائه في غزة والضفة الغربية وأراضي 1948 في البقاء على أرضهم، وكذلك على حق العودة لكل الذين هجّروا بفعل تآمر استعماري وامبريالي عالمي كانت له اليد الطولى في إقامة الكيان الصهيوني، منذ ستة وسبعين عاما، كقاعدة عسكرية الهدف منها السيطرة على منطقتنا ونهب الثروات التي تزخر بها أرضنا. ولا ننسى دور هذا الحلف غير المقدّس، ومعه الأنظمة العربية المتخاذلة، في جريمة الابادة الجماعية التي ذهب ضحيتها، حتى الآن، عشرات الآلاف، جلهم من الأطفال والرضّع، والتي تهدد بالمجاعة غالبية أهل غزة الأبطال.

لقد حمل ممثلو هذا الشعب المناضل إلى المخيمات والمهاجر مفاتيح البيوت المتروكة وصكوك ملكيتها كي يثبتوا للعالم أنهم أصحاب الأرض وما عليها من ليمون وزيتون، وما في باطنها وبحرها من خيرات. بل إنهم لم يتراجعوا يوما عن مناجاة الوطن، والسعي للقائه، والموت في سبيله. ولنا في ذلك شهادات وشهادات، لعلّ أهمها تلك التي سطعت في الحركة الفدائية التي ألهمت كل ثائر في الأرض، وكانت المثال الساطع لنا، نحن اللبنانيين، في المعارك التي خضناها معا من جنوب وطننا إلى عاصمته بيروت، وفي جبهة المقاومة الوطنية التي أطلقناها في ذلك اليوم المجيد من أيلول1982، والتي لا تزال تفعل فعلها وتقضّ مضاجع المحتل ومن هم وراءه.

واليوم،، وبفعل هذا الصمود الأسطوري وتلك المقاومة التي لا تلين، رغم الفارق الهائل في العديد والعتاد بينها وبين الآلة العسكرية الصهيونية المدعومة من حلف الناتو بقيادة الادارة الأميركية، عادت القضية الفلسطينية إلى واجهة الأحداث. وحرّكت مشاهد أطفال غزة ونساءها المتناثرين فوق الدمار العظيم مئات الملايين من الشابات والشباب في العالم، فنزلوا إلى الشوارع والساحات، ولم يأبهوا للقمع ولا للسجون. بل كان شعارهم طليعيا:»من النهر إلى البحر، ستتحرر فلسطين»، وسيعود إليها أبناؤها، وسيعيدون بناء دولتهم الوطنية، وعاصمتها القدس، على كامل ترابها.

الأطفال يولدون مرتين..

أحمد علي هلال
كاتب وناقد أدبي فلسطيني ـ سورية

ثمة أصوات من تحت الركام

من جذبت المسعفين إليها أملاً بالعثور على ناجين من جراء القصف ليلة أمس، لكن الأصوات اُختزلت بأنات مكتومة من طفلة وحيدة كأنه نداء استغاثة متقطع، يختلط به البكاء بالأنين وينفذ عبر كتل الإسمنت المتداعية، أشبه بضوء ضعيف يأتي من الأقاصي والتخوم والأعماق، بضع دقائق كانت كافية مع شعاع كثيف من ضوء المصباح، ليرفع المسعفون تلك القطع رويداً رويداً، فالصوت أصبح أقوى ويقترب بكامل طفولته وخشيته... كامل براءته.

كان المسعفون وهم يرفعون ما تداعى من البيت المهدم، يحاولون إشغال تلك الطفلة قبل أن يخرجوها إلى النور، وكثير من الدم قد غطى وجهها/ وجهها الخريطة للمكان، وللمكان الأكبر فلسطين وهي تنزف منذ 76 عاماً، بصوتها المكثف، بصوت تلك الطفلة، وسؤالها المتكرر أين أمي، وحين سؤالها من فعل ذلك بكِ لتجيب -دون تفكير ربما-: اليهود.

أُخرج المسعفون فتاة في الخامسة من عمرها، من بين ركام الوقت والبيت والأسئلة، وكل يبحث عن فسحة النور التي تعني الحياة الجديدة، تلك الطفلة قد وُلدت من جديد، تحت سماء على اتساع، وأصابعها المرتعشة هي وحدها من حملت قلبها، لتخرج به إلى الحياة بالقليل من البكاء والكثير من الدهشة... هنا الحياة تعيد سيرتها، وهنا الأطفال الأحياء والشهداء يخرجون من تحت كل الركام لتنتبه الحياة لهم وتبدأ في كل مرة سيرة جديدة لأبناء غزة الذين يولدون مرتين.

حريمة النكبة: النكبة مصطلح لوصف حالة قائمة منذ ٧٦ عاماً

حاتم استانبولي
كاتب سياسي فلسطيني ـ القدس

هل هذا المصطلح يتلائم مع الحالة؟ أظن أن الاقتلاع والتشريد والاضطهاد والإلغاء والإلحاق والقتل المستمر ومصادرة الممتلكات وإلغاء الهوية الوطنية والتمييز وطمس التاريخ الثقافي والذاكرة المعرفية لملايين البشر، جميعها اختصرت بمصطلح النكبة.

إن كل عنوان من هذه العناوين يصلح لأن يكون عنوانا بحد ذاته لجريمة متعددة الأشكال والوسائل والأساليب القانونية والأخلاقية والسياسية والحقوقية والثقافية ارتكبت علنا بتواطؤ جمعي صهيوني قادته حكومات لندن وواشنطن وباريس مع أعوانهم.

لم يرى التاريخ الإنساني بأن اجتمعت كل هذه الجرائم والمصطلحات الجرمية في قضية إبادة جماعية واحدة إلا في ثلاث حالات الهنود الحمر في أمريكا والسكان الأصليين في أستراليا والشعب الفلسطيني.

٧٦ عاما مرت على جريمة النكبة، هذه الجريمة التي ارتكبت بحق شعب كامل من حيث الشكل والمضمون وهي جريمة موصوفة بكل عناصرها من حيث مرتكبيها وخلفياتها ودوافعها وأدواتها ووسائلها السياسية والاقتصادية والقانونية والثقافية وآثارها الاجتماعية الإنسانية التي طالت شعب كامل بكل فئاته العمرية الذي عانى ويعاني وسوف يعاني من تداعياتها حتى زوال أسبابها.

تعتبر هذه الجريمة المستمرة منذ ٧٦ عاما من أبشع الجرائم الإرهابية التي مرت على التاريخ الإنساني المعاصر استخدمت فيها الأفكار الدينية لإعطاء غطاء أخلاقي ديني من أجل ارتكابها لجعل معارضتها هي خطيئة ترتكب لكونها تتعارض مع الرغبة الإلهية وإعطاء قدسية لمرتكبيها وداعميها من أجل إخراجهم من عملية المحاسبة على أساس القوانين الإنسانية.

وفي هذا الصدد يجب الإجابة لماذا هي جريمة تحمل أبعاداً تاريخية وسياسة واقتصادية وقانونية وثقافية واجتماعية إنسانية؟

مبررات تاريخية للجريمة:

جريمة ارتكبت بتبريرات دينية تاريخية باعتبار أن الله أعطى اليهود هذه الأرض في تناقض مع المقولات الدينية بما فيها اليهودية أن الأرض والكون هو من خلق الخالق وليس هنالك ملكية حصرية محددة لفئة بشرية.

الملكية الخاصة هي جاءت في فترة التطور الاجتماعي الاقتصادي للمجموعات البشرية في مرحلة تحول الملكية المشاعية إلى ملكية خاصة وفي ظل انتقال المجتمعات من مرحلة الاقطاع الى المرحلة الرأسمالية التي حددت حدودها القومية بناء على متطلبات السوق الرأسمالية ولهذا فإن جريمة النكبة كانت ضرورة رأسمالية صهيونية لتحقيق مصالحها في منطقة حيوية وضرورية لاستمرار التدفقات الرأسمالية من حيث الموارد الأساسية ومن حيث تصريف منتجاتها السلعية والسيطرة على عقدة لقاء القارات.

جريمة سياسية:

جريمة النكبة استخدم فيها التضليل السياسي من قبل مرتكبيها الذين تبنوا فكرة الوطن القومي اليهودي لتضليل الرأي العام العالمي وفي ذات الوقت عملت بريطانيا صاحبة الفكرة الرأسمالية الصهيونية من أجل تحويل الوطن القومي إلى دولة يهودية ذات طابع ديني لتزرع تناقض بين المجتمعات تستخدم فيه التناقض في الإرث الديني التاريخي لتفتيت مجتمعاتها وتحويل الصراع من صراع مع الاستعمار إلى صراع بين الفئات الدينية في المنطقة تغذيه حسب متطلبات المصلحة الاستعمارية.

جريمة النكبة كانت ضرورة من أجل الغاء الهوية السياسية للشعب الفلسطيني التي أُلحِقَت بِكيانات اتفاقية سايكس بيكو التي كانت ضرورة رأسمالية غربية لتحقيق وعد بلفور.

جريمة حقوقية قانونية:

تم قوننة الجريمة من ناحية القانون الدولي باستصدار قرار التقسيم الخبيث الذي حَمَلَ إشارة دينية لإقامة دولة يهودية في تناقض مع ميثاقه في حين أعطى هوية قومية للدولة العربية الذي شَكَلَ مدخلا لإلغاء الهوية الفلسطينية وأضفى مدلولا أن الدولة العربية التي نتجت عن قرار التقسيم هي الأردن الذي يشير إليها المفاوضون الاسرائيليون واليمين تحت عنوان الخيار الأردني.

هذا القرار الخبيث نفذ جزء منه بما يخص إقامة دولة إسرائيل على جزء من فلسطين وإلحاق الجزء الآخر بكل من إمارة شرق الأردن ومصر.

بذات الوقت تم استحداث هيئة أممية خاصة من أجل إغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في خطوة تؤشر لعدم بذل جهد أممي لعودة اللاجئين وإنما إغاثتهم وتشغيلهم في أماكن إنتشارِهِم.

ما ترتب على الجريمة هو إلغاء الحق المدني السياسي من خلال إلغاء الهوية السياسية الفلسطينية وإلحاق القسم الأكبر من المقيمين والمهاجرين في الضفة الغربية إلى إمارة شرق الأردن التي اعترف بها في ديسمبر ١٩٥٥ من قبل الأمم المتحدة. وتمت محاصرة وإنهاء حكومة فلسطين ومقاومتها في غزة بضغوط عربية اعتبرت أن استمرار الحكومة الفلسطينية هو تقويض مشروع دولتها المستقبلية.

جريمة اقتصادية:

ما قبل جريمة النكبة كان الانتداب البريطاني يعمل بشكل منهجي من أجل إفقار الفلسطينيين من خلال رفع الضرائب وتخفيض الرسوم الجمركية على السلع المنافسة للمنتجات الزراعية الفلسطينية ورفع ضريبة الأراضي والاستيلاء عليها والضغط على الفلاحين الفلسطينيين لدفعهم لبيع أراضيهم وعدم إعطاء حقوق قانونية للعمال الفلسطينيين في حين كانت تقدم كافة التسهيلات للمهاجرين اليهود وتسهيل استيطانهم.

أما قبَيل جريمة النكبة الكبرى فقد استولت الدولة المستحدثة على كافة أملاك الفلسطينيين العامة والخاصة وطُرِدَ الفلسطينيين من مدنهم وقراهم واستولى الصهاينة المستوطنون على المدن الفلسطينية بكافة إمكانياتها المادية والإدارية وبنيتها التحتية بمساعدة قوات الانتداب البريطاني التي اعتبرت أن وعد بلفور تم إنجازه. بالمختصر تم ارتكاب أكبر وأوسع جريمة في العصر الحديث من خلال عملية سطو مسلح معلن من قبل المستوطنين الصهاينة ومنظماتهم الإرهابية (شتيرن وهاجاناه وأراغون) القادمين من الدول الأوروبية بدعم معلن من قوة الانتداب البريطانية على الجزء الأكبر من فلسطين بكل مواردها وبنيتها التحتية بعد ارتكاب مجموعة من الجرائم والمذابح بحق الفلسطينيين التي أدت إلى طردهم وتهجيرهم القسري.

جريمة ثقافية:

الهوية الثقافية هي تتشكل في المكان عبر الزمان وإلغاء هوية المكان أدى إلى الحاق الهوية الثقافية الفلسطينية إلى هويات مغتربة عن المكان من حيث الشكل لكنها في الجوهر دخلت في صراع حاد مع محاولات إنهائها واستنبطت ثقافة المخيم الفلسطيني الذي شكلت عاملا في كشف محاولات طمس الثقافة الفلسطينية التي كانت سائدة ما قبل جريمة النكبة والتي كانت تشكل عاملا محوريا للثقافة العربية من خلال كتابها و صحفييها وصحفهم التي كانت تنتشر في المدن الفلسطينية.

الثقافة الفلسطينية بكل جوانبها وتراثها الفني والمجتمعي ساهمت في تطور الثقافة العربية عبر انتشارها نتيجة جريمة النكبة.

المحاولات الجمعية لطمس الثقافة الفلسطينية لم تنجح فقد تمسك المثقفين الفلسطينيين بِتاريخهم الثقافي وإنتاجهم الأدبي والشعري والفني واحياء التراث الشعبي الفلسطيني بكل جوانبه كل هذا كان له أثراً كبيراً في مواجهة حملات الإلغاء والإلحاق.

لكنهم بذات الوقت نجحوا في وضع حواجز لتطورها وإبراز هويتها المدنية القانونية.

جريمة إنسانية اجتماعية:

أما عن الآثار الاجتماعية لجريمة النكبة فقد كانت عميقة أدت إلى تفتيت النسيج الاجتماعي وتناثره وتدمر مستقبل العائلات الفلسطينية بكل ما تحمله الكلمة من معنى مما أعاق عملية التطور الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي والقانوني ووضعهم على هامش المجتمعات المضيفة وجعلهم في تحدي يومي معها مما أدى في كثير من الأحيان إلى تصادم وتعارض كان في النهاية الإنسان الفلسطيني يتحمل ويدفع أثمان جسيمة نتيجة هذا التعارض.

من كل ما ورد يؤكد أن النكبة هي جريمة إبادة مكتملة العناصر وهي ما زالت مستمرة بشكل فج وواضح وبوعي منهجي في غزة والضفة تستخدم فيها كل الوسائل العسكرية وتمارس سياسة منهجية معلنة من تجويع ومنع للماء والدواء وتستهدف على مدار أكثر من٢٢٠ يوم النساء والأطفال والقطاع الصحي والبنية التحتية والتعليمية والدينية والثقافية والقانونية في صورة توضح ما ارتكب من إبادة جماعية الشاملة متنقلة للشعب الفلسطيني على مدار ٧٦عاماً.

ما تقوم به دولة الاحتلال الصهيوني الإحلالي الإرهابي في غزة بكل مؤسساته ومستوطنيه من تدمير شامل بغطاء أمريكي فرنسي بريطاني الماني إيطالي كندي وبترويج لمقولات لاهوتية تبرر دينيا هذه المجازر والإبادة كل هذا يوضح أن جريمة النكبة هي جريمة عالمية الشكل صهيونية الجوهر أخذت أشكال وتعابير وممارسات متعددة تداخلت في تنفيذها عناصر وقوى وشخصيات وزارية حكومية ورسمية صهيونية موزعة ومركبة محلية وإقليمية ودولية عبر الزمان في المكان (فلسطين).

في العام الـ (76) من نكبة شعبنا الكبرى، وقيام كيانهم:
حق العودة لا عودة عنه

علي بدوان ـ باحث فلسطيني ـ سورية

يحيي شعبنا الفلسطيني في الوطن والشتات الذكرى الـ (76) لنكبة فلسطين هذا العام 2024، وهي ليست الآن بذكرى فقط على شعبنا في قطاع غزة، بل واقع ملموس ويومي من الفظائع والنزوح والتشريد، استكمالاً للنكبة الكبرى الأولى، التي قامت ومازالت تقوم بها دولة الاحتلال، في عملٍ عدواني، إجرامي لم يشهده تاريخ البشرية الحديث والمعاصر، حين تواصل «إسرائيل» عملية «إبادة البشر والشجرِ والحجر» على أرض القطاع، واضعة أمامها الهُدف المُعلن بداية الحرب الأخيرة، وهو تهجير شعبنا من القطاع، وجعله منطقة «غير قابلة» لحياة البشر، بل وحدا بعض وزراء دولة الاحتلال ومنهم الوزير المهووس (ايتمار بن غفير) للدعوة الى «إعادة استيطان القطاع» بعد طرد سكانه نحو سيناء المصرية وغيرها من المهاجر البعيدة.

فما يجري في القطاع، من حربٍ مُدمرة غير مسبوقة، تستهدف المدنيين بشكلٍ أساسي، والبنى التحتية وكل مقومات الحياة، هي الحرب القذرة التي استخدم فيها كيان الاحتلال وجيشه الفاشي كل تكنولوجيا القتل والتدمير والإبادة وأمام العالم بأسره، بالصوت والصورة، بل ومازال يستخدم فيها سلاح التعطيش والتجويع، والهدف يتمثّل بإحداث نكبة جديدة، تطيح بشعبنا في القطاع، الذي كان دوماً شوكة في بطن الحوت «الإسرائيلي»، والذي حَلُمَ الجنرال اسحق رابين متمنياً أن «يصحو ذات يوم ويرى البحر وقد ابتلع القطاع ومن عليه».

لقد خلقت وقائع قطاع غزة وحرب «الإبادة» ضد الشعب الفلسطيني، واقعًا واضحاً، فمن جهة هناك صمود فلسطينيّ أسطوريّ، أسقط أوهام «إسرائيل» ومن ورائها بإمكانيّة إزالة قضيّة فلسطين عن الأجندة العالميّة، وانهائها وطمسها. ومن جهة ثانية هناك إبادة صهيونيّة جماعيّة، بالغة الوحشيّة، مدعومة من الولايات المتحدة بشكلٍ رئيسي، التي لولاها لما استطاعت دولة الاحتلال الاستمرار في وحشيتها وحرب الدموية وضربها عرض الحائط بالشرعية الدولية والعالم بأسره.

حق العودة لا عودة

نحيي ذكرى النكبة هذا العام 2024، ونعيش لحظات الوجع والألم في القطاع، مع أنهار الدماء التي اريقت وروت أرض فلسطين وتراب قطاع غزة الغالي، وقد دعت جمعيات الدفاع عن حقوق شعبنا في الداخل المحتل عام 1948، وبدعمٍ ومشاركة لجنة المتابعة العليا لأبناء الداخل إلى أوسع مشاركة في مسيرة العودة، مسيرة تجديد عهد العودة والتمسك به، الى أراضي قضاء لواء حيفا، وتحدياً لقريتي (هوشة) و(الكساير)، في إطار المسيرات السنوية كل عام لبعض القرى المهجّرة والمدمّرة في مختلف مناطق الداخل الفلسطيني.

إنها مسيرات التأكيد على الحق التاريخي الثابت، ففي يوم نكبتنا، شعبنا في الداخل، وعموم أرض فلسطين والشتات، يقول بصوته العالي : «يومُ قيام كيانهم المزعوم يومُ نكبتِنا»، ويوم النكبة «لا يطوى إلاّ بحق عودة كل لاجئ فلسطيني الى أرض وطنه التاريخي طبقاً للقرار الدولي 302 الرقم 194 الصادر عام 1949»، العودة الى الوطن الذي تم تهجير شعبنا منه عنوةً عام 1948، بعملية ترانسفير وتطهير عرقي، أنجزتها عملياً القوى الاستعمارية الكبرى وخاصة سلطات الانتداب البريطاني على فلسطين، صاحبة اليد الطولى في تمكين العصابات الصهيونية من تهجير أكثر من 65% من شعبنا الى خارج وطنه التاريخي (الى دول الطوق : سوريا ولبنان والأردن، والى ما تبقى من فلسطين في الضفة الغربية، وحشر العدد الكبير من اللاجئين في غزة).

لقد تمت عملية إقامة الكيان الصهيوني بـ «غفلة من الزمن» ككيان طافر (غير طبيعي)، من خلال القوة العسكرية في عام 1949/1948، عبر سيطرة بريطانيا عسكرياً على فلسطين من 1917 إلى 1948. وقد أمّنت هذه الحماية مئة ألف جندي بريطاني، عملت على جلب نحو خمسمئة ألف يهودي من مختلف بقاع المعمورة الى فلسطين، فكان قيام دولة الكيان الصهيوني قد تم وقُدّم على طبق من ذهب للحركة الصهيونية من قبل القوى الاستعمارية الكبرى في حينها، والتي ما كانت لتقوم لولا الحماية البريطانية الفرنسية الأميركية 1948.

كفاح يتواصل بلا هوادة

لقد هب شعبنا، وأجيال ما بعد النكبة، للرد على التحدّي، ودفع الثمن، كلّ الثمن، شهداء ودمًا وتشرداً. هذه الأجيال من الشبّان والشابّات رفعت بالنضال والتضحيات من مكانة وشأن منظّمة التحرير الفلسطينيّة، ومازال حتى الآن يتابع خيراته الوطنية التي تتجسد الآن على أرض القطاع، حين يرفض شعبنا تكرار النكبة، ويؤكد تمسكه بحق العودة الى أرض وطنه التاريخي.

واليوم، ونحن نحيي العام الـ(76) من نكبة وطننا فلسطين، نشهد ايضاً، اضافة للعدوان وحرب الإبادة التي تستهدف شعبنا في قطاع، مواصلة دولة الاحتلال تهويد مناطق مختلفة من الداخل المحتل عام 1948، وخاصة في منطقة النقب التي يتعرض فيها أبناء شعبنا لحملات وممارسات يومية تستهدف بيوتهم وأراضيهم ومحاصيلهم، إلى جانب تحريض سافر من المؤسسة الرسمية الحكومية «الإسرائيلية»، ومن وزراء جعلوا من التحريض على منطقة النقب وأهلها ومواطنيها من أبنائها الأصلانيين، مشروعاً إجرامياً كاملاً.

فمشاريع التهويد «الإسرائيلية» تتجه الآن إلى منطقة النقب جنوب فلسطين، حين أكّدَت الإحصائيات لـ«قيام السلطات الإسرائيلية بهدم مبنى في النقب كل ست ساعات على مدار السنة، إلى جانب سلب الاعتراف من قرى وتجمعات سكنية عربية قائمة قبل قيام إسرائيل وإلى جانب تحريش الأراضي لتمرير الاستيلاء عليها وإتلاف المحاصيل الزراعية». لذلك فإن منطقة النقب تحظى بأهمية كبرى على جدول اعمال القوى الفلسطينية والمؤسساتية المجتمعية العربية في الداخل، لفضح وتعرية الاحتلال والتصدي لجرافات التهويد وقرارات مصادرة الأرض.

إن كفاح الفلسطينيين بالداخل المحتل عام 1948 مترابط مع كفاحه في معركة الصمود الاستثنائي على أرض غزة العزة، وعموم الضفة الغربية والقدس ومخيماتها، والشتات المحيط بفلسطين في دول الطوق حيث مخيمات وتجمعات شعبنا التي كانت ومازالت الخزان الذي لا ينضب من قوافل المناضلين والشهداء. لا بديل عن حق العودة، الشرعي، والانساني، والقانوني، وغير القابل للتصرف، والذي ضمنته الهيئات الشرعية الدولية في قرار رقم 194.

الشعب الفلسطيني والخصوبة الأعلى

أعلنت دائرة الإحصاء المركزية في «إسرائيل» يوم الخميس 9 أيار/مايو 2024، أن عدد سكان «إسرائيل» تسعة ملايين و900 ألف نسمة، بينهم سبعة ملايين و247 ألف يهود ويشكلون 73.2%. ومليونان و89 ألف عربي (21.1%) بينهم أكثر من 400 ألف فلسطيني في القدس المحتلة وحوالي عشرين ألف سوري في الجولان المحتل، و564 ألف مهاجر ليسوا مسجلين كيهود في سجل السكان يشكلون نحو (5.7%).

ومنذ النكبة حتى اليوم وصل الى فلسطين المحتلة نحو 3.4 مليون شخص، وقرابة مليون و600 ألف هاجروا منذ العام 1990، في أعقاب انهيار الاتحاد السوفييتي.

وأعلن جهاز الإحصاء الفلسطيني يوم الأحد 12 أيار/مايو 2024 إن عدد الفلسطينيين في فلسطين وخارجها تضاعف نحو عشر مرات منذ نكبة عام 1948. وأضاف الجهاز في المعطيات التي نشرها أن عدد الفلسطينيين الإجمالي في العالم 14.63 مليون نسمة في نهاية العام 2023. موزعين كالتالي: 5.55 مليون في الضفة الغربية والقطاع. وحوالي 1.75 مليون فلسطيني في أراضي 1948، فيما بلغ عدد الفلسطينيين في الدول العربية حوالي 6.56 مليون فلسطيني، وحوالي 772 ألفا في الدول الأجنبية. وبذلك بلغ عدد الفلسطينيين في فلسطين التاريخية حوالي 7.3 مليون فلسطيني في حين يقدر عدد اليهود نحو 7.2 مليون مع نهاية العام 2023، مما يعني أن عدد الفلسطينيين يزيد على عدد اليهود في فلسطين التاريخية».

المعنى و«القلق» الإستراتيجي «الإسرائيلي» وعليه، إن نصف شعبنا بات الآن على ارض وطنه التاريخي، وهو في حالة من النمو البشري الأعلى، فكل أربع وعشرين ساعة تشع ارض فلسطين بالمواليد الجدد، خاصة في القطاع حيث معدلات النمو العالية قياساً لموازين التنمية البشرية. ففي مؤشر هام، هناك فارق واضح بين معدل الخصوبة الكلية للشعب الفلسطيني على أرض فلسطين التاريخية عن اليهود، والذي يُحسب بعدد الحالات الإنجابية للناء الفلسطينيات عن النساء اليهوديات خلال عمرها الإنجابي، اذ بلغت (2) بين اليهوديات، و (3,3) للنساء الفلسطينيات.

إن ما يرعب الاحتلال، وفق معدلات النمو البشري الفلسطيني الجارية في فلسطين وحتى في الشتات المسجل بسجلات وكالة اونروا في دول الطوق، عدة مؤشرات:

• اولها النمو السكاني الفلسطيني الأعلى على كامل أرض فلسطين، بما في ذلك الشتات المحيط بفلسطين حيث أكثر من 75% من الشتات الفلسطيني (اللاجئين) يحيط بفلسطين في الأردن، وسورية ولبنان.

• وثانيها، ما تُشير اليه البيانات والمعطيات إلى أن نحو (42.2%) من الفلسطينيين في أراض ومناطق العام 1967، هم لاجئون، إذ كانت نسبة اللاجئين في الضفة الغربية (26.3%) من مجمل سكان الضفة الغربية، في حين بلغت نسبة اللاجئين في قطاع غزة (66.1%) من إجمالي سكان قطاع غزة.

• وثالثها، أن نسبة تقارب نحو 40% من المواطنين الفلسطينيين في الداخل 1948 هم من اللاجئين (لاجئين فوق أرض وطنهم)، وهذا الأمر له معنى ومغزى عميق يدركه صناع القرار في دولة الاحتلال.

• ورابعها، إن مقولة «دولة يهودية» أو «الدولة اليهودية» أصبحت على أرض واقع عبارة ومقولة خلف التاريخ. فالشعب الفلسطيني موجود وراسخ بنصفه على أرض وطنه التاريخي، وزمن الاقتلاع والتسفير و«التطهير العرقي» قد ولى وانتهى للأبد.

بين النكبة وطوفان الأقصى.. بداية التحرير

د. انتصار الدّنّان ـ كاتبة سياسية وإعلامية فلسطينية/لبنان

النكبة الفلسطينية هي حدث تاريخيّ مؤلم ومأساوي في تاريخ الشّعب الفلسطيني، حصلت عام 1948، عندما تم تهجير مئات الآلاف من الفلسطينيين من أراضيهم، وتدمير العديد من القرى والبلدات الفلسطينية خلال تأسيس دولة «الكيان الصهيوني»، وفي الخامس عشر من أيار من كل عام يستقبل الفلسطينيون الذكرى المشؤومة وهم أكثر تصميمًا على التمسك بحقوقهم التاريخية في فلسطين من البحر إلى النهر.

خاض الفلسطينيّون صراعًا جبّارًا في وجه الاستعمار البريطانيّ الدّاعم لدولة الكيان، والمقاومة التي واجهت أعتى جيوش العالم المدعوم من الغرب وأميركا المتحيزة للأعداء، التي بدأها ترومان الذي تآمر مع الصهيونية لضمان الاعتراف بدولة الكيان، وسياسة العدوانية التي استمرت حتى اليوم، بتقديم المساعدات الاقتصادية والسياسية والعسكرية، التي قدمتها وتقدمها أميركا للصهاينة من أجل ضمان بقاء الكيان في فلسطين، واعتراف العرب والشعب الفلسطيني بشرعيته والتعايش معه وفق قرار مجلس الأمن رقم (242) سنة 1967 الذي رفضه الفلسطينيون. كما واجهت المقاومة الصهيونية العالمية ومخططاتها الهادفة إلى الاستيلاء على أرض فلسطين، واستقدامها المهاجرين اليهود من مختلف أنحاء البلاد وتدريبهم وتسليحهم.

على مر تلك السنوات تصاعدت المقاومة المسلحة للوجود الصهيوني والمخططات الاستعمارية لدولة الكيان، حيث أعلن المقاومون أن الكفاح المسلح سوف يستمر حتى تتطهر الأراضي الفلسطينية من دنس المستعمر، ويعود أبناء فلسطين إلى وطنهم.

ليس خافيًا أن القضية الفلسطينية تعرضت لمؤامرة التقسيم، حيث صدر القرار بالتقسيم بأكثرية 33 صوتًا، 13 صوتًا ضد وبامتناع 11 عن التصويت، وفي دوائر الأمم المتحدة تم التوافق على مؤامرة تقسيم فلسطين، واتخذت شكلها القانوني والدولي في 29 تشرين الثاني\ نوفمبر عام 1947، وليس خافيًا الدور الذي قامت به أمريكا لحمل كثير من مندوبي الدول، ترغيبًا أو ترهيبًا، على التصويت للتقسيم. بعد قرار التقسيم عقدت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية اجتماعًا في كانون الأول 1947، حضره أكثر رؤساء الدول العربية، وصدر بنتيجته بيان استنكرت التقسيم، وأعلنت العزم على مقاومته.

استمرت المقاومة بتصعيد عملياتها الفدائية، وكانت عملية الخالصة (كريات شمونة) نقطة تحول في العمل الفدائي، حيث خسر حينها الإسرائيليون ثمانية عشر قتيلًا وعشرات الجرحى، واستمرت العمليات إلى أن تم إعلان اتفاقية أوسلو عام 1993، التي تم توقيعها بين دولة كيان الاحتلال ومنظمة التحرير الفلسطينية، وقد شكلت نقطة تحول مهمة في تاريخ الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، ومن تداعيات الاتفاق:

أ. إقامة السلطة الفلسطينية.

ب. الانقسام الفلسطيني.

ت. الاستيطان «الإسرائيلي».

ث. لم يطرأ تحسن على الوضع الاقتصادي، والاجتماعي.

بعد اتفاق أوسلو بست سنوات، اندلعت الانتفاضة الثانية عام 2000، بعد زيارة رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق» أرييل شارون» الحرم القدسي الشريف، ما أدى إلى اندلاع الانتفاضة، وقد جاءت الانتفاضة ردًا على ممارسات العدو بمساندة رجال الأمن في سلطة التنسيق الأمني، حيث جاء «بوثيقة تينت» عام 2002، التي جاءت لتجديد التعاون الأمني بين دولة الكيان والسلطة الفلسطينية في ذروة الانتفاضة الثانية، فظهر شبان يؤمنون بحقهم وقدرتهم على توجيه ضربات للعدو، وتدفيعه ثمن ما يقوم به من ممارسات ضد الشعب الفلسطيني، واستباحة الأرض، وزيادة الاستيطان، والاعتقال، وأولئك الشبان تجمعهم روابط نضالية، وهم محاطون بالتحام جماهيري تجمعهم وحدة الدم والأرض، لمواجهة الاحتلال.

جراء الانتهاكات اليومية التي يقوم بها العدو في القدس، واستباحة الأماكن المقدسة، وزيادة الاعتقالات والتعدي على الفلسطينيين، وهدم بيوتهم وتجريف أراضيهم، وتضييق الخناق على غزة، أتت معركة طوفان الأقصى ردًا طبيعيًا على كل تلك الانتهاكات التي يقوم به الاحتلال. يعتبر العدو أن ضربة السابع من أكتوبر هي أكبر ضربة تلقتها دولة الاحتلال منذ تأسيسها، ويعتبر الكثيرون، وفي اليوم الأول لعملية طوفان الأقصى، أن فلسطين انتصرت في ذلك اليوم، وما حصل هو بداية النهاية لزوال دولة الاحتلال التي تم بناؤها على أنقاض الدولة الفلسطينية، لكن ما يلفتنا في هذه المعركة التي يتعرض فيها الفلسطينيون لحملة إبادة جماعية، صبر وصمود الشعب الفلسطيني الذي ليس له مثيل، فالشعب الفلسطيني بعد مرور ستة وسبعين عامًا على النكبة، وتشريد الفلسطينيين من أرضهم، أدرك خطط العدو في القضاء عليه، والاستيلاء على أرضه وتشتيته مرة ثانية في بلاد اللجوء، وتمسك بأرضه، واختار الموت على أن يترك أرضه.

معركة طوفان الأقصى جاءت لتؤكد أن الفريق الذي دعم الكيان الصهيوني في بدايات احتلاله فلسطين مازال يدعمها بالعتاد والمال، وهذا الفريق تترأسه أمريكا وبعض الدول الغربية وبعض الدول العربية المتصهينة اللاهثة خلف التطبيع، وجاء ليؤكد أن الشعب الفلسطيني يحارب وحده كل تلك الدول المتسلحة بالذخائر والطاقة والمواد الغذائية التي توفرها لدولة الكيان.

صحيح أن الشعب الفلسطيني في غزة يقدم الغالي والنفيس، ويدفع الثمن باهظًا من الأرواح من أجل تحرير أرضه من الاحتلال الصهيوني، لكنه في النهاية منتصر لا محالة.

إن عملية طوفان الأقصى أعادت القضية الفلسطينية إلى الواجهة من جديد، في الوقت الذي كانت الصهيونية ومؤيدوها يحاولون طي تلك القضية، وإنهاءها، وهذه العملية أثبتت بأن الكلمة العليا هي للمقاومة ولا صوت يعلو على صوت الحق.

اليوم ونحن نطوي صفحات ستة وسبعين عامًا من النكبة واللجوء، نفتح صفحات جديدة تسطر فيها المقاومة بداية تحرير فلسطين من البحر إلى النهر، لأن المقاومة خيار شعبي، وهو الخيار الذي أثبت عبثية المفاوضات التي لم تحقق للفلسطينيين أي شيء منذ اتفاقية أوسلو المشؤومة، بل على العكس تضاعف الاستيطان واغتصاب الأراضي، وازدادت وتيرة الاعتداءات على المسجد الأقصى والفلسطينيين، لذا كان لابد من السابع من أكتوبر\ تشرين الأول.

76 عاماً على اغتصاب فلسطين

فهمي الكتوت ـ كاتب وباحث في الاقتصاد السياسي ـ الأردن

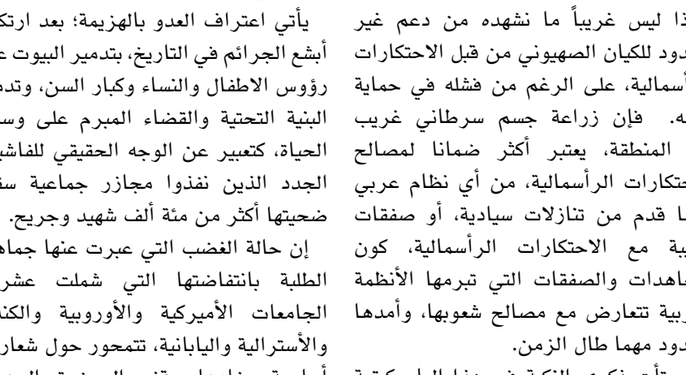

لم يكن مفاجئاً تصريح الرئيس الاميركي جو بايدن أثناء زيارته إلى تل أبيب، حين أعلن «لو لم تكن هناك إسرائيل لعملنا على إقامتها، خاصة إذا تمعنا بطبيعة العلاقة التاريخية التي تربط الحركة الصهيونية بالاحتكارات الرأسمالية.

فالدعم الذي تتلقاه «اسرائيل» من الولايات المتحدة ليس له علاقة بالخرافات التوراتية وأرض الميعاد، أو «قصة المحرقة». فالحركة الصهيونية التي تمثل إيديولوجية البرجوازية اليهودية وخاصة المالية منها، هي ايديولوجيا الاحتكارات الرأسمالية. فقد نشأت العلاقة مبكرا مع تمركز الإنتاج في البلدان الرأسمالية. في مرحلة احتدام المنافسة في السوق الرأسمالي التي أفضت إلى استئثار كل من بريطانيا وفرنسا بنصيب الأسد في أهم المستوطنات في العالم، ومع تنامي القدرات الاقتصادية الألمانية؛ باتت المانيا معنية في توسيع حصتها في السوق الرأسمالي، في مواجهة الأزمة الرأسمالية الحادة التي انفجرت سنة 1873، والتي خلفت ركودا اقتصاديا في أوروبا استمر 22 عاما.

أحدثت أزمات فيض الإنتاج؛ حاجة رأس المال إلى أسواق جديدة لتصريف منتجاته، والاستيلاء على مواد الخام بأسعار زهيدة، وتوفير أيدي عاملة رخيصة. فقد كشف لينين في كتابه الإمبريالية أعلى مراحل الرأسمالية، «أن الحرب العالمية الأولى 1914-1918 كانت حربا امبريالية هدفها إعادة اقتسام المستعمرات و»مناطق نفوذ رأس المال المالي.» دعا لينين إلى تحويل الحرب العالمية إلى حروب ضد الحكومات الرأسمالية في الدول الأوروبية. ومع انتصار الثورة الاشتراكية فضح لينين اتفاقية سايكس بيكو بعد العثور على نسخة من الاتفاقية السرية في أرشيف القيصر، التي مزقت الوطن العربي، وحرمته من اقامة مشروعه النهضوي، وذلك تمهيدا لغرس الكيان الصهيوني الاستيطاني في قلبه.

ليس صدفة ظهور الحركة الصهيونية على المسرح السياسي متزامنا مع تحول الرأسمالية الى دول إمبريالية، ومع انخراط الطبقة العاملة في النضال ضد سيطرة رأس المال، من أجل التحرر من الاستغلال الطبقي بقيادة أحزاب ماركسية، ورفض ماركس التعامل مع اليهود كقومية، بل كمواطنين يفترض اندماجهم في أممهم، وعلمنة الدولة وتكريس حريّة المعتقد الديني.

مع حصول الاحتكارات الاميركية على امتيازات نفطية في السعودية، ازداد اهتمامها بفكرة إنشاء دولة يهودية في فلسطين، ففي آب 1945طلب الرئيس الأميركي ترومان من الحكومة البريطانية إدخال مئة الف يهودي من أوروبا إلى فلسطين، لإنشاء قاعدة عسكرية متقدمة في الوطن العربي. فمن بين أهم اسباب تلاحم الحركة الصهيونية بالمراكز الرأسمالية؛ موقفها الايديولوجي ودورها الوظيفي في حماية مصالح الاحتكارات الرأسمالية، فالموقع الجغرافي لفلسطين يحتل أهمية خاصة، حيث يربط الوطن العربي بطريق بري، كما يربط القارات الثلاث (اسيا وافريقيا وأوروبا).

إذا ليس غريباً ما نشهده من دعم غير محدود للكيان الصهيوني من قبل الاحتكارات الرأسمالية، على الرغم من فشله في حماية نفسه. فإن زراعة جسم سرطاني غريب في المنطقة، يعتبر أكثر ضمانا لمصالح الاحتكارات الرأسمالية، من أي نظام عربي مهما قدم من تنازلات سيادية، أو صفقات مريبة مع الاحتكارات الرأسمالية، كون المعاهدات والصفقات التي تبرمها الأنظمة العربية تتعارض مع مصالح شعوبها، وأمدها محدود مهما طال الزمن.

لم تأت ذكرى النكبة في هذا العام كبقية الأعوام السابقة، فالعدو الصهيوني في أسوأ احواله منذ عام 1948، فهو يعاني من أزمات متفاقمة ومتعددة؛ سياسية، اقتصادية، اجتماعية، وأمنية. بعد فشله العسكري والسياسي في تحقيق اهدافه المعلنة في استرداد الأسرى، رغم مرور أكثر من سبعة أشهر على الحرب. وتعرض جيشه الذي «لا يقهر» للإذلال، بعد الصمود الاسطوري للشعب الفلسطيني ومقاومته الباسلة، واستنزاف قدراته العسكرية في قطاع غزة. رغم تدخل حاملات الطائرات التي هرعت لحمايته خشية من انهياره. إضافة إلى تجنيد آلاف المرتزقة للقتال مع العدو، بعد اتساع ظاهرة التمرد في صفوف المجندين الصهاينة. وتشير المعلومات أن غالبية الذين غادروا فلسطين المحتلة لا يرغبون بالعودة، في الوقت الذي يعترف رئيس وزراء العدو بالهزيمة؛ حيث يعلن صراحة أن من يمنعنا من الدخول الى رفح يريدنا ان نكون مهزومين.

يأتي اعتراف العدو بالهزيمة؛ بعد ارتكابه أبشع الجرائم في التاريخ، بتدمير البيوت على رؤوس الاطفال والنساء وكبار السن، وتدمير البنية التحتية والقضاء المبرم على وسائل الحياة، كتعبير عن الوجه الحقيقي للفاشيين الجدد الذين نفذوا مجازر جماعية سقط ضحيتها أكثر من مئة ألف شهيد وجريح.

إن حالة الغضب التي عبرت عنها جماهير الطلبة بانتفاضتها التي شملت عشرات الجامعات الأميركية والأوروبية والكندية والأسترالية واليابانية، تتمحور حول شعارات أساسية مفادها وقف المجزرة الرهيبة، وتقديم الدعم والمساندة للشعب الفلسطيني، وفضح الكيان الصهيوني الفاشي، والمطالبة بإنهاء كيانه الذي يمثل مصالح الاحتكارات الرأسمالية، وتصفية المشروع الاستعماري كحلٍّ عادلٍ للقضية الفلسطينية، من أجل

تحرير فلسطين من الوجود الصهيوني.

لقد كثر الحديث في الآونة الأخيرة من قبل سياسيين ومفكرين وخبراء عن قرب نهاية المشروع الصهيوني، وكان آخرها ما أعلنه المؤرخ الإسرائيلي إيلان بابيه عن «بداية نهاية المشروع الصهيوني». معللا طرحه بالأسباب التالية:

الصراع الداخلي في إسرائيل بين العلمانيين والمتدينين سيستمر في المستقبل، واتساع التضامن العالمي غير المسبوق مع القضية الفلسطينية بسبب الحرب على غزة. تصنيف الكيان الصهيوني بالعنصري من قبل المنظمات الدولية الحقوقية «منظمة العفو الدولية «أمنستي»، و»هيومن رايتس ووتش». تردي الوضع الاقتصادي في الكيان وانتشار الفقر.

عجز الجيش عن حماية اليهود في الشمال والجنوب وتحول اليهود إلى لاجئين داخل الدولة، وفشل الحكومة في توفير المساعدة لعائلات القتلى والجرحى. موقف الأجيال الجديدة من اليهود ورفضها للممارسات الإسرائيلية، حتى أن عدداً كبيراً منهم ينشط في حركة التضامن مع الفلسطينيين.

في حين استقبل الشعب الفلسطيني الذكرى في هذا العام بالأمل والتفاؤل بهزيمة الكيان الصهيوني وانتصار الشعب الفلسطيني وتحقيق أهدافه بالتحرير والعودة وتقرير المصير على من حجم التضحيات التي تفوق كل التقديرات.

ومن المفارقات الغريبة؛ في الوقت الذي تتسع حملة التضامن العالمي مع الشعب الفلسطيني، يتخلى النظام العربي والإسلامي عن واجباته، ولا تخفي بعض الأنظمة دعمها المباشر للعدو الصهيوني، أو تركه يواجه مصيره أمام العدوان الامبريالي الصهيوني، الذي يملك أحدث وسائل القتل والدمار والإجرام، مما يكشف عن حالة الانهيار السياسي والاخلاقي التي وصل إليها النظام العربي أمام الغطرسة الصهيونية، هذا الانهيار لا يشكل خطرا على قطاع غزة وحده بل على معظم العواصم العربية، فالمقاومة الفلسطينية تشكل خط الدفاع الأول في مواجهة المحتلين الصهاينة، فالتصدي للمعتدين الغزاة واجب وطني قبل ان يكون واجب قومي.

هي نكبة لا تنتهي..

سهيل كيوان ـ روائي وكاتب صحفي ـ فلسطين

رغم ما كتب من ملايين الصفحات ومليارات الكلمات عن النكبة الفلسطينية، إلا أن هنالك مليارات أخرى لم تكتب، وأحداثا عظيمة أخفيت أو جرى تغييبها، ولن تتوقف الكتابة عن فلسطين، فهي موقع محوريٌّ منذ فجر البشرية، عرفت أرضها كل ألوان الغزاة الطامعين من الشرق ومن الغرب، ومن الشمال والجنوب، ورحل الغزاة ليحل في مكانهم غزاة آخرون.

كثيرون فتنهم المكان فبقوا فيها، خصوصًا وأنها بلاد مقدسة لأمم وشعوب كثيرة، وما لبث أن صار نسلهم جزءا من أهلها، ولهذا نجد في فلسطين، كل ألوان الشعوب، ولكن ما يميز كل هذه القرون هو الوجود العربي الأساسي في فلسطين، فهم من أ سسوا القدس،)يبوس)، قبل الفتح الإسلامي وبعده، وما زال راسخًا فيها رغم محاولات الطمس والمحو والإلغاء الذي مارسته وتمارسه الحركة الصهيونية، التي جاءت بطابع مختلف عن الغزاة قبلها ،بزعم أنها حركة البعث اليهودي وعودته إلى أرض الميعاد التي هجر منها قبل أكثر من ألفي عام، وقد زعمت عدم وجود شعب في فلسطين، ورفعت شعار أرض بلا شعب لشعب بلا أرض، وقد حققت الحركة الصهيونية معظم أهدافها للوهلة الأولى، وكان ذلك ميسرا لأنها جاءت امتدادًا للاستعمار البريطاني الذي سلمها فلسطين على طبق من ذهب، وقد تحالف الشرق والغرب على دعم الحركة الصهيونية في إقامة الكيان الذي أطلقوا عليه اسم دولة إسرائيل، واختاروا الراية المعروفة اليوم، وهذه لم تكن الراية المقترحة في الأساس، كذلك فإن فلسطين لم تكن الأرض المقترحة أساسًا لتوطين اليهود، فيها بل كانت هناك مقترحات أخرى مثل أوغندا ومدغشقر، كذلك فقد خصصت الثورة البلشفية في روسيا حكما ذاتيا لليهود عام 1934 في منطقة قريبة من الحدود مع الصين عاصمتها مدينة بيروبيجان، وقرر السوفييت بقيادة ستالين أن تكون لغتهم اليديش، وأن يتمتعوا بحكم ذاتي ثقافي في تلك المنطقة، كحل للمسألة اليهودية في روسيا ودول الاتحاد السوفييتي، إلا أن الحركة الصهيونية كانت قد بدأت نشاطها في فلسطين والدعوة للهجرة إليها مدعومة بوعد بلفور المشؤوم، وجاءت الحرب العالمية الثانية وما سبقها ورافقها من سياسة مطاردة واضطهاد لليهود، وبتشجيع وتواطؤ بريطاني إلى جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود على حساب السكان الأصليين من العرب، إلى أن جاء قرار تقسيم فلسطين عام 1947 بتأييد دولي ليقر قيام دولة لليهود في فلسطين حيث كانوا يملكون أقل من خمسة بالمئة من أرض فلسطين، اقتنوا أكثرها من إقطاعيين جلهم غير فلسطينيين ،إلا أ ن الدولة الوليدة عام 1948 احتلت معظم الأرض الفلسطينية بحجة الحرب وصادرتها بقوانين تعسفية مثل قانون أموال الغائبين، والمقصود أملاك أولئك الذين اضطروا إلى النزوح من بيوتهم بسبب الحرب والخوف من المجازر، وهو ما يحدث أمام العالم في هذه الأيام، حيث يؤمر الناس بالنزوح من مساكنهم وحتى من خيامهم التي نزحوا إليها في قطاع غزة، وكذلك في الضفة الغربية، حيث يجري طرد الفلسطينيين من أماكن معيشتهم ومراعيهم في الأغوار وغيرها ليحتلها المستوطنون بمساندة الجيش.

هي نكبة لم تنته، بل كانت نتيجة لنكبات سبقتها، وكانت في عام ثمانية وأربعين مقدمة لنكبات ما زالت تتواتر مثل الهزات الأرضية التي تستمر في موجات أصغر فأصغر بعد الهزة الكبرى، إلا أن نكبة الفلسطينيين ما زالت في تصاعد، فهي تتوسع وتتعمق وتكشف عن بشاعتها أكثر وأكثر مع مرور الزمن ،ويزداد الجرح قيحًا والتهاباً، والدماء الزكية تهرق بغزارة ،فما عدنا نعرف ترتيبها، هل هي النكبة الأولى والأكبر، أم هي الصغرى أم الوسطى، أم أ ن النكبة الكبرى هي التي تجري الآن في قطاع غزة والضفة الغربية والقدس، وهل من خلاص لأولئك الذين نكبوا وما زالوا ينكبون.

ماذا مع التفاؤل الثوري الذي رافق أجيالا من الفسلطينيين! هل كانت أضغاث أحلام عن ثورة عالمية لأجل مساواة بني البشر! ماذا مع أحلام المنكوبين الأوائل في العودة! وقد بات حلمهم بالعودة إلى مكان لجوئهم أو نزوحهم الأول بعد نزوحهم مرات! من يروي نكبته إلى الآخر، ذلك الذي طرد من بيته ووطنه قبل أربعة وسبعين عامًا والذي كان يحكي لأحفاده عن بيته وحارته في قرية هدمت، أم الحفيد الذي هدم بيته في شمال قطاع غزة واضطر للنزوح عنه في النكبة الجديدة إلى رفح ومرة أخرى إلى دير البلح.

لم تتوقف النكبة، فهي نكبة بدأت قبل مئة عام ،ولما تنته بعد، والله أعلم متى ستنتهي.

في المقابل هنالك شعب يرفض الاستسلام للظلم و يقاومه بشتى الوسائل المتاحة، في ميادين الدبلوماسية وفي القصة والقصيدة والمسرحية والمظاهرة وفي البحث التاريخي وفي مختلف الفنون وكذلك بما استطاع «من قوة ورباط خيل»، وفي الوقت ذاته لم يتخل عن الأمل في البحث عن بقعة نور لدى الآخر، تؤسس لحياة مشتركة في ظل سلام ومستقبل بعيد عن الاستغلال والظلم والعنصرية، يعيش الجميع فيه أحرارًا في وطن حر، لا يظلم فيه بشر ولا يسرق حجر ولا تقطع شجرة ولا تدا س زهرة.

وإنا نحب الحياة ما استطعنا إليها سبيلا ،نحن أبناء الحياة، وأما من يحلمون بإبادة الآخر، فسوف يكون مكانهم الحضيض الأسفل من قمامة الأمم والشعوب والتاريخ قديمه وحديثه.

النكبة تعني أننا محظورون من أن نشم عبير النرجس والقندول والحناء وعصا الراعي وشقائق النعمان بين صخور جبال بلادنا، كيف لا نكون منكوبين ونحن محرومون من ملامسة ورقة زعتر، فحارس الغابة يستفزه أولئك الذين صار الزعتر جزءا لا يتجزأ من طعامهم ومن أشعارهم وفنونهم ورموزهم.

أن تكون منكوباً يعني أن لا تأمن على نفسك ولا على أبنائك في نزهة ليلية عادية تمارسها كل شعوب الأرض، كيف لا نكون منكوبين ونحن تحت رقابة من يحصي علينا أعداد ما تنجبه أرحام نسائنا، وقد أصيب بفوبيا الديمغرافيا، وينظر إلى أسمائنا وسحناتنا شزرًا!

كيف لا نكون منكوبين ونحن ممنوعون من السكن في بيوت بناها آباؤنا وأجدادنا بعرقهم ودمائهم، قديمها وحديثها. كيف لا نكون منكوبين ولغة العرب تعاقب وتضطهد وتهمش مثل أهلها، تهان وتصبح مادة للسخرية على لافتات الطرق والأمكنة العامة! كيف لا نكون منكوبين وقد باتت الدندنة بلحن عربي في مكان عام، مغامرة قد تؤدي إلى التنكيل والقذع والعقاب، كيف لا نكون منكوبين وقد صرنا مضطرين إلى عبور حواجز لا تعد ولا تحصى كي نزور صديق أو قريب في الضفة الغربية.

النكبة تعني أن العربي الفلسطيني ممنوع من إنشاء فرع زراعي للدواجن، فلا قن دجاج للبيض أو للحم، ولا قطيع ماعز، والدوريات الخضراء، تطارد البدوي الفلسطيني في النقب وفي الشمال، لتسمم معيشته وزرعه، وتهدم ما بناه، وتردم آباره، وتجعل حقله قاعًا صفصفاً.

النكبة يعني أن لا يستطيع ابن مجد الكروم أن يدخل إلى قطعة أرضه التي نجت من المصادرة ومن السمسرة، ولكنهم ما زالوا يطمعون فيها، ويعرقلون وصوله إليها، فقد أحيطت بأسلاك شائكة وحواجز ،لا يستطيع الوصول إليها إلا بإذن حار س وبعد تحقيق معه، وما الذي يريد أن يفعله في أرضه؟ وكأنه يتوسل السماح له بزيارتها، كأنها باتت رهينة، وقد رسمت في التخطيط لتكون منطقة خضراء كي لا يستفيد صاحبها منها، بينما حولها الأبنية الحديثة تتسع وتتمدد بكل أريحية لاستقبال قادمين من كل أنحاء الكون.

كيف لا نكون منكوبين ومياه الري للزراعة محرمة على العربي، وأنابيبها تمر من أرضه إلى المستوطنات!

رغم كل هذا فشعبنا لم يضع البوصلة، ويدرك أن قوته في وحدته، وأن خلاصه لن يأتي من خارجه، حتى ولو صار عدد العرب مليارات، وأعداد المسلمين أضعاف ما هم عليه، فلا يحك جلدك سوى ظفرك، ولا يحرث الأرض إلا عجولها، وغم التضحيات الجسام، لم يزدد شعبنا إلا عنفوانا، ورغم حرب الإبادة التي تمارس في العلن وتحت أبصار وأسماع البشرية، فشعبنا لم ولن يرفع الراية البيضاء، والأجيال التي كانت تعتبر مغيبة ومرت في عمليات أسرلة ممنهجة، عادت إلى فلسطينيتها أكثر حتى من الأجيال السابقة، ملتصقة أكثر وأكثر في انتمائها لوطنها وشعبها ولنفسها ،رافضة التنازل عن هويتها ،رغم محاولات التدجين المكثفة وسياسة العصا والجزرة .

تمتاز ذكرى النكبة هذا العام بتغيير ملموس في نظرة العالم إلى ما جرى ويجري على أرض فلسطين، فقد بدأت الأقنعة تحترق وتتساقط، وبات العالم بفضل وسائل التواصل الاجتماعي مكشوفا أكثر لحقيقة ما يجري، وبدأت شرائح هائلة من البشر تدرك الظلم التاريخي الذي تعرض له شعب فلسطين، وقد ينقلب ما يجري في قطاع غزة إلى عكس ما يراد منه، ولعل جرائم الإبادة التي ترتكب والتضحيات الجسيمة تكون الثمن الذي يزيل الغشاوة عن بصيرة أحرار الأرض، لتشكيل نقطة تحول تاريخية بالنسبة للقضية الفلسطينية وما تواجهه من محاولات إلغاء ومحو وتغييب متواصلة منذ قرن.

النكبة في عامها الـ 76
المقاومة والصمود يثبتان تمظهرات مرحلة تاريخية جديدة

وسام رفيدي ـ كاتب سياسي ـ فلسطين

النكبة في عامها الـ76 ليست كما هي في الأعوام ال 75 الماضية، إذ أنها هذا العام تتزامن وتمظهرات تعكس لحظة تاريخية تظهر على صُعد عدة أحدثها طوفان الأقصى والمقاومة البطلة لشعبنا على مدى الشهور الثمانية. ربما يسارع البعض، ومن منطلق الإحساس بالألم تجاه تضحيات شعبنا، للإشارة أن هذا المتغير تطلب حجم تضحيات مهولة والتي سببها المحتل الصهيوني الفاشي من حيث جوهره، ونزعته الانتقامية رداً لهزائمه المتتالية منذ 7 أكتوبر. تلك إشارة صحيحة، ويجب أن تؤكد لدينا حقيقة أن تحقيق أهداف شعبنا بتحرير الوطن ووضع حد نهائي للمشروع الصهيوني في فلسطين، معركة مكلفة جدا، خاصة أن المحتل بات يدافع عن وجوده الذي يعتقده مستهدفاً بفعل المقاومة، دفاعاً يسنده حقيقة الأيديولوجية الصهيونية العنصرية البيضاء التي رضعت من حليب الرجل الأبيض الأوروبي الذي لم يعرف الطريق لحضارته إلا عبر الإبادة، وهذا درس تعلمته الحركة الصهيونية جيداً.

أما مَنْ يستند لحجم جرائم المحتل للطعن بالمقاومة ومبادرتها الهجومية في 7 أكتوبر، فذلك فريق اختار منذ وقّع على اتفاقية أوسلو، وما تتضمنه من دور أمني وظيفي موثّق، يقوم به صاغراً، اختار الوقوف بوجه نهج المقاومة ومحورها، فالمقاومة تعرّي نهجه الاستسلامي وتعزله جماهيراً، وهذا ما فعلته فعلاً، لذلك لا يخجل من أن يعلن نفسه ضامناً لأمن الكيان الصهيوني كمتعاون أمني ذليل.

تمظهرات اللحظة

مستقل الكيان على الطاولة

تتجسد أولى تمظهرات اللحظة التاريخية المشار إليها آنفاً بالمقاومة الصامدة في شهرها الثامن، التي وضعت مستقبل الكيان الصهيوني، وباعتراف خبرائه وجنرالاته وسياسييه، على الطاولة، ككيان مرشح للزوال في المستقبل ليس البعيد. ليس بجديد القول إن الفكر المهزوم والوعي المستلب لطالما بشّرا بأن الكيان الصهيوني قدر لا فكاك منه، وُجد ليبقى لا ليزول، حتمي في المنطقة بفعل التفوق بكل شيء. إنه فكر/ نموذج لما وصفه رفيقنا الشهيد وليد دقة ونحته مفاهيمياً ب (صهر الوعي). وعي منصهر، مستلب، يستدخل هزيمته.

نجح الصهاينة ومعهم فيالق الدعاية الإمبريالية عبر كل وسائل الإعلام، التقليدي والمعاصر، وخلفهم أوساط ليبرالية، في إشاعة ذلك الفكر المهزوم. رغم شهور طوال من الصمود والمقاومة وتحقيق الانجازات الميدانية، رغم هول التضحيات، ورغم اعترافات يومية للعدو على مختلف الصعد باقتراب نهاية مشروعه، رغم كل هذا، لا زال هذا الفكر المهزوم يجد تعبيره لدى أوساط فلسطينية من فريق أوسلو، وذبابه الإلكتروني ومندوبيه في الشوارع، ومَنْ قبل أن يكون ديكوراً في مكتب (الرئيس).

ومع ذلك لا يمكن ببساطة قطع طريق التاريخ المعبد بالدم على طريقة قطّاع الطرق، فقد بدأت معركة الطوفان والمقاومة بتعبيد هذا الطريق. لنلاحظ، أنه وخارج ميدان المعركة، فلسطين، في الشارع العربي والإقليمي والعالمي، لم تعد القضية كما أرادها الصهاينة: معركة بين حماس وإسرائيل، أو انها ابتدأت يوم 7 أكتوبر. إن تحليل مسار الخطاب والشعارات في الميادين والشوارع ووسائل التواصل الاجتماعي تؤكد حقيقة جسّدها شعار (من النهر إلى البحر فلسطين ستتحرر)، حقيقة أن الصراع وجودي بين شعب مستعمَر، ومستعمِر يجب ان يرحل ويتحرر الوطن.

دولة في حضن دولة

ومع تأكد المظهر السابق بوضع مستقبل المشروع الصهيوني على الطاولة، تأكد بؤس شعار (دولتان لشعبين)، الذي ما كان يعني في الخطاب والفكر السياسيين الفلسطينيين سوى الهرولة السريعة هبوطاً من شعار التحرير لشعار التعايش مع المستعمِر. لقد غالى أصحاب هذا الشعار/ المطلب في انحيازهم له فعبروا عنه برومانسية سياسية إذ طالبو (بدولة فلسطينية إلى جانب دولة إسرائيل)، وهو ذات شعار الأوروبيين، والذي لم يكن يعني سوى (دولة في حضن دولة)، كيان مسخ بلا سيادة، على جزر جغرافية معزولة، مرتبط باتفاقيات أمنية وسياسية واقتصادية مع المستعمِر، تلك هي (دولتهم) بجانب (دولة إسرائيل). لماذا نذهب بعيداً؟ هو ذات الواقع الموجود اليوم: سلطة أوسلو في خدمة الكيان الصهيوني، وليسموها دولة إن شاؤوا، وفريق أوسلو جاهز لما اسوأ ومعه تنظيمات مكتب (الرئيس).

المقاومة جدوى مستمرة

ليس في الكتابة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ما هو أكثر إغراءً من المقارنة، خطاب بخطاب، فكر بآخر، ومرحلة بأخرى. الحدث السياسي الأبرز، هجوم 7 أكتوبر وما تلى ذلك من بطولات في الصمود والتصدي والانجازات لقوى المقاومة، طرح المقارنة على المستوى الشعبي، لا فقط على مستوى تحليلات المثقفين وكتّاب الأعمدة والمقالات.

إن 40 عاماً من مسار نهج أوسلو وفريقه السلطوي، في سلطة رام الله أم في منظمة التحرير سيان، قد طُرح على بساط المقارنة مع المتغير الأكبر: المقاومة في القطاع وانجازاتها. ماذا حصد شعبنا طوال أربعون عاماً، وماذا حصد بفعل المقاومة طوال 8 شهور؟

حصاد اوسلو وسلطتها: تراجع مكانة القضية الوطنية على الصعيد العالمي حتى باتت موضوعة على الرف يعلوها الغبار، فيما بفعل المقاومة فقد انطلقت انتفاضة عالمية طلابية وشعبية جعلت فلسطين وقضيتها قضية الشعوب والدول والمؤسسات والأحزاب والفعاليات المختلفة. بفضل ثقافة أوسلو فقد طغت الفردانية والتشكيك بكل ما هو فعل جماعي وطوعي، وعلا شأن الحسابات المالية على حساب القيم والمبادئ، وجرى التشكيك بجدوى المقاومة، والإعلاء من شأن قوة العدو وجبروته، وبالمقابل عزّزت المقاومة روح التحدي والتضحية والجماعية والوحدة في ميدان القتال، أكدت أن المقاومة جدوى مستمرة وبديل حقيقي وعملي وممكن لثقافة (الحياة مفاوضات)، اي استسلام حسب مسار التفاوض منذ 40 عاماً. بفضل تنازلات أوسلو تم الاعتراف بشرعية المشروع الصهيوني في فلسطين بإعلان عرفات في العام 1993 اعترافه (بشرعية دولة إسرائيل)، بما يعنيه ذلك من التنازل عن 78% رسمياً من فلسطين، وبقاء 22% خاضع للتفاوض اللاحق!!!. بالمقابل فإن المقاومة أعادت طرح طبيعة الصراع كصراع وجودي مع مستعمِر لا يمكن التسليم ببقائه على أرض فلسطين، وكان لموقفها هذا تأثيره السياسي العالمي بتبني شعار (من النهر إلى البحر فلسطين ستتحرر)، بما يعنيه هذا من تبني عالمي شعبي لشعار تحرير فلسطين. بفضل (انجازات) أوسلو وفريقه تضاعف عدد المستوطنين في الضفة والقدس أكثر من 5 مرات، ما يعنيه ذلك من مضاعفة مصادرة الأراضي، والسعي للتطهير العرقي لمواقع محددة كجنوب الخليل والأغوار الفلسطينية، بالمقابل نجحت المقاومة بترحيل مستوطني ما يعرف بغلاف غزة، فيما المقاومة في جنوب لبنان رحّلت مستوطني شمال فلسطين. مع أوسلو اطمأن الاستيطان اليهودي لمستقبل مشروعه في فلسطين، ومع المقاومة بات هذا الاستيطان، في غزة وشمال فلسطين على الأقل، يتراجع وينحسر على الأرض، فيطرح التساؤلات حول مستقبله. مع أوسلو أفلت الصهاينة جنودهم ومستوطنيهم ضد شعبنا، ومع المقاومة دفعوا ثمن هذا الفلتان.

وكي لا يبدو أن المقارنة تلك فيها من الرومانسية والرغائبية ما فيها، ينبغي الإشارة إلى أن ما أثبتناه هو المظهر الرئيس فيما المجال يتسع لما هو ثانوي، ربما لا نجده في مرحلة أوسلو، وبالتأكيد سنجده في مرحلة طوفان الأقصى.

وحدة فصائل مقاوَمة هي المقاوِمة

لا نحتاج لدلائل كثيرة للبت بأن كل المطالب والمقترحات و(الأمنيات) لإعادة بناء منظمة التحرير مع فريق عباس وقيادة حركة فتح، هو محض أوهام لا أكثر ولن ينتج عنها سوى مزيد من الاتفاقات الموقعة، ليغدو حبرها مجرد حبر على ورق لا قيمة فعلية له.

بعد لقاء موسكو انصاع عباس للمطلوب منه أمريكياً، وشكل حكومة تكنوقراط، هي في الحقيقة فتحوقراط، ليندرج في (اليوم التالي) الأمريكي، فينال حصته من جثة المقاومة كما يتوهمون. أما بعد استضافة الصين للحوار الفتحاوي الحمساوي فقد أعلن عباس أنه حريص على ضمان أمن إسرائيل، وحمّل حماس مسؤولية الإبادة الإسرائيلية بمنحها (الذرائع) للمحتل!!!! ليست تلك مواقف سياسية طارئة أو متسرعة. ذلك نهج قيادة حركة فتح في عهد أبو مازن، الذي يواصل عهد مَنْ سبقه، وإن بصراحة غير مسبوقة، وبمستوى موصوف من الفجاجة في الاستسلام، على العكس من ذلك الذكاء السياسي الذي ميّز سلوك مَنْ سبقه في تغطية تنازلاته.

بمقابل هذا الإمعان في نهج الاستسلام بلا حدود ولو شكلية، طرحت المقاومة نموذجها العملي، ذلك التنسيق القتالي، والتعاون في الميدان والقرار الموحّد عبر غرفة العمليات المشتركة. لا نملك بالطبع تفاصيل آليات التعاون والتنسيق، ولكن تطورات المواجهة في الميدان توضّح بأن هذا التنسيق والتعاون قائم بثقل، إذ يكفي تركيز جهد المقاومة ومنذ أسابيع على محور نيتساريم، كما اعتماد الضرب بقذائف الهاون من قبل الجميع، على محور شرق رفح، ناهيك عن انتشار تكتيك الكمائن والقنص، في جباليا، والعودة لإطلاق الصواريخ وتحديداً من شمال القطاع، ومن قبل كل الكتائب المقاتلة.

ذلك نموذج لوحدة المقاومين وفصائلهم وكتائبهم بديلاً للشعار المكرور والمثير للاستغراب (استعادة وحدة منظمة التحرير)، ومع ذات فريق أوسلو وحركة فتح الذي يعبر أبو مازن عن حقيقة موقفه بكل صراحة ووضوح لا تترك مجالاً للتأويل.

في القطاع الوحدة في الميدان وعلى الأرض فرضتها المعركة وطبيعتها ووحدة الهدف والإرادة، فيما في الغرف المغلقة نقاشات عقيمة ومذ سنوات طويلة عن (وحدة وطنية) لم تقد إلا لإشاعة الوهم والانتظارية المضرة في العمل الوطني.

القدس في ميزان محكمة العدل الدولية أي دور للفتوى الاستشارية؟

د. عبد الحسين شعبان ـ باحث ومفكر عراقي

الملخص التنفيذي

يتناول البحث فكرة، كان الباحث قد اشتغل عليها قبل أكثر من 3 عقود من الزمن، مفادها اللجوء إلى القضاء الدولي وتحديدًا إلى محكمة العدل الدولية، والطلب منها تقديم رأي استشاري بشأن وضع مدينة القدس، وذلك طبقًا لاختصاصاتها الواردة في ميثاق الأمم المتحدة - المادة 96، والتي تفترض التقدم بطلب من الدول العربية إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة لتقديم رأي استشاري من محكمة العدل الدولية.

وقد وسّع الباحث من دائرة النقاش بخصوص هذه المسألة فنظم مؤتمرًا حقوقيًا في لندن العام 1996 في إطار المنظمة العربية لحقوق الإنسان، التي كان يرأسها، وبعد نقاشات معمقة وآراء متعددة، اتفق الملتقى الفكري الموسوم «القدس وحقوق الإنسان» على تبني رأيه على الرغم من بعض الآراء المتحفظة، والتي تعتقد أنه قد يؤدي إلى تخفيض سقف الكفاح أو أنه لا جدوى منه لأن «إسرائيل» لا تحترم قواعد القانون الدولي وتستهين بقرارات الأمم المتحدة.

يعزّز الباحث رأيه من تجربة كفاحية معاصرة وهي تجربة المقاومة الفيتنامية، فعلى الرغم من أن الفيتناميين كانوا يقاومون العدوان الأمريكي على بلادهم، إلّا أنهم كانوا يفاوضون الولايات المتحدة في باريس، وفي الوقت نفسه يؤلبون عليها الرأي العام العالمي والغربي والأمريكي بشكل خاص، وهكذا كانوا يستخدمون ببراعة وذكاء جميع أنواع الكفاح من أدناه إلى أرقاه.

واللجوء إلى الطريق القانوني (محكمة العدل الدولية) هو جزء من الديبلوماسية الناعمة، التي لا ينبغي إهمالها، لما لها من تأثيرات لا تقل وزنًا في عالم اليوم عن أساليب الكفاح الأخرى، في ظلّ الثورة العلمية - التقنية وتكنولوجيا الإعلام والمعلومات، والطور الرابع من الثورة الصناعية واقتصادات المعرفة والذكاء الاصطناعي.

ولعلّ سابقة الذهاب إلى محكمة العدل الدولية بخصوص جدار الفصل العنصري تمثّل تجربة إيجابية ناجحة يمكن البناء عليها، وأن نتائجها كانت لصالح الشعب العربي الفلسطيني، لاسيّما بالقرار الذي اتخذته في 9 تموز / يوليو 2004، والقاضي باعتبار بناء الجدار مخالف للقانون الدولي، وطلبت المحكمة من إسرائيل إزالته من كل الأراضي الفلسطينية بما في ذلك القدس الشرقية وضواحيها، مع تعويض المتضررين من بنائه. فما بالك بقضية القدس المحتلة، خلافًا لقرار الأمم المتحدة 181 لعام 1947 القاضي بإقامة دولتين يهودية وعربية، كما يعدّ انتهاكًا لميثاق الأمم المتحدة الذي لا يقرّ الحصول على مكاسب سياسية بسبب الحرب، فضلًا عن تعارضه مع قراري مجلس الأمن 476 و 478 الصادران في العام 1980 بالضدّ من قرار الكنيست بضم القدس واللذان يعلنان بطلانه وعدم شرعيته.

يتضمن البحث حيثيات مثل هذا الاجتهاد طبقًا للمادة 96، في ميثاق الأمم المتحدة والآليات المقترحة والجوانب العملية التي اتبعها الباحث منذ العام 1995، بما فيها رسائله إلى العاهل المغربي الملك الحسن الثاني، وإلى وزراء الخارجية العرب جميعًا، وكذلك إلى جامعة الدول العربية وأمينها العام عصمت عبد المجيد والأمين العام لاتحاد المحامين العرب فاروق أبو عيسى، وما تمخّض عن ذلك عقد اجتماع في جامعة الدول العربية للخبراء الذي تبنى المقترح الذي اتخذه الملتقى السادس للمنظمة العربية لحقوق الإنسان في لندن.

ويشرح الباحث فحوى الفتوى وخصوصيته المادة 96 والرأي الاستشاري والقرار 181 والدور «الإسرائيلي» في القضم التدريجي، ويوضح الفارق بين الضم والدمج القانوني، الذي تبرره «إسرائيل»، التي تقول أن القدس عاصمة أبدية وموحدة تحت سيادتها، طبقًا للقانون «الإسرائيلي»، خصوصًا وأن الأمر اتّخذ بعدًا جديدًا بعد صدور قانون «الدولة القومية لليهود في إسرائيل» الذي صدر في 19 تموز / يوليو 2018، معتبرًا «إسرائيل» دولة قومية للشعب اليهودي.

ثم يتوقف الباحث عند حيثيات طلب الفتوى، ويختتم بأن لا حل لقضية القدس دون حل القضية الفلسطينية، دون أن ننسى أن عملية طوفان الأقصى 7 تشرين الأول / أكتوبر 2023، وحملة الإبادة ضدّ أهلها من جانب «إسرائيل»، وحّدت فلسطين لا بصورتها المتخيلة، بل بوصفها قائمة وحقيقية ولها الحق في الحياة وتقرير المصير وإقامة الدولة الوطنية وعاصمتها القدس الشريف.

على سبيل الاستهلال قبل ثلاثة عقود من الزمن، وبعد تفكير طويل وتأمل هادئ وقراءة معمّقة للوضع الدولي والإقليمي والعربي، وضمن توازنات القوى آنذاك، بلورتُ مقترحًا لرأي قانوني بخصوص القدس كمحور أساس في الصراع العربي «الإسرائيلي»، وذلك في إطار اجتهاد يمكن للدبلوماسية الفلسطينية والعربية، ببعدها القانوني والحقوقي، اعتماده والإفادة منه على الصعيد الدولي بالاستناد إلى ميثاق الأمم المتحدة.

وكنت قد نشرت منذ العام 1995 عدّة مقالات ودراسات، تشرح وتفسّر وتضع آليات لذلك المقترح والأهداف المتوخاة منه، كما عمدت إلى فتح وتوسيع دائرة الحوار والنقاش والجدل بشأنه، في إطار سؤال محوري: هل يمكن للقضاء الدولي الإفتاء بشأن القدس؟ وبماذا يفيدنا كفلسطينيين وعرب وأصحاب حقّ ؟ ولعلّ الإجابة على ذلك تكمن في الحيثيات التي عملتُ على توضيحها كجزء من مرافعة قانونية.

لم أكتفِ حينها بذلك، بل سعيت إلى تنظيم مؤتمر في لندن في إطار «المنظمة العربية لحقوق الإنسان»، التي كان لي شرف رئاستها، لتكوين تصوّر جماعي لنخبة حقوقية وثقافية وديبلوماسية، وقد التأم المؤتمر تحت عنوان «القدس وحقوق الإنسان»، عرضت فيه مقترحي بشأن طلب رأي استشاري من محكمة العدل الدولية بخصوص القدس، الذي لقيَ اهتمامًا كبيرًا وتساؤلات أكبر بشأن مدى جدواه في أوضاع الصراع العربي - «الإسرائيلي»، باستمرار احتلال «إسرائيل» لفلسطين وبعض الأراضي العربية، وتنكّرها لحق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره بنفسه على أرض وطنه.

وقد تنازع هذا المقترح، الذي كان جديدًا، وجهات نظر مختلفة، فمنها من اعتقد أنه قد يؤدي إلى تخفيض سقف المقاومة، تساوقًا مع اتفاقية أوسلو (1993)، وآخر من يراه اقتراحًا غير واقعي في ظلّ الصراع العنفي والاحتكام إلى القوّة، فضلًا عن أن «إسرائيل» لا تحترم قواعد القانون الدولي، ولا تقيم اعتبارًا للقرارات الدولية، بل أنها ضربت بعرض الحائط عشرات القرارات الدولية، لكن وجهة نظري كانت تستند إلى اعتبارات أخرى؛

أولها قانوني، لاسيّما ونحن نتناول المسألة القانونية؛

وثانيها دبلوماسي دولي، إضافة إلى ما يمكن الضغط به عبر الديبلوماسية الشعبية من طرف المجتمع المدني أيضًا؛

وثالثها فكري، يتناول قضايا الكفاح المتنوّعة والمتشعّبة، وتبدأ هذه من أدناها حتى أرقاها بالتداخل والتفاعل والتكافل، فالمعركة ضدّ العنصرية الصهيونية لا تقتصر على شكل واحد على أهميته أحيانًا، حتى وإن كان الشكل الغالب، كما يعتقد البعض أن الكفاح المسلّح وحده هو الأسلوب الذي ينبغي اتباعه، لكن ذلك لا يقتضي إهمال الأشكال الأخرى، بل ضرورة الاستفادة من أية ثغرة يمكن منها نقض الرواية «الإسرائيلية»، فذلك باعتقادي هو نوع من المقاومة القانونية والديبلوماسية، التي أُهملت فلسطينيًا وعربيًا، في تاريخ الصراع العربي - الصهيوني خلال القرن العشرين كلّه تقريبًا.

لم يترك الفيتناميون شكلًا من أشكال الكفاح، إلّا ومارسوه، ففي الوقت الذي كانوا يقاومون الفرنسيين ومن بعدهم الأمريكيين، فإنهم في الوقت نفسه كانوا يفاوضونهم في باريس ويتحرّكون في أروقة الأمم المتحدة والمنظمات والمؤتمرات الدولية، ويحفزون الرأي العام العالمي لدعم العادلة، وحسب رأيي إن الكفاح السياسي والديبلوماسي والثقافي والإعلامي والاقتصادي وفي جميع الحقول، لا يقلّ أهمية عن الكفاح المسلّح، ولا بدّ من خوضه دون تردّد، فهو شكل من أشكال الكفاح المشروع، الذي يقرّه القانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة، إضافة إلى استخدام جميع أشكال الكفاح من أجل التحرّر ونيل الاستقلال، ولا يمنع سير أي شعب في الطريق القانوني الإبقاء على حقه في مقاومة الاحتلال بالوسائل الأخرى، إذْ أن أي شعب تُحتلّ أراضيه لا ينبغي عليه إلّا مقاومة الاحتلال، وإلّا سيكون شعبًا من العبيد.

وأعتقد، وكما تبيّن التجربة التاريخية، أن الشعب العربي الفلسطيني هو شعب حرّ وجدير بالحياة والحريّة والانعتاق، على الرغم من محاولات الاستعمار الاستيطاني والإجلاء والتهجير والإبادة، التي تعرّض لها خلال الثلاثة أرباع القرن المنصرمة.

رسالة إلى الملك الحسن الثاني

كنت قد وجّهت رسالة بخصوص المقترح القاضي بالتقدّم بطلب برأي استشاري في محكمة العدل الدولية إلى جلالة الملك الحسن الثاني، رئيس لجنة القدس وإلى الدكتور عصمت عبد المجيد، الأمين العام لجامعة الدول العربية، وإلى جميع وزراء الخارجية العرب، أرسلتها عبر سفارتهم في لندن مع أصل المقترح بشأن الفتوى الاستشارية، الذي تبناه الملتقى الفكري السادس للمنظمة في لندن، المشار إليه.

وفي ضوء هذه المبادرة، تواصلت، في حينها، مع اتحاد المحامين العرب وأمينه العام الصديق فاروق أبو عيسى، الذي كان عضوًا معي في مجلس أمناء المنظمة العربية لحقوق الإنسان في القاهرة، ومع الصديق سعيد كمال، الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية، الذي نقل لي تقدير واعتزاز الرئيس ياسر عرفات بالمبادرة، وقد عمل كمال على عقد حلقة نقاش مصغّرة بدعوة عدد من أساتذة الجامعة والمختصين بالقانون لمناقشة هذه الفكرة، التي تم وصفها بالحيويّة، حسب ملخّص لمحضر الاجتماع.

وقد انعقدت الحلقة النقاشية بالفعل في 30 أيلول / سبتمبر 1998 في مصر في جامعة الدول العربية. وطلبت الإدارة العامة

لشؤون فلسطين من السيد فاروق أبو عيسى أخذ الرأي في اقتراح المنظمة العربية لحقوق الإنسان، وهو الاقتراح الذي نشره الأستاذ موسى المزاوي في جريدة الحياة في 24 آب / أغسطس 1998، حول إمكانية نجاح فكرة أن تتقدّم الدول العربية بطلب فتوى أو مشورة من محكمة العدل الدولية حول الوضع القانوني لمدينة القدس.

فحوى الفتوى الاستشارية

تتلخّص فحوى الفكرة في أن تتقدّم الدول العربية بمشروع قرار إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة، بطلب رأيها الاستشاري عبر محكمة العدل الدولية في لاهاي، بخصوص وضع مدينة القدس. والهدف منها تحدّده المادة 96 من ميثاق الأمم المتحدة بشأن طلب المشورة في الأمور التالية:

1. الوضع القانوني لمدينة القدس ضمن الحدود التي نصّ عليها قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 181، الصادر في 29 تشرين الثاني / نوفمبر 1947، والمعروف بـ «قرار التقسيم».

2. مدى شرعية القرار الذي اتّخذته الحكومة «الإسرائيلية»، بعد احتلالها القسم الشرقي من مدينة القدس، في أعقاب عدوان الخامس من حزيران / يونيو 1967، ثم إعلان ضمّها إليها، والمقصود بذلك القسم الخاضع للإدارة العربية، الذي تمّ الحاقه بالقسم الذي تحتلّه «إسرائيل»، والمقصود بذلك قرار الكنيست الصادر في 30 تموز / يوليو 1980، والقاضي بتوحيد المدينة وإعلانها «عاصمة أبدية» لـ «إسرائيل».

3. حقّ العرب وغيرهم من أتباع مختلف الديانات (الإسلام والمسيحية واليهودية) في ممارسة الشعائر الدينية بحريّة في القدس، والتنقل والتجوال فيها.

وكانت الجمعية العامة للأمم المتحدة قد عهدت في الأول من أيار / مايو 1948 بقرارها رقم 186 إلى الوسيط السويدي، الكونت برنادوت، العمل على ضمان حماية الأماكن المقدسة والسعي لإيجاد تسوية سلمية بين الطرفين (العرب واليهود) بعد اعتذار الأمريكي هارولد إيفانتش من أن يكون حاكمًا محايدًا لإدارة مدينة القدس بعد تدويلها. وقد تقدّم برنادوت بمقترحات بشأن القدس تتلخص بما يأتي:

- ضم القدس إلى الدول العربية لاعتبارات سياسية وإدارية وجغرافية.

- منح اليهود حكمًا ذاتيًا بلديًا في القدس – Municipal Autonomy .

- إجراء ترتيبات خاصة للأماكن المقدّسة.

لاقت مقترحات برنادوت سخطًا صهيونيًا شديدًا، خصوصًا رأيه القائل أن القدس تقع وسط الإقليم العربي، وأن أي محاولة لعزلها سياسيًا أو غير ذلك، تنطوي على صعوبات جمّة. وعلى الرغم أن الكونت برنادوت غيّر رأيه وعدّل مقترحاته بشأن القدس، إلّا أن ذلك لم (يغفر) له، إذْ لا شفاعة لدى الحركة الصهيونية، خصوصًا بمقترحاته تلك، فاغتيل في 17 أيلول / سبتمبر 1948. أما المشروع الجديد (المعدّل) الذي قدّمه برنادوت، فإنه يقضي بتدويل القدس، خصوصًا بعد أن مال ميزان القوى العسكري ضدّ العرب.

خصوصية المادة 96

الجدير الإشارة إلى أن المادة 96 من ميثاق الأمم المتحدة، تنصّ على «أن أيّ من الجمعية العامة أو مجلس الأمن أن يطلب إلى محكمة العدل الدولية إفتاءه في أي مسألة قانونية. ولسائر فروع الهيئة والوكالات المتخصصة المرتبطة بها ضمنًا، يجوز أن تأذن لها الجمعية بذلك في أي وقت أن تطلب أيضًا من المحكمة إفتاءها فيما يُعرض عليها من المسائل القانونية الواقعة في نطاق أعمالها».

ويندرج طلب البلدان العربية ضمن اختصاصات الجمعية العامة للأمم المتحدة وصلاحيتها في الطلب من محكمة العدل الدولية تقديم الفتوى الاستشارية في أي مسألة قانونية.

ومن المعلوم أن الرأي الاستشاري ليس ملزمًا، لكنه يفيد صاحب القرار السياسي أي المسؤول التنفيذي (الملك، الرئيس، رئيس الوزراء)، والخبير الذي يقدّم المشورة لصاحب القرار والمفاوض أي الديبلوماسي في آن، وذلك في إطار الديبلوماسية القانونية والثقافية والإعلامية، بما يخدم الهدف السياسي، خصوصًا إذا كان الهدف هو تحريك الرأي العام العالمي وتعميق الوعي بأهمية مسألة القدس بشكل خاص، وفلسطين بشكل عام، ببعدها القانوني والحقوقي والديبلوماسي والإعلامي، فضلًا عن أهميتها الرمزية، ناهيك عن البعد التعبوي على الصعيد الإنساني.

ويمكن للمرء أن يتلمّس الجوانب الإيجابية والمعنوية من المقاومة الديبلوماسية والثقافية والإعلامية من حملة التضامن العالمية ضدّ حرب الولايات المتحدة على فيتنام، وخصوصًا انعكاساتها على الرأي العام الأمريكي والغربي بشكل خاص، والعالمي بشكل عام، فلم يكن ذلك سوى الوجه الآخر للمقاومة الداخلية دفاعًا عن النفس ضدّ الغزاة، وعلى الرغم من اختلاف الوقائع والظروف والاصطفافات الدولية، وشعور الغرب بالذنب لما حصل لليهود في أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية وصعود النازية، فضلًا عن مصلحتهم لخلق «إسرائيل» ودعمها ومدّها بكلّ ما يساعدها على الاستمرار في سياستها التوسعية، فإن العدوان على غزّة بعد عملية طوفان الأقصى (7 تشرين الأول / أكتوبر 2023)، كشف حجم المأزق «الإسرائيلي»، وحراجة الموقف الأمريكي والغربي إزاء دول المنطقة، ناهيك عن شعوبها، فما بالك حين يتعلّق بالقدس، التي لها رمزية خاصة وموقع متميّز في إطار الصراع العربي - «الإسرائيلي».

وإذا كانت القدس مشكلة المشاكل، فإنها قد تكون مفتاح الحل أيضًا، إذْ لا حل للقضية الفلسطينية، إلّا بحل مسألة القدس، وهو ما يمكن استثماره، لاسيّما وأن الآلة الحربية الصهيونية لم تتوقّف عند غزّة، ومحاصرتها منذ العام 2007 والحروب المستمرة ضدّها، وأهمها عمليات الرصاص المصبوب 2008، وعامود السحاب 2012، والجرف الصامد 2014، وما بعد أحداث حي الجرّاح 2021، التي شملت غزّة وما خلف الخط الأخضر، بل هي موجودة وبقوّة أيضًا في الضفة الغربية والقدس كذلك، ناهيك عن عمليات القضم التدريجي والاستيطان والإجلاء والتهجير.

إن إشكالية القدس لا يمكن أن تتوقف أو أن تنتهي، حتى لو افترضنا إمكانية تحقيق حلّ الدولتين على سبيل المثال، وأقيمت الدولة الفلسطينية، ولكنها ستبقى لسنوات طويلة الأمد محطّ أخذ ورد واختلاف وصراع، ولعلّها جزء من المواجهة الشاقة والمضنية، لما لها من تأثيرات نفسية ومعنوية، ليس على الصعيدين الفلسطيني والعربي، وإنما على صعيد السلم والأمن الدوليين والاستقرار والتنمية في هذه المنطقة الساخنة من العالم، لاسيّما إذا قدّرنا أن الصراع سيأخذ أشكالًا جديدة ومتنوّعة بحكم توازنات القوى.

والأمر قد يتوجّب تحركًا دبلوماسيًا وتعاونًا وتنسيقًا بين «دولة فلسطين» والعديد من البلدان العربية، لما تملكه من إمكانات ونقاط قوّة اقتصادية وثقافية ومعنوية، إضافة إلى جهود جامعة الدول العربية ومنظمة التعاون الإسلامي، ويمكن توظيفه في إطار لجنة القدس الدولية، إضافة إلى دعم ومساندة أصدقاء العرب والمناصرين للحق الفلسطيني على المستوى الدولي، ولعلّ ما أفرزته الحرب على غزّة من اصطفافات ستكون مفيدة لمثل تجديد هذا التوجّه.

الرأي الاستشاري والقرار 181

بالعودة إلى قرار التقسيم رقم 181، فإنه يقضي إقامة دولة عربية وأخرى يهودية، ويضمن الفصل الثالث من القرار، اعتبار القدس كيانًا منفصلًا Carpus Separatum، ومستقلًا عن الدولتين المقترحتين، وأخضع القرار المدينة لإدارة الأمم المتحدة وثم تحديد حدودها شرقًا إلى قرية أبو ديس، وغربًا إلى قرية بيت كارم، وشمالًا إلى قرية شعفاط، وجنوبًا إلى مدينة بيت لحم، وتضمّن القرار خريطة توضح هذه الحدود.

وبموجب هذا القرار اعتبرت مدينة القدس حيادية ومنزوعة السلاح، ويمنع التمييز فيها بسبب العرق أو الدين أو اللغة أو الجنس. وعليه يتوجّب على الفتوى تفسير القرار 181، فيما يتعلّق بموضوع الدولة العربية والأخرى اليهودية، وإذا كانت الدولة اليهودية أقيمت بالفعل، فماذا ستقول المحكمة بخصوص حقّ الفلسطينيين في إقامة دولتهم، التي أعلن عن قيامها ولو متأخرًا؟

كما أن إعلان رأي المحكمة بأن القدس بشطريها، هي مدينة محتلّة من طرف واحد «إسرائيل»، يعني التعارض الصارخ مع منطق ومضمون القرار 181، وكذلك يتعارض مع جوهر القرار 194، الخاص بحق العودة، كما يتعارض موضوع الضم مع القرار 242 الصادر في العام 1967 عن مجلس الأمن الدولي، الخاص بالانسحاب «الإسرائيلي» من الأراضي العربية المحتلة.

القدس والقضم التدريجي

عمدت «إسرائيل» إلى إخفاء محاولاتها الاستيطانية والإجلائية بخصوص القدس، وذلك بالاستيلاء التدريجي عليها، خصوصًا وأن عضويتها في الأمم المتحدة كانت مشروطة باحترام حقوق الإنسان وميثاق الأمم المتحدة. وكان آبا أبيان قد صرّح في 5 أيار / مايو 1949 أمام اللجنة السياسية للجمعية العامة للأمم المتحدة، بأن اتهام «إسرائيل» بذلك هو «كاذب وشرير»، وإن أهم ما في سياسة «إسرائيل» في الوقت الحاضر، هو رغبتها في ضمان إقرار الوضع القانوني للمدينة بصورة مرضية وبموافقة دولية.

وعلى الرغم من هذه التصريحات التضليلية، فإن «إسرائيل» خططت لضم القدس منذ انتهاء الحرب العربية - «الإسرائيلية» الأولى، ولاسيّما بعد توقيع اتفاقية الهدنة في جزيرة رودس (اليونان) 1949، التي أبرمت بين «إسرائيل» ومصر ولبنان والأردن وسوريا باستثناء العراق لوضع حد رسمي «للأعمال العدائية» التي اندلعت إثر تأسيس «إسرائيل» في 15 أيار / مايو 1948، وتمّ تحديد خطوط الهدنة «الإسرائيلية» - الأردنية، المعروفة باسم «الخط الأخضر»، وأنشأت الأمم المتحدة وكالات للإشراف على ذلك، واستمرّت الهدنة حتى عدوان 5 حزيران / يونيو 1967.

ففي 17 كانون الأول / ديسمبر 1949، نقلت «إسرائيل بشكل غير شرعي برلمانها ومؤسساتها الحكومية إلى القدس، في حين كانت تقضي قرارات الأمم المتحدة الإبقاء عليها كمدينة محايدة وذات نظام دولي خاص وتُدار من قبل المنظمة الدولية.

وفي العام 1950 أعلنت «إسرائيل» أن القدس عاصمة لها، وبدأت بإدخال قواتها العسكرية إلى المدينة على شكل دفعات، على الرغم من تحريم اتفاقية الهدنة، وذلك في العام 1958 والعام 1961، أقامت «إسرائيل» استعراضات عسكرية في المدينة بالضدّ من اتفاقية رودس والقرارات الدولية الأخرى.

وكرّرت الأمر ذاته في العام 1967، قبيل عدوان الخامس من حزيران، وبعد احتلال القدس الشرقية، قامت «إسرائيل» باستعراضات عسكرية مماثلة، على الرغم من مناشدات مجلس الأمن الدولي والرأي العام العالمي بالامتناع عن ذلك، ورافقت عمليات «التهويد» التدرجية عمليات طرد منظّمة، وتهديم بيوت ومدارس ومساجد، ومحاولات لتغيير معالم المدينة، واستقدام مهاجرين وبناء مستوطنات، كما قامت بتشجيع مباشر أو غير مباشر لمحاولة حرق المسجد الأقصى في 21 آب / أغسطس 1969، وكذلك الاستحواذ على التراث الثقافي للمدينة، الذي أدانته منظمة اليونيسكو أكثر من مرّة وعلى نحو صريح وشديد منذ مؤتمرها السابع عشر في العام 1972.

وفي العام 1979، أعلن رئيس الوزراء «الإسرائيلي» السابق مناحيم بيغن، لدى التوقيع على اتفاقية «كامب ديفيد: «أن أسعد ثاني لحظة في حياتي هي عندما عانق الجنود «الإسرائيليون» جدار حائط المبكى لمسجد داود واسترجاع القدس بعد 1800 عام».

وقد كان بيغن دقيقًا وواضحًا عندما استخدم تعبير «استرجاع»، دليلًا على «الحق التاريخي» و «المسوّغ الأيديولوجي» المدوّن في التوراة، فضلًا عن محاولة الاستخفاف بالرأي العام العربي والإسلامي والمسيحي بخصوص القدس.

الجدير بالذكر، أن سمو الأمير الحسن بن طلال، انشغل بملف القدس منذ نحو خمسة عقود من الزمن، على نحو استثنائي بحثاً وتحليلاً، نظرياً وعملياً. وأستذكر كتاب سموّه الرصين بخصوص القدس والموسوم « القدس- دراسة قانونية» (1979) ، الذي كان تأصيلاً نظرياً وفكرياً ومعرفياً بالاستناد إلى قواعد القانون الدولي بتأكيد عدم شرعية «إسرائيل» في احتلالها للقدس ومحاولة تغيير تركيبتها الديموغرافية وإجلاء سكانها، وقد أعقب هذا الكتاب بكتاب آخر مثّل نظرة ثاقبة ومستقبلية إزاء حقوق شعب فلسطين العادلة والمشروعة والذي كان بعنوان «حق الفلسطينيين في تقرير المصير» (1981) ويعتبر هذان الكتابان مرجعين قانونيين وفكريين مهمّين بشأن القضية الفلسطينية عموماً والقدس خصوصاً.

ولم تتناول «اتفاقية أوسلو» موضوع القدس، فقد ظلّت إحدى النقاط المؤجّلة، التي أصرّت «إسرائيل» على استبعادها من المفاوضات ومن جدول عمل اتفاقية أوسلو في حينها، وتأجيلها حتى يتحقق لها كسب الاعتراف الدولي «بعائديتها»، أو جعل الأمر الواقع «واقعًا»، ودفعتها بعد إصرار المفاوض الفلسطيني إلى المرحلة المتقدمة، والتي كان من المفترض فيها أن تبدأ بانتهاء اتفاقية «الحكم الذاتي» في العام 1999، لكنّها سوّفت، بل إن «إسرائيل» تملّصت منها، مع أنها لا تلبّي مطالب الحدّ الأدنى من الحقوق الوطنية الفلسطينية الثابتة وغير القابلة للتصرّف. وبعد الانتفاضة الفلسطينية الثانية العام 2000، أصبحت «اتفاقية أوسلو» بعداد المندثرة أو «الفاقدة الصلاحية».

القدس والقانون «الإسرائيلي»

منذ قرار الضم ومدينة القدس تخضع للقانون «الإسرائيلي»، حيث أصدر الكنيست قرارًا يقضي بجعل القدس الغربية والشرقية عاصمة موحدة «لإسرائيل»، أي أنها لم تعد تعامل كجزء محتل تنظمه قوانين الاحتلال وفقًا لاتفاقات جنيف لعام 1949، بل اعتبرت جزءًا من الدولة

العبرية، إذْ تلاحقت إجراءات الضمّ بنزع ملكية الأراضي وتغيير التركيب السكاني والواقع القومي واستخدام اللغة العبرية كلغة رسمية في التعامل.

وشدّدت «إسرائيل»، خصوصًا بعد اتفاقية أوسلو، في إجراءات التهويد، حين أصدر الكنيست قرارًا في 21 تشرين الأول / أكتوبر 1993، أي بعد أربعة أسابيع من موافقته على «اتفاقية أوسلو»، يقضي بمنع إجراء تعديلات على حدود مدينة القدس أو مكانتها، إلّا بموافقات خاصة، في محاولة لقطع الطريق أمام أي احتمال للتراجع أو الضغط، ثم أصدر الكنيست قانونًا آخرًا في 10 أيار / مايو 1994، أكّد فيه أن القدس ستبقى موحّدة إلى الأبد تحت السيادة «الإسرائيلية».

وفي 3 آب / أغسطس 1995، أصدرت المحكمة العليا «الإسرائيلية» قرارًا غريبًا يسمح بموجبه لجماعة «أمناء جبل الهيكل»، وهي جماعة يهودية متطرّفة، بدخول الحرم الشريف والصلاة فيه، ولبناء الهيكل القديم، في محاولة اعتبرت خطوة تمهيدية أو بمثابة جسّ نبض لردّ الفعل على خطّة الاستيلاء على المسجد الأقصى.

إن احتفال «إسرائيل» بالقدس بعد ثلاثة آلاف عام له رمزية ودلالة، فالرمزية وفقًا «للسردية الإسرائيلية»، تريد إضفاء طابع تاريخي على أحقية اليهود وأقدميتهم في القدس، أما الدلالة فهي لتأكيد أن موضوع ضمّ القدس لا رجعة عنه، وذلك بمثابة إعلان من جانب «إسرائيل» على موت «اتفاقية أوسلو» ضمن محاولات الضغط الديبلوماسية.

إن تطبيق القانون «الإسرائيلي» على القدس، هو عملية سيادة واضحة للدولة، وإن القانون الذي شرّعته «إسرائيل» بشأن ضمّ القدس، فضلًا عن انعكاساته وتأثيراته الدولية، يعتبر مخالفًا لاتفاقية رودس للهدنة، كذلك لقانون المعاهدات الدولية المبرم في فيينا عام 1969، وبالتالي فإن عملية الضم تُعتبر باطلة ولا شرعية، لكونها تخالف قواعد وقوانين الحرب والاحتلال العسكري، بل والقواعد العامة للقانون الدولي المعاصر وقواعد القانون الدولي الإنساني، ويمكن تقرير بطلانها من خلال تعارضها مع القواعد الآمرة (الملزمة) - Jus Gogens القاضية بعدم جواز ضم الأراضي بالقوّة وفرض الاحتلال باعتباره أمرًا واقعًا وتحويله إلى سلطة فعلية، وهو ما أكده قرار مجلس الأمن الدولي رقم 478 الصادر في 20 آب / أغسطس 1980، أي عدم الاعتراف بشرعية المكاسب السياسية جراء الاحتلال.

إن ضم القدس يتناقض بشكل صارخ مع نص الإعلان العالمي حول منح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمَرة (بالفتح)، والتابعة رقم 1514 لعام 1960 ، الذي يعتبر إيذانًا واعترافًا من جانب الأمم المتحدة بضرورة التصفية العاجلة للكولونيالية وآثارها، وتمكين الشعوب من تقرير مصيرها. كما أن قرار الضم يعتبر تحديًا سافرًا لمبادئ الأمم المتحدة وقواعد العلاقات بين الدول، التي تحرّم استخدام القوّة، وتؤكد على احترام السيادة والاستقلال السياسي ووحدة الأراضي .

فضلًا عن تعارضها مع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عام 1948، والعهدين الدوليين الخاصين بحقوق الإنسان المدنية والسياسية والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لعام 1966، وكذلك تتعارض بشكل صريح وسافر مع التصريح العالمي حول علاقات الصداقة والتعاون بين الدول، الذي عرف باسم «تصريح التعايش السلمي» (الدورة الخامسة والعشرون) ، كما تتناقض بشكل صارخ مع قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 3314 حول «تعريف ماهية العدوان» لعام 1974 (الدورة التاسعة والعشرون).

ويتعارض قرار الضم مع اتفاقيات جنيف الأربعة الصادرة في 12 آب / أغسطس 1949، وبخاصة الاتفاقية الرابعة حول وضع الأراضي المحتلة وحال السكان المدنيين كذلك مع البروتوكولين الملحقين الصادرين عن المؤتمر الديبلوماسي المنعقد في جنيف 1977.

الجدير بالذكر أن الكنيست أصدر قانون «الدولة القومية لليهود في إسرائيل»، وهو قانون أساسي يعرّف «إسرائيل» باعتبارها دولة قومية للشعب اليهودي، وبموجب القانون تكون اللغة العبرية هي اللغة الرسمية في «إسرائيل»، وهكذا تفقد اللغة العربية صفتها الرسمية، كما أن الهجرة إلى «إسرائيل» هي لليهود فقط، الذين يُمنحون حقوق المواطنة، في حين أن المواطنين العرب، وهم أهل البلاد الأصليين، يحرمون منها، ويعتبرون مقيمين، كما جرت الإشارة إليه، ولاسيّما في القدس.

ولا شكّ في أن هذا القانون العنصري يؤسس لدولة الأبرتايد، حيث نص القانون على أن «إسرائيل» هي «الوطن التاريخي للشعب اليهودي» و «أن حق تقرير المصير فيها يخصّ الشعب اليهودي فقط»، واعتبر رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو بعد التصويت على القانون، أنها لحظة فارقة في تاريخ الصهيونية وتاريخ دولة «إسرائيل».

عودة إلى مقترح الفتوى الاستشارية

حث المشروع المقترح الذي عرضته على الملتقى الفكري السادس للمنظمة العربية لحقوق الإنسان في لندن والموسوم «القدس وحقوق الإنسان» في 16 أيار / مايو 1998، الحكومات العربية على أن تتقدّم في وقت مبكّر بمشروع قرار إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة لطلب المشورة أو الفتوى من محكمة العدل الدولية في لاهاي بخصوص وضع مدينة القدس.

واقترح مشروع القرار أن يسبق طلب المشورة تحضير دراسة على مستوى عال في القانون الدولي تركز على احتمالات أن تأتي المشورة أو الفتوى من محكمة العدل الدولية بنتائج إيجابية للإنسان الفلسطيني والعربي.

ولعلّ تفسير مصطلح «الوضع القانوني»، حسب القرار 181، كما بيّنا، يعني بقاء القدس كيانًا منفصلًا ومستقلًا وثابتًا لإدارة دولية.

لكن «إسرائيل» نادرًا ما تحدّثت عن موقفها الحقيقي والفعلي من القدس ومن عمليات التهويد، التي عملت عليها طيلة السنوات التي سبقت عدوانها في العام 1967.

إن ما كانت «إسرائيل» تقوم به هو القضم التدريجي للمدينة، حيث دأبت على نقل الكنيست ومؤسساتها الحكومية إليها وأعلنتها عاصمة لها، وبدأت بإدخال قواتها العسكرية إليها، فضلًا عمّا رافق ذلك من عمليات إجلاء وتهديم بيوت ومدارس ومساجد، ومحاولات تغيير معالم المدينة بنزع ملكية الأراضي وفرض اللغة العبرية وتغيير التركيب السكاني والواقع القومي، وإضفاء الصبغة الأيديولوجية على الأماكن المقدسة، بزعم الحق المعلن في التوراة.

وانتقلت «إسرائيل» من عمليات «القضم» التدرجي إلى عمليات الاحتلال الفعلي للقسم الشرقي (العربي) العام 1967، ومن ثم أعلنت عن ضمها في العام 1980، وفرضت القوانين «الإسرائيلية» عليها، وهو الأمر الذي دفع مجلس الأمن الدولي إلى إدانة «إسرائيل»، بالقرارين 476 و478 العام 1980، واعتبار قرارها باطلًا من أوله إلى آخره حسب الشرعة الدولية».

الفارق بين الضم والدمج القانوني

وفي الواقع أن التبريرات القانونية التي تسوقها «إسرائيل»، تختلف عن التبريرات القانونية الدولية، فهي تتحدّث عن الدمج القانوني أو التكامل القانوني Legal Integration، وليس ذلك سوى الضم Annexation. وظلّت تتعامل مع الفلسطينيين، أبناء القدس الشرقية، باعتبارهم «مقيمين دائمين - Permanent Residents»، وليسوا مواطنين يتمتعون بالجنسية والحقوق.

وحسب قانون العودة «الإسرائيلي» لعام 1952 وتعديلاته لعام 1974، يتعرّض المقيم الدائم إلى فقدان حقّه في الإقامة إذا عاش في بلد أجنبي لمدة 7 سنوات أو حصل على حقّ الإقامة الدائمة في هذا البلد أو على جنسيته، وهو ما يغيّر وضعه القانوني، فهناك الكثير من الإجراءات الإدارية لتعطيل حركته .

ومنذ العام 1967، وبشكل خاص بعد ضم القدس في العام 1980، أصبح الفلسطينيون مواطنين من الدرجة الثانية أو الثالثة، حسب تصريحات عمدة القدس الأسبق، تيدي كوليك، البالغة الصراحة والأهمية، والذي أشار إلى أن بناء المستوطنات يعني «بناء الكراهية» .

الحيثيات القانونية لطلب الفتوى

يمكن إجمال أهم الحيثيات القانونية التي تستند إليها في طلب التقدّم بالفتوى بشأن القدس من محكمة العدل الدولية، بعد موافقة الجمعية العامة للأمم المتحدة، ولصانع القرار الفلسطيني أن يتسلّح بها، فضلًا عن الداعم العربي والمساند من البلدان الإسلامية والصديقة.

أولًا - أن المحكمة لا يمكنها رفض طلب تقديم المشورة أو الفتوى، لأنها جزء من الأمم المتحدة، وملتزمة بميثاقها ونظامها الأساسي.

ثانيًا - إن طلب المشورة في شكله بريء ومنطقي، حتى وإن استهدف شيئًا آخر، حيث يمكن اللجوء إلى القضاء في مثل هذه المسائل المختلف عليها، وإن كانت اختصاصات المحكمة تتعلّق بالدعاوى ذات الطبيعة المدنية وليست الجنائية، وذلك عوضًا عن التسليم بسياسة الأمر الواقع الحاصلة بسبب الاحتلال.

ونظرًا لشرعية الحق العربي، وعدالة القضية الفلسطينية، وللمكانة التاريخية والحضارية للقدس، ووفقًا للقرار 181، فإنه لا يمكن تجاهل وجود الفلسطينيين ودورهم وبخاصة في القسم الشرقي، وبالتالي فإن حكم المحكمة سيكون لصالحهم بالتأكيد، وليس كما تشكّك بعض الأصوات التي لا تريد أي جهد قانوني وديبلوماسي يكرّس لهذه القضية بحجّة عدم جدواه، علمًا بأن القدس هي مدينة ذات كيان خاص ومستقل (منفصل)، وبالتالي سيكون ما قامت به «إسرائيل»، يخالف قواعد القانون الدولي المعاصر، وعليه يمكن للمحكمة أن تُبطل جميع إجراءاتها وتطالبها بالتعويض عمّا لحق بالعرب الفلسطينيين من غبن وإجحاف، بسبب إجراءاتها غير القانونية.

ثالثًا - إن طلب المشورة لا يحتاج إلى أكثر من غالبية بسيطة في الجمعية العامة، ولا تملك أي دولة من أعضاء الأمم المتحدة حق رفض أو اتخاذ إجراء بالفيتو Veto، وللعرب والمسلمين أصدقاء يمكن حشدهم لهذا الطلب القانوني المشروع واليسير، «حق الذهاب إلى محكمة العدل الدولية لطلب رأيها الاستشاري بشأن القدس».

رابعًا - حين تتسلّم محكمة العدل الدولية الطلب، فإنها ستقوم بتعميمه على الدول الأعضاء في الأمم المتحدة، طالبة منهم الإدلاء برأيهم في وقت محدّد، ويمكن لأية جهة غير حكومية أو لأي إنسان عادي التقدّم بالرأي خطيًا بخصوص هذا الموضوع، وتقرّر المحكمة في ما بعد عقد الجلسات العلنية للمناقشة، وهكذا سيكون بإمكان الفلسطينيين والعرب تقديم دفوعاتهم القانونية ضدّ الإجراءات «الإسرائيلية» المنافية للقانون.

خامسًا - يمكن للمحكمة، لحين الانعقاد، والنطق بالحكم النهائي، إصدار أمر لمنع الدول الأعضاء في اتخاذ قرار بشأن نقل سفاراتها إلى القدس.

وإذا كان ثمة تردّد من الذهاب إلى الرأي الاستشاري قبل ثلاثة عقود من الزمن، حيث لم تكن هناك سابقة يمكن الاستناد إليها، فإن قرار محكمة العدل الدولية في 9 تموز / يوليو 2004، بشأن الجدار الفاصل في الضفة الغربية، يمكن أن يكون نموذجًا ناجحًا من جانب الديبلوماسية الفلسطينية، التي استخدمته بذكاء وحنكة، حيث تقدّمت إلى الجمعية العامة للحصول على الرأي الاستشاري من محكمة العدل الدولية، وهذه الأخيرة أحالت طلبها، بتاريخ 8 كانون الأول / ديسمبر 2003 إلى محكمة العدل الدولية، حيث صدر قرارها المذكور باعتبار الجدار غير شرعي، استنادًا إلى أحكام القانون الدولي، لأنه يرسّخ فكرة الضم والإلحاق، ويخالف اتفاقية لاهاي لعام 1907 بشأن قوانين الحرب وأعرافها، ويحرم الشعب العربي الفلسطيني من تقرير مصيره، إضافة إلى أنه ينتهك حقوق الإنسان، وطالب القرار بإزالة الجدار من كلّ الأراضي الفلسطينية، بما في ذلك القدس الشرقية وضواحيها، وتعويض المتضررين من بناء الجدار.

ولعمري أن مثل هذا الأمر ينطبق تمامًا على وضع القدس، لذلك فإن التقدّم برأي استشاري بخصوصها ستكون نتيجته لصالح الفلسطينيين والعرب في المعركة الديبلوماسية القانونية، ناهيك عن جانبها الإعلامي والتعبوي والنفسي في المعركة المتعدّدة الجوانب بخصوص حقوق الشعب العربي الفلسطيني. وإذا كانت القوى المتسيّدة والمتنفّذة في العلاقات الدولية لا تحترم القانون الدولي، فضلًا عن تجاوزها عليه وتشجيعها على العدوان، فإن القوى الضعيفة لا سبيل لها في الميدان الدولي والديبلوماسي، إلّا باللجوء إلى القانون الدولي طالما أنها صاحبة حق.

وأعتقد أن الذهاب إلى محكمة العدل الدولية سيحرج حتى حلفاء «إسرائيل» الذين نقلوا سفاراتهم إلى القدس أو يريدون نقلها كما فعلت الولايات المتحدة يوم أقدم الرئيس دونالد ترامب (2017) على تنفيذ القرار الذي اتخذه الكونغرس الأمريكي في العام 1995، وقام بتأجيل تنفيذه كلّ من كلينتون وبوش الابن وأوباما، في حين أقدم هو عليه، داعيًا العرب للانضمام إلى ما أسماه «صفقة القرن»، علمًا بأن قرار الكونغرس بنقل السفارة والاعتراف بأن القدس عاصمة لدولة «إسرائيل» يتعارض مع ميثاق

الأمم المتحدة والشرعية الدولية، التي لا تقر «الحق» بالحصول على مكاسب سياسية بسبب الحرب، كما أنه يتعارض مع قراريْ مجلس الأمن 242 لعام 1967 و 338 لعام 1973، وللقرارين 476 و 478 المشار إليهما.

بدلًا عن الخاتمة

يوم كتب الشاعر الكبير محمود درويش «إعلان استقلال فلسطين» في الجزائر في اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني 1988، خصّ القلب من فلسطين «القدس الشريف»، واليوم وبعد 75 عامًا على النكبة، تعود فلسطين بقلبها النابض مجددًا إلى الخريطة السياسية، موحّدة واقعية، وليست متخيّلة أو تلك المقروءة في الكتب على أهميتها، فالفواجع والنوائب توحّدها أيضًا، وهو ما شاهدناه في أحداث حيّ الجراح وأحداث غزّة بعد عملية طوفان الأقصى... وكيف لا؟ ففي القدس ولد وعاش ومات السيد المسيح، وفيها القبر المقدس وكنيسة المهد وحديقة الجثسيمانية وجبل الزيتون وفيها 38 كنيسة، كما أنها مكان مقدس للمسلمين، فهي أولى القِبلتين وثالث الحرمين، وتأتي مكانتها بعد مكة والمدينة، وفيها مسجد الصخرة، ومنها عرّج الرسول محمد (ص) إلى السماء في رحلة المعراج، وفيها 34 مسجداً وجامعاً (27 منها في المدينة القديمة والبقية خارج أسوارها)، ومن هنا تكتسب القدس أهميتها ومكانتها.

ولأن كل شيء يبدأ من القدس وينتهي إليها، والأمر يتعلّق بالرواية والصراع والميثولوجيا والتاريخ والقانون، لأنها مدينة فريدة ولها تاريخ فريد ومشكلتها فريدة، خصوصاً ارتباطها بثلاث ديانات سماوية هي: اليهودية والمسيحية والإسلام. وخلال تاريخها الذي يقارب 40 قرناً، تعرّضت المدينة إلى الحصار 20 مرّة، وإلى التدمير 17 مرّة، وتناوب على حكمها أقوام وأعراق ومِلَلٌ ونِحلٌ، ومجموعات مختلفة زادت على 25 «دزينة»، وتنازعت عليها قوى وجهات ومصالح دولية مختلفة؛ ولكنها كانت تنهض مثل طائر الفينيق كالعنقاء لتجدّد نفسها، وتنبعث من جديد.

وعلى الرغم من الصراع والاحتراب والغزو الخارجي الذي عانته المدينة، إلاّ أنها عاشت نوعاً من التسامح، وخصوصاً بعد الفتح الإسلامي لها ودخول الخليفة الثاني الفاروق عمر بن الخطاب (رض) إليها، بصحبة البطريرك صفرونيوس، في العام 15 للهجرة، وصادف أن كان الخليفة عمر في كنيسة القيامة، وحان موعد الصلاة، فدعاه البطريرك للصلاة فيها، إلاّ أنه اعتذر بحكمةٍ وبُعد نظر تحسّباً لمن سيأتي من بعده، ويقول أنها أرض المسلمين لأن خليفتهم صلّى فيها، وقام وصلّى بالقرب منها، حيث تمّ بناء جامع باسمه لاحقاً، وعمل الخليفة عمر بن عبد العزيز المعروف بـ «الخليفة العادل» على توسعة جامع عمر الكبير، وما يزال إلى اليوم دليلاً على التسامح والتعايش الذي عرفته المدينة في تاريخها، حتى بعد حروب الفرنجة، وقد تحرّرت القدس على يد القائد صلاح الدين الأيوبي في معركة حطين في العام 1187.

وبدأ فصل جديد من الصراع الدولي على القدس في القرن العشرين، وخصوصًا بعد ظهور المشروع الصهيوني المعاصر إلى العلن في مؤتمر بال (بازل)، المدينة السويسرية في العام 1897، الذي دعا إلى إقامة دولة لليهود، استنادًا إلى كتاب عرّاب الحركة الصهيونية ثيودور هيرتزل «دولة اليهود The Jewish State -»، أصدره قبل عام من المؤتمر (1896).

وكثّفت الصهيونية جهودها مع العديد من الدول والجهات لفتح باب هجرة اليهود إلى فلسطين، وتوّجته بالحصول على وعد بلفور العام 1917 من اللورد آرثر جيمس بلفور، وزير خارجية بريطانيا، وذلك بعد اتفاقية سايكس بيكو ، حيث بدأ تدفّق الآلاف من اليهود إلى فلسطين واستيطانهم فيها.

ولعلّ الفصل الأكثر دراماتيكية للصراع على القدس كان قد بدأ بصدور القرار 181 في 29 تشرين / الثاني 1947، والمعروف بقرار التقسيم، ومن ثمة قيام «إسرائيل» في 15 أيار / مايو 1948، حيث سيطرت على القسم الجديد من مدينة القدس، وبعد عدوان العام 1967 على مصر وسوريا والأردن، قامت باحتلال القسم الشرقي من القدس التي ضمّتها بقرار من الكنيست في العام 1980، كما ورد ذكره، بالضدّ من قواعد القانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة، وأعلنت «إسرائيل»، حينها، القدس عاصمة أبدية موحدّة لها.

ولذلك يأتي مشروع طلب الرأي الاستشاري من محكمة العدل الدولية منسجمًا مع التطورات الحاصلة في جبهة الكفاح على الصعيد الديبلوماسي، والقانون هو الأمر التي ظلّت «إسرائيل» تتهرّب منه منذ تأسيسها وإلى اليوم، خصوصًا وأنها متّهمة بارتكاب جرائم، أقلّها، حرب إبادة وجرائم ضدّ الإنسانية وجرائم حرب.

إن طلب الفتوى يعني فيما يعنيه، لفت أنظار العالم وأعضاء الأمم المتحدة مجددًا إلى تلك الجرائم، وفقًا لميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولي، فضلًا عن التأكيد على عدالة الحق الفلسطيني وحضارية ومدنية وإنسانية مطالبهم المشروعة، ولجوئهم إلى جميع أنواع الكفاح من أجل التحرّر والانعتاق والاستقلال، ولهذا يكتسب اللجوء إلى القانون والقضاء الدوليين للإفتاء بشأن مدينة القدس أهميةً جديدةً في إطار المعركة الديبلوماسية والقانونية.

ولعلّ من شأن هذا الطلب أن يعيد إلى الأذهان تعهد الدول باحترام الالتزامات الناشئة عن المعاهدات الدولية وغيرها من مصادر القانون الدولي، لاسيّما الحفاظ على السلم والأمن الدوليين، واللجوء إلى الوسائل السلمية لحلّ المنازعات الدولية طبقًا لمبادئ العدل .

لقد ظلّت «إسرائيل» تتشبّث بالحرب لتحقيق مكاسب إقليمية وسياسية، وتعتبرها الوسيلة المفضّلة لفضّ النزاعات، ولذلك فإن اللجوء إلى القضاء والقانون، هو أكثر ما تخشاه على الصعيد الديبلوماسي، بل إنه سيزيد من إحراجها وعزلتها على المستوى الدولي، ويظهرها ك «دولة» مارقة وخارجة عن القانون، ولهذه الأسباب وقفت موقفًا سلبيًا من اتفاقيات جنيف لعام 1949 وبشكل خاص من ملحقيها بروتوكولي جنيف لعام 1977، وكذلك من نظام محكمة روما لعام 1998، خصوصًا حين يتعلّق الأمر بالاستيطان، حيث سعت لتعطيل إنشائها، ولكنها قرّرت في اللحظات الأخيرة التوقيع على ميثاقها، وحين دخلت حيّز النفاذ في العام 2002، انسحبت منها، وفعلت الولايات المتحدة الشيء نفسه.

إن الطريق القانوني الذي ينبغي على صاحب القرار الفلسطيني والعربي اعتماده، هو جزء من الديبلوماسية الناعمة، التي تشكل في عالم اليوم قوة هائلة ومتنوعة سياسية واقتصادية وعلمية وتكنولوجية وثقافية وإعلامية وغيرها، يمكنها أن تصبّ في الاستراتيجية العامة، والتي تضع الأهداف في إطار السياسة الخارجية لدولة فلسطين وللدول العربية وتستخدم أساليب وتكتيكات مختلفة ومتغيّرة بما ينسجم مع تطوّر الأوضاع، وصولًا إلى تحقيق الهدف.

السردية الفلسطينية الحديدة

د. لبيب قمحاوي ـ باحث وكاتب سياسي/الأردن

اختلفت معايير السردية الفلسطينية التقليدية على أرض الواقع والتجربة كما تم مؤخراً في الحرب الدائرة على إقليم غزة والضفة الفلسطينية. فقد ساهمت المقاومة البطولية التي يخوضها الشعب الفلسطيني في إقليم غزة والضفة الفلسطينية في نقل السردية الفلسطينية من حالتها الرثائية والاستعطافية العاطفية وإصرارها اللفظي على التغني بما كان من حقوق تاريخية وإرث ثقافي إلى تغيير نوعي تصبح فيه السردية الفلسطينية تعبيراً على بطولات وتضحيات وانتصارات وآمال عريضة وندِّية في التعامل مع العدو الاسرائيلي عوضاً عن الاستجدائية التقليدية في التعامل مع ذلك العدو البائس.

السردية الفلسطينية الجديدة لن تقطع تواصلها مع السردية الفلسطينية التقليدية فهي في أصولها امتداد لها، ولكنها سوف تتعامل معها بانتقائية تتناسب والسردية الجديدة وهي كما أوضحنا سردية نضالية وليس رثائية أو بكائية. فقد نَقَل الفلسطينيون في إقليم غزة مآسي وصعوبات الاحتلال والحصار الاسرائيلي، في السردية التقليدية، إلى الأمل في المستقبل وإلى ربط التضحيات بالإنجاز النضالي وعدم الاكتفاء بتلقي الضربات من الاحتلال.

المتغيرات في الحالة السردية الفلسطينية تميزت ببطئ مسارها وانسجامها مع التفكير التقليدي الذي حَكَمَ المسيرة الفلسطينية لعقود وإخضاعها لتيارات إقليمية ودولية متناقضة، وفي أحيان أخرى متصارعة في رؤيتها ومصالحها وتأثير ذلك على مفردات وأولويات السردية الفلسطينية، في الوقت الذي قام فيه الاحتلال الاسرائيلي بتطوير سرديته الخاصة به بالرغم من أنها تفتقر في أصولها إلى أي حقيقة تاريخية، بل تستند في واقعها إلى منطق القوة التي تستطيع فرض إرادة القوى على الضعيف، وتمكنه من إعادة كتابة التاريخ بالطريقة التي تناسبه وضمن منظوره الخاص .

قدرة الفلسطينيين المستندة الآن إلى قوة موقفهم المقاوم لا تحتاج إلى إعادة كتابة أو إلى اختراع سردية فلسطينية كاذبة كما فعل العدو الصهيوني، بقدر ما يتوجب أن تعبر عن نفسها بسردية مستندة إلى واقع الصمود والتحدي والمقاومة الصلبة التي تعطي السردية الفلسطينية التقليدية منظوراً جديداً يدمج الشرعية التاريخية بالصمود والاستعداد للتضحية مهما بلغت شراسة العدو وقدرته على القتل والتدمير .

إن إعادة تعريف السردية الفلسطينية يجب أن يتم من مدخل الندية التي تدمج بين الشرعية التاريخية والندية المستندة إلى الاستعداد للتضحية في أعظم صورها كما يحصل الآن في إقليم غزة والضفة الفلسطينية، هذه السردية الجديدة التي تعبر عن نفسها بالندية التي أثبتتها المقاومة الفلسطينية في تعاملها مع العدوان الوحشي الاسرائيلي الأخير على إقليم غزة والضفة الفلسطينية، والتي مَكَّنَتْ الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال والحصار من التعامل مع العدو الصهيوني نداً بند مهما بلغت امكانات العدو الصهيوني الاسرائيلي العسكرية والتكنولوجية من قوة .

التضحيات والصمود الفلسطيني امتد في إثارة الإنسانية ليلمس قلوب ومشاعر آلاف الشباب في مختلف أنحاء العالم والذين عبروا عن مشاعرهم بوضوح من خلال رفضهم للعدوان والاحتلال الاسرائيلي. وقد أصبح هذا الموقف جزأً من السردية الفلسطينية الجديدة التي نجحت في التعبير عن القضية الفلسطينية التي انتقلت من كونها قضية محلية إلى أن أصبحت الآن قضية إنسانية عالمية تمس مشاعر الشباب في كل العالم وتعبر عن نفسها من خلال رفض الظلم والظالمين. وبهذا نجحت المقاومة والصمود والتضحيات الفلسطينية في تعزيز البعد الإنساني العالمي للقضية الفلسطينية الأمر الذي استقطب تأييد وتعاطف الكثيرين في العالم خصوصاً أجيال الشباب وطلبة الجامعات. وهذا الأمر يعطي للسردية الفلسطينية بعدها العالمي الجديد الذي يتجاوز البعد السياسي الذي قد لا يتفق عليه الجميع إلى البعد الإنساني الذي يتفق عليه الجميع ويتعذر على العدو الاسرائيلي نقضه أو التنصل من تبعاته.

السردية الفلسطينية يجب أن تعكس الحقوق والواقع والآمال الوطنية وهي لذلك يجب أن تكون سردية تتطور بما يتناسب وتطور مكوناتها وأساليبها خصوصاً النضالية منها.

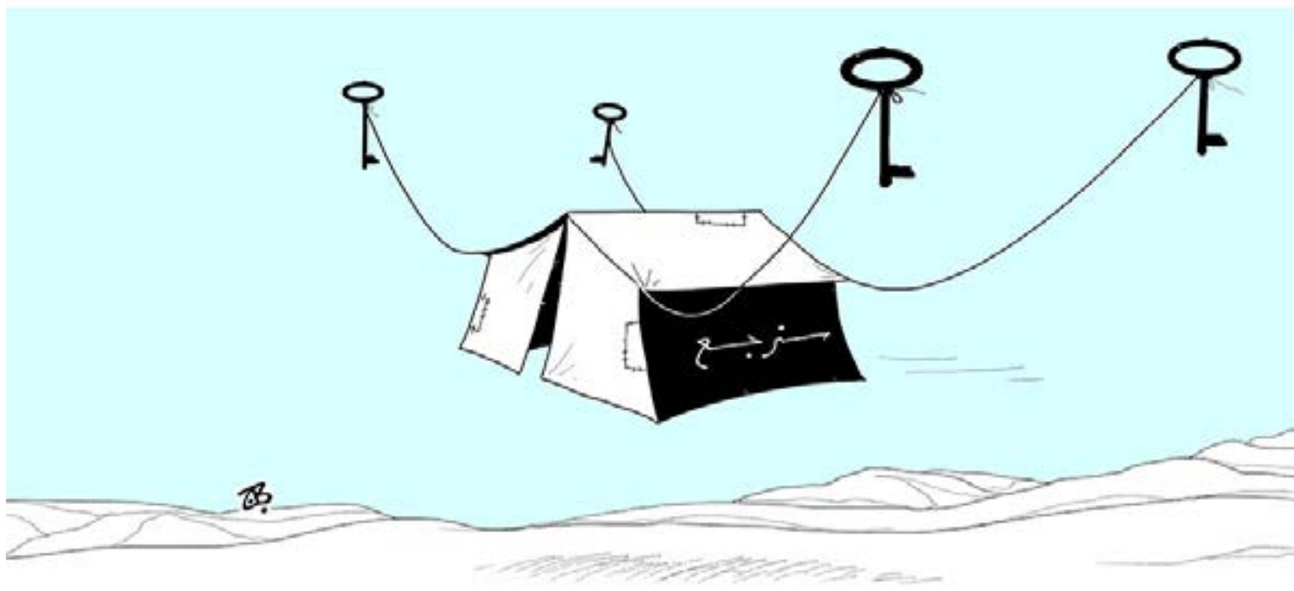

عودة الوهج لسردية مفتاح العودة

رضي الموسوي - كاتب صحفي - البحرين

«إن السيطرة على السرد، وفرض رواية وحيدة، يتم الترويج لها في المؤلفات التاريخية على أنها الرواية الصحيحة والوحيدة التي لا جدال فيها، قد يكون وراء إنشاء أرضية صلبة لفكرة (الحق الديني) في مشروع اغتصاب فلسطين».

(المفكر والباحث العراقي فاضل الربيعي)

لم تكن النكبة التي جائت في لحظة تيه وهوان وتخاذل عربية وتآمر دولي لإنشاء كيان استيطاني في خاصرة الوطن العربي، نتاج لحظتها، بقدر ماهي تراكم كمي لفعل ممنهج أريد منه إضعاف الأمة التي بدأت في بعض أقاليمها تنتج ثروات طبيعية هائلة (النفط) من شانها نقل الوطن العربي الكبير من حال الفقر وتردي البنى التحتية إلى حال أفضل لو تم التفرغ للتنمية والإهتمام بالإنسان في هذه المنطقة. لكن قرار التقسيم سلب الأرض من أهلها واصحابها الأصليين ومنحها لمحتلين جاءوا من أصقاع الدنيا ليستوطنوا في فلسطين وصوروها زورا أنها أرض الميعاد.

سبعة عقود ونصف العقد مضت على ذكرى النكبة، كان مفتاح العودة عنوانها الأبرز، رغم كل محاولات طمس الذاكرة وشطب السردية الفلسطينية وتقديم السردية الصهيونية الاستعمارية-الاستشراقية مكانها. إلا أن هذا العام يختلف عن غيره من الأعوام والعقود السابقة، ذلك أن السردية الفلسطينية وبعد كل هذا الزمن من التزييف كأن فلسطين تلد من جديد بفضل مقاومتها ومن ورائها شعب عظيم خبر المِحن والأهوال التي لم تمر على شعب كما هي محن غزة الآن.

تحدث الآن تغيرات كبرى في الوعي الشعبي العالمي يمكن البناء عليها للفعل المستقبلي، أحدثتها عملية طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر 2023، وما أعقبها من انكشاف لحقيقة الكيان الذي تغنى بوجوده كواحة ديمقراطية في صحراء استبدادية تحيطه من كل جانب، فإذا بالاقنعة تسقط تباعا وتتكشر أنياب النازية الجديدة في قطاع غزة على شكل حرب إبادة جماعية وتطهير عرقي وجرائم حرب لتتأكد طبيعة هذا الكيان ومهمته الوظيفية كقاعدة عسكرية متقدمة للإستعمار الغربي والليبرالية المتوحشة المتعاقبة على قيادة العالم.

من أهم النتائج الرئيسية للطوفان، هي تغير سردية الصراع العربي الصهيوني في أوساط الرأي العام العالمي. فرغم قدرات الاحتلال التدميرية الهائلة التي تزوده بها الإدارات الأمريكية والدول الغربية المتحالفة معها، إلا أنه جيش عاجز عن المواجهة، فلجأ إلى الهروب للأمام بالإبادة الجماعية التي يرتكبها الآن في قطاع غزة والضفة الغربية والقدس. هذا أدى إلى تضعضع السردية الصهيونية التي يروج لها بأنها واحة الديمقراطية في الشرق الأوسط، فتبين للعالم وشعوبه وقواها الحية بأن هذا الكيان لا يستطيع البقاء دون دعم من القوى العالمية الكبرى التي أوجدته.

شكلت الهبّات الطلابية في أمريكا والدول الغربية ودول العالم التي قامت بها مئات الجامعات والحراكات الشعبية التي سبقتها وترافقت معها، رافعات عملاقة خلخلت السردية الصهيونية، وبينت أن «إسرائيل» هي دولة مارقة وخارجة على القانون الدولي ولا تعترف بالمعاهدات الدولية المنظمة للعلاقات بين الدول بما فيها قواعد الحروب، وذلك بإمعانها في تعمد قتل المدنيين وخصوصا الأطفال والنساء، الأمر الذي أوقع السردية الكيان في مقتل، فلم تعد مقولة «معاداة السامية» تجذب الرأي العام، إنما بدأت تعطي مفاعيل عكسية، بعد أن استخدمت الحركة الصهيونية العالمية هذا الشعار من أجل التغطية على جرائم الاحتلال. كما كشفت المجازر الجماعية وتدمير المدارس والمستشفيات الجزء الأكبر من حقيقة العدو وفاشيته وحرب إبادته.

إن البناء على مكتسبات عودة السردية الفلسطينية إلى الواجهة وبدء تبنيها من قبل الرأي العام العالمي وخصوصا الشباب الجامعي الذي شكل موقفه علامة فارقة مهمة في الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن طوى السردية الصهيونية وبدأ في تبني السردية الفلسطينية التي تؤكد على الحق والعدالة، هذا البناء يتوجب التعويل عليه واستحضار دروس التاريخ لتعزيزه. فما قام به طلبة الجامعات الامريكية تجاه غزة وفلسطين يُذكّر بما قامت به الجامعات والشارع الامريكي نهاية ستينات القرن الماضي إبان حرب فيتنام. فقد قادت هذه التحركات إلى خضة كبرى في الولايات المتحدة وأدت في نهاية المطاف إلى هروب الجنود الامريكان من فيتنام على وقع ضربات المقاومة هناك وتحرير سايغون وإعلان الانتصار الكبير في الهند الصينية. تحرك الجامعات في العالم لنصرة فلسطين قلب الطاولة على مراكز صنع القرار واللوبيات الصهيونية المتعددة وأسس حالة جديدة لتقديم سردية أخرى للصراع العربي الصهيوني ..وللنكبة.

وهج مفتاح العودة

قامت الدولة الصهيونية على ترويج الأساطير التوراتية التي بدأ يتكشف زيفها مع وجود الدراسات الجديدة للمفكرين والبحاثة في علم الأساطير، ومع البحث المضني في الوثائق الصهيونية التي يعود تاريخها لما قبل النكبة واثنائها وبعدها.

يسهم المفكر فاضل الربيعي في كشف الزيف الصهيوني، مثيولوجيا، فيجزم أن السبي البابلي «لم يحدث في فلسطين قط، ولم تعرف أرضها ولا تاريخها مثل هذا الحدث الضخم». ويعزي الترويج لحصولها في فلسطين إلى مرجعية تعود إلى تلفيق القراءة الاستشراقية للتوراة، بإحتكار السردية في إطار يهود امريكا وأوروبا، ويؤكد أن الغرض من هذا الاحتكار المنهجي والمنظم للسرد التاريخي لموضوعة السبي البابلي الذي حدث قبل قرون طويلة، تتصل مباشرة برواية أخرى عن التطهير العرقي والإبادة الجماعية التي يشكل ما يجري الآن في غزة امتدادا لها، بل أنه ومنذ إطلاق وزير الخارجية البريطاني، بلفور، وعده في 2 نوفمبر 1917 بمنح وطن قومي لليهود في فلسطين، زاد من احتكار الرواية التي تخدم الدوائر الصهيونية والغربية وتُعبد الطريق إلى إغتصاب فلسطين واستيطانها.

بجانب الربيعي، حفر الباحث والأستاذ الاكاديمي اليهودي، إيلان بابيه، ليفصل في الراهن ما ذهب له الأول تاريخيا وميثولوجيا، وفعل كذلك مجموعة من الباحثين الفلسطينيين والعرب. بابيه فنّد الرواية الصهيونية عن النكبة من وثائق العصابات الصهيونية نفسها، وأكد على السردية الفلسطينية التي تقول أن العصابات الصهيونية، مدعومة من قوات الانتداب البريطاني، نفذت مجازر ضد المدنيين الفلسطينيين في نحو 50 قرية وبلدة فلسطينية قبل الحرب العربية الصهيونية في العام 1948، وأصّل للموقف الصحيح بكشفه حقائق دامغة في كتابه «التطهير العرقي في فلسطين»، معتمدا على الوثائق التي بحوزة عصابات شتيرن والهاغانا وأرغون والبلباح الصهيونية.

يؤكد بابيه، الذي كان أستاذا في جامعة حيفا وتم طرده منها بسبب آراءه المناهضة للصهيونية وانتقل إلى جامعة إكستر في بريطانيا، أن التطهير العرقي والإبادة الجماعية بدأت قبل قرار التقسيم والحرب العربية الصهيونية. وجزم أيضا بأن مؤسسي الصهيونية - من ثيودور هرتزل إلى ديفيد بن غوريون - كانوا يخططون دائمًا لطرد السكان الفلسطينيين الأصليين كشرط أساسي لإنشاء دولة يهودية حصرية في فلسطين. ويستحضر بابيه ما أكده بن غوريون، الذي كان حينها المدير التنفيذي للوكالة اليهودية في العام 1937، وهي المنظمة المكلفة بشراء الأراضي للمستوطنات اليهودية في فلسطين: «أنا أؤيد النقل الإجباري، وأؤيد النقل القسري، ولا أرى فيه أي شيء غير أخلاقي». وفي العام 1947 أفصح بن غوريون عن حقيقة اهداف الحركة الصهيونية، عندما رفض قرار التقسيم، سائرا على طريق التطهير العرقي، فيقول «يوجد 40% من غير اليهود في المناطق المخصصة للدولة اليهودية، هذه التركيبة ليست أساسًا متينًا للدولة اليهودية... فقط الدولة التي يشكل اليهود فيها 80% هي الدولة القابلة للحياة».

هذا القول الذي يستحضره إلان بابيه بعد فحص الوثائق العسكرية الصهيونية التي تم التصريح بالاعلان عنها، يُذكّر بواقع فلسطين الديمغرافي قبيل قرار التقسيم. ففي آخر إحصاء قام به الانتداب البريطاني في نوفمبر 1931، خلص إلى أن سكان فلسطين كان يبلغ مليون و33 ألف نسمة، باستثناء القوات البريطانية، بزيادة قدرها 36 بالمئة عن العام 1922، وذلك بسبب زيادة عدد اليهود الذين فتحت لهم الهجرة لفلسطين فزادت أعدادهم بمعدل 108 بالمئة. وقد تم تقسيم السكان حسب الدين: نحو 760 ألف مسلم، 174 ألف يهودي، 91 ألف مسيحي، 9آلاف درزي، 350 بهائي، 182 سامري و421 لاديني. تؤكد هذه الإحصائيات على مخطط التطهير العرقي والإحلال الديمغرافي بمضاعفة عدد اليهود بالهجرة على حساب السكان الأصليين. لكن قرار التقسيم في 1947، منح اليهود 56 بالمئة من أرض فلسطين، مقابل 42 بالمئة للفلسطينيين، ووضعت مدينة القدس تحت وصاية دولية. كل ذلك لم يعترف به الصهاينة، ما يؤكد ما ذهب إليه كل من الربيعي وبابيه وآخرين، كل في اختصاصه، بأن السردية قائمة على فكر عنصري إستئصالي يستخدم التطهير العرقي والابادة الجماعية وسيلة للوصول إلى الهدف.

يؤكد بابيه في هذا المقام أيضا بأن على «إسرائيل» الاعتراف بجريمتها التاريخية، ويراها «دولة عنصرية حتى النخاع، ويجب إضفاء الطابع الديمقراطي عليها وتطهيرها من الكراهية». ويعتقد أن الخطوة الأولى نحو التحول الديمقراطي تتلخص في إزالة الطابع اليهودي للدولة، والسماح لجميع اللاجئين الفلسطينيين بالعودة، وتحقيق المساواة الكاملة بين العرب واليهود في فلسطين». هذه الخلاصة هي الموقف الثابت الذي تتمسك به المقاومة الفلسطينية المتعاقبة منذ وعد بلفور المشؤوم، ولاتزال متمسكة بهذا الحق بعيدا عن الصفقات المشبوهة التي شكل اتفاق أوسلو قمة كارثيتها. فلا يصلح لفلسطين حل الدولتين، بل الدولة الديمقراطية على جغرافيتها التاريخية.

ومع اتساع فهم السردية الفلسطينية وما تتمتع به من تعاطف ودعم وتضامن عالمي، وضمور السردية الصهيونية وتواريها بسبب انكشاف الطبيعة النازية للكيان، يمكن العمل الجاد على إزالة آثار النكبة بالبدء في نسج السردية الفلسطينية ووضعها في مكانها الصحيح الذي تستحقه بعد كل هذه التضحيات والآلام الكبيرة في قطاع غزة والأراضي المحتلة. حينها يكون لرفع مفتاح العودة طعم آخر.

طوفان الأقصى
وإعادة السيطرة على مصطلح النكبة

د. عابد الزريعي ـ مدير مركز دراسات أرض فلسطين للتنمية والانتماء

ولد مصطلح النكبة واستمر على الحد الواصل بين الوجع والوعي، لذلك تناوب على صياغته الشعراء والمفكرون والمؤرخون، ولم يكن غريبا أن يرد أول ما يرد كدفق وجداني حزين في قصائد الشعراء، قبل أن يتبلور كمعنى سياسي محدد بأقلام المفكرين، وإذا كان الشعراء قد استنسلوا المصطلح كصور شعرية مستوحاة من عمق التاريخ العربي، الذي عرف المصطلح في ظروف مفارقة (نكبة البرامكة) ومشابهة (نكبة الأندلس)، فإن المفكرين والمؤرخين قد صاغوه من معطيات الواقع المتجسد امامهم في نكبة حاضرة وسائرة.

كان الشاعر المصري أحمد محرم، أول من صاغ نكبة فلسطين كعنوان لقصيدة تتألف من ثمانين بيتا، تبكي وجع فلسطين، وتستحثّ همم العرب لنصرتها، ونشرت في صحيفة «البلاغ المصرية» عام 1933، أي قبل حدوث نكبة فلسطين بخمسة عشر عامًا. ومن بعدها كانت قصيدة نجم السعود بأبياتها الثلاثة عشر للشاعر لفلسطيني عبد الرحيم محمود وكتبها عام 1935، القصيدة لم تذكر اسم النكبة لكنها توقعتها بشكل نبوئي. وما أن صدقت النبوءة بعد حوالي ثلاثة عشر عاما، أي عدد أبيات القصيدة، حتى تقدم قسطنطين زريق، نائب رئيس الجامعة الأميركية في بيروت آنذاك، واستعمل مصطلح «النكبة» في كتابه «معنى النكبة» الصادر في أغسطس 1948. ومن بعده وبالاتكاء عليه استخدم المصطلح الكاتب والمؤرخ الفلسطيني عارف العارف (1891-1973) في كتابه «نكبة فلسطيني والفردوس المفقود»، الصادر عام 1951، والذي رأى أن النكبة قد بدأت منذ اليوم الذي صدر فيه قرار التقسيم 29 نوفمبر 1947 إلى اليوم. كان مصطلح النكبة بحمولته الشعرية أو السياسية، مجرد صيغة دالة على ما لحق بالأمة العربية من مهانة شاملة جراء الهزيمة. أما ترجمته العملية فقد تبدت كبؤرة تقاطع بين النظام الرسمي العربي الذي سعى إلى منعها وعجز، والعصابات الصهيونية التي عملت لتجسيدها ونجحت، والشعب الفلسطيني الذي وقعت النكبة على رأسه وتجرع كأسها المر، لتتشكل بذلك معادلة النكبة بأبعادها الثلاثة.

أولاً: كان النظام الرسمي العربي القائم آنذاك، كان هو الطرف الأول في انتاج النكبة، حيث تحركت جيوشه يوم 15 مايو أيار 1948 لتمنع حدوثها، فعجزت. ويعقب قسطنطين زريق على هذا العجز بالقول «ليست هزيمة العرب في فلسطين مجرد إخفاق، أو شر عابر. هذه نكبة بكامل معنى الكلمة، وإحدى أصعب النكبات التي ألمت بالعرب خلال تاريخهم الطويل. تعلن سبع دول عربية الحرب على الصهيونية في فلسطين، وتقف عاجزة مرتدة على أدبارها. تريد سبع دول إلغاء التقسيم والقضاء على الصهيونية، لكنها تترك المعركة بعد أن خسرت جزءًا كبيرًا من أرض فلسطين، حتى ذلك الجزء الذي أُعطي للعرب. إنها تضطر إلى قبول الهدنة التي لا يوجد فيها أية ميزة أو مكسب من جهتها». هذا العجز يعود في الجانب الأهم منه إلى أن جزء من ذلك النظام كان يريد حدوث النكبة، خاصة الأمير عبد الله امير شرق الأردن الذي نصب قائدا اعلى لتلك الجيوش، فقد وضع عينه منذ اللحظة الأولى على حيازة واقتطاع جزء من أرض فلسطين، وضمه إلى مملكته، بما يؤمن له التعويض عن المقدسات التي فقدت عائلته الإشراف عليها في الحجاز، بالإشراف على مقدسات أرض فلسطين، وفي هذا السياق رفع السلاح بيد وتعاهد سرا باليد الأخرى مع القوى الدولية التي تريد أن تحدث النكبة. وجزء آخر من ذلك النظام ممثلا في مصر الملكية المرتهنة والمحتلة من قبل الاستعمار البريطاني، كانت قيادته تفتقد الوعي بمتطلبات أمنها الوطني، الذي جعل الفراعنة منذ تشكل الدولة المصرية قبل الميلاد، يخوضون معاركهم على ضفاف الرافدين لإبعاد الخطر عن حدود مصر الشمالية، فكان الأمر بالنسبة للملك فاروق مجرد استعراض عسكري يرضي به الناس وينتزع تصفيقهم. وجزء آخر لم يكن له لاحول ولا طول بحكم القدرات والإمكانات.

كل ذلك ليس له علاقة باستبسال الجنود وصغار الضباط والمتطوعين العرب في أرض المعركة. إن النظام الرسمي العربي الذي سعى إلى منع النكبة وعجز، تحول خلال المسار التاريخي إلى فاعل في تكريسها كواقع دائم ومستمر، وذلك من خلال منع كل محاولة أو فعل فلسطيني جاد لإنهاء مفاعيلها، أو حتى القيام بفعل من قبله للتكفير عن عجزه الذي ساهم في ايجادها. وذلك بسبب وعيه وقناعته بأن العمل على إلغاء النكبة كواقع، يعني الاستعداد لاشتباك طويل مع الكيان الصهيوني، يترتب عليه صقل إرادة الناس وانخراطهم في الميدان وتبلور وعيهم، وبالنتيجة طرحهم للأسئلة حول كل ما يعيق تقدم أوطانهم في ميادين أخرى، الأمر الذي يفتح الباب على مصير الكراسي والعروش والكروش. ومن أجل تفادي ذلك اختار البقاء على ذات العلاقة مع القوى التي أوجدت النكبة، والوقوف في الموقع المضاد لكل فعل يعمل على إنهائها، سواء من قبل الشعب الفلسطيني، أو من قبل أطراف أخرى من النظام ذاته، التي تعرض بعضها إلى التهشيم بسبب موقفها المؤيد والداعم لنضال الشعب الفلسطيني.

ثانياً: تمثل الطرف الثاني في العصابات الصهيونية المدعومة من قبل كل القوى الامبريالية، التي سعت وأرادت تجسيد الحدث كواقع، فنجحت. بالاعتماد على الدعم البريطاني الذي وفر الظرف المناسب لسياسات الانغراس الاستيطاني في أرض فلسطين، وآليات الاقتلاع والطرد. إن الطرف الصهيوني الذي خطط وسعى ومن خلفه كل قوى الشر في العالم لإحداث النكبة، قد عمل جاهدا بعد سنوات على التخلص منها، عن طريق إلغاء وشطب المصطلح، ومنعه، وملاحقة من يعاود استخدامه من فلسطينيي الأراضي المحتلة عام 1948، ومن أجل ذلك مارس كل أدوات الضغط والتشهير، لمنع ذكره، والترويج له في الأوساط العالمية، ملوحا لكل من لم يستجب لمطالبه بتهمة معاداة السامية.

وقد واصلت الحكومات الإسرائيلية العمل على منع حتى الإشارة إلى مصطلح «النكبة» سواء أكان في مناهج التعليم أو الفعاليات الثقافية على المستوى الدولي. وفي عام 2009، حظرت وزارة التعليم للاحتلال الإسرائيلي استخدام هذه الكلمة في الكتب المدرسية للأطفال الفلسطينيين. وفي عام 2011، تبنى «الكنيست» قانوناً يمنع الفلسطينيين داخل الاحتلال، من إقامة أي فعاليات لإحياء ذكرى النكبة، واتهام كل من يقوم بذلك بالتحريض على العنصرية والعنف والإرهاب.

ثالثاً: يمثل الشعب الفلسطيني طرفا ثالثا في المعادلة، وهو الطرف الذي وقعت على النكبة رأسه بكل ثقلها المادي والمعنوي، ووجد نفسه في مواجهة مع الكيان الصهيوني من جهة، والنظام الرسمي العربي من جهة ثانية. وبات معنيا بالتصدي لكل نتائجها، بإعادة تجميع شظاياه وترتيبها، بعد ان تفتت حقيقته الجغرافية والديمغرافية والسياسية والاقتصادية، من ناحية، واستمر الطرف العاجز والفاعل في ممارسة دورهما ضده بآليات وأدوات مخالفة. كانت خطوة المقاومة الأولى بالنسبة للشعب الفلسطيني هي الاحتماء في أنفاق الوعي العميق من خلال استنفار واستنبات كل القيم الثقافية التي تشكلت في عمق وجدانه عبر تاريخ ارتباطه بالأرض التي فصل عنها قصرا، وبعد ذلك اللجوء إلى الفعل النضالي المادي الذي تجسدت من خلال التجربة العملية للمقاومة الفلسطينية. وجاءت معركة طوفان الأقصى لتشكل تتويجا لهذا المسار، خاصة وأن من بين نتائجها الهامة استعادة السيطرة على مصطلح النكبة من خلال التظهير الكلي لطرفي المعادلة المتمثلين في النظام الرسمي العربي العاجز، وفي الكيان الصهيوني، هذا التظهير حرر مصطلح النكبة من المصادرة ووضعه مرة أخرى تحت المجهر، بهدف محاصرته وإنهاءه كفعل مادي، وإبقاءه كجزء من الذاكرة الجماعية للشعب الفلسطيني.

في البداية اختار الشعب الفلسطيني طريقا للمقاومة يمكن أن نسميه حفر الأنفاق المعنوية والثقافية من خلال جعل ما تبقى له من منظومته القيمية متاريس عمق تمنع التأثير السلبي لكل ما يجري على السطح. حتى يتسنى له ترميم ذاته وجمع قواه لكي يمضي في الطريق المضاد للنكبة والذي بات يتجسد في مصطلح العودة.

في ذكرى تقسيم فلسطين
لا خيـار لنا سـوى الانتصـار
فلسطين بين التقسيم والاحتواء والترحيل والإبادة

سامي سماحة ـ كاتب وعميد سابق في الحزب السوري القومي الاجتماعي ـ لبنان

التقسيم داء الأمة الخطير، وجسر العبور للغرب ومشاريعه الى بلادنا، ومصنع الأوبئة التي تفتك بالكيانات، فالأجسام الضعيفة والنحيلة عاجزة عن مقاومة الأخطار الكبيرة وهي كديك ستالين، تفتش عن لقمة عيشها في أحضان ناتف ريشها.

أضعف التقسيم الأول «تقسيم سايكس بيكو» المناعة والحصانة وزرع الحواجز على جميع المفارق وبنى كيانات طائفية هشة، مما سهل عملية الاختراق، ومهد الطريق أمام التقسيم الثاني تقسيم فلسطين.

في ذكرى تقسيم فلسطين نستحضر نقاط الضعف وفي طليعتها انشطار الهوية وإلحاقها بالكيانات ومن ثم انشطار هويات الكيانات الى هويات الطوائف والمذاهب وبالتالي تحويل الكيانات الى مشاع يسيطر عليه الأقوياء.

حقق التقسيم الأول غايته وفشل التقسيم الثاني في تحقيق أهدافه.

غاية التقسيم الثاني الترحيل والاحتواء كي يستتب أمن الكيان السرطاني ليتفرغ لإنجاز خطط المراحل الباقية من مشروع «حدودك يا إسرائيل من الفرات الى النيل».

الترحيل

غاية الترحيل ضياع الهوية الفلسطينية واكتساب هويات جديدة إن كان في كيانات الأمة أو في أي بقعة من بقاع العالم، فاكتساب الهويات في كيانات الأمة يخلق مشاكل تؤجج الصراع وتضعف الكيانات وتجعلها جاهزة للابتلاع وخاصة الأردن ولبنان والشام، لأنها تقع في صلب المشروع الغربي الأميركي للأمة والعالم العربي والمنطقة.

لم تكن تتوقع الدول الراعية للثكنة العسكرية في فلسطين أنه من النزوح سيولد مقاومة وثورة لذلك زاد على مهامها في بلادنا مهمة جديدة هي القضاء على الرموز التي تُعد لحرب التحرير فلجأت الى عمليات الترغيب والقتل، فاغتالت معظم رموز حرب التحرير ولوحت بالجزرة لمن يسعى الى إنشاء الدولة ولو على أمتار من أرض فلسطين وتحت سيطرة دولة العدو.

لذلك دعت الى عقد الاتفاقات التي تمخضت بإنشاء دولة فلسطينية قزمة تحت أُمرة الكيان الغاصب، والتي تحولت اليوم الى جهاز أمني يعمل على خدمة دولة العدو.

هذه محاولة من محاولات الدول الراعية للكيان الغاصب الغاية منها إنشاء الكيان الفلسطيني ومن ثم القضاء عليه بالهدم والقتل.

أما غاية الترحيل الذي انطلق من الكيانات إلى العالم هي الاندماج في المجتمعات الجديدة التي تؤمن للوافدين فُرص العيش الكريم والتعليم والتوظيف والعناية الصحية وحسب اعتقادهم هذا ما يحتاجه المواطن الفرد، وبالتالي اكتسابه الهوية الجديدة التي تمنحه الاستقرار والأمن والأمان وترفع عنه الخطر الذي يهدد وجوده، ولم يكن يدري هذا الغرب المتوحش وهذه الولايات المتحدة الساقطة من عالم الإنسانية الأدبي، أن تقديمات الرفاهية وهناءة العيش وضمانة الأمن والأمان لا تلغي الإثم الكنعاني الذي يرافق المواطن في بلادنا إلى عشرات الأجيال وأكثر وأينما كان، وهذا ما أثبتته علاقة أجيال المغتربين مع فلسطين إن في لحظات الحرب القوية أو الحرب الناعمة، فالحرب في فلسطين حدث دائم ومستمر، تخف وتيرتها وتقوى على نسبة ما يتطلبه الظرف.

قد يعتقد بعض القراء أننا نقصد الظواهر الفردية التي ظهرت إلى العلن والتي يفوق عددها المئات بل الألاف، والتي قد نجد ما يعادل عددهم من أولئك الذين أعلنوا مواقف فيها من العار ما يُخجل، بالتأكيد نحن لا نقصد ذلك بل نقصد فعل المغتربين الذين أسسوا لتيارات داعمة للقضية الفلسطينية على مستوى العالم، وأولئك الذين دافعوا عن القضية الفلسطينية على المنابر والمنصات المحلية، ونقصد هذه التيارات والحركات التي خرجت في الشوارع تأييدا للقضية الفلسطينية وعملت على مواجهة دولة العدو.

وأبرز هذه الحركات «حركة مقاطعة إسرائيل بي دي إس» التي انطلقت من فلسطين في التاسع من تموز 2005وتبنتها 170منظمة دولية، وتقوم مبادئها الأساسية على الدعوة إلى مقاطعة «إسرائيل» وسحب الاستثمارات والتمويلات منها كما تسعى إلى فرض عقوبات على الاحتلال.

الاحتواء

وقعت دول الغرب والولايات المتحدة ودولة العدو بإرباك التعامل مع الاحتواء، فهي تسعى لتحقيق الدولة القومية اليهودية الرافضة للوجود الفلسطيني، وبما أنها كانت عاجزة عن انهائه، سعت إلى احتوائه عبر التهويد أو التوظيف أو الاثنين معا وعبر التنكيل والقمع وحجز الحريات وتضييق فرص العمل والتعليم والاستهتار الصحي والأسر اليومي من عمر العاشرة حتى عمر الثمانين، وتنفيذ عمليات اغتيال لكل موهبة واعدة.

اعتقدت الدول صاحبة المصلحة بوجود الكيان الغاصب، أن الزمن وبرامج التعليم وتعميم اللغة العبرية ومحاصرة اللغة العربية يكفلون الوصول إلى تهويد الأجيال، فمن درس في مدارسهم وأتقن العبرية واشترى من مخازنهم وتطبب في مشافيهم سيصبح منهم أو موظفا في مشاريعهم ولم يتصوروا يوما أنهم سيواجهون ثورة أطفال الحجارة ولا أن يواجهوا مقاومة علنية من شباب بعمر المراهقة، وما كانوا يتوقعون أن يخوضوا حربا مع خطط الذئاب المنفردة.

مارسوا قانون الدولة القومية اليهودية منذ لحظة إعلان دولتهم في فلسطين دون إدراجه في قوانينها محاولة منهم لتحقيقه بالقوة والفعل قبل إقراره بالكتابة والقول، لذلك كان القتل والأسر عملا يوميا لا تمييز فيه بين الفلسطينيين ومن اعتبروا أنفسهم أنهم من أصحاب القضية، لذلك لم يتوانوا عن أسر المطران كبوجي ومحاكمته دون أخذهم بالاعتبار رتبته الدينية.

فشلت خطة الاحتواء كما فشلت خطة الترحيل.

إعلان قانون الدولة القومية اليهودية.

استنفد العدو كل وسائل الاحتواء وفشل، لذلك صاغ قانون الدولة القومية اليهودية وأقره «الكنيست الإسرائيلي» في 19تموز من العام 2018 وبالتالي شرّعت الدولة وبموافقة الأمم المتحدة التي لم تحرك ساكناً أمام القمع والقتل والأسر... إلخ.

ومما جاء في القانون:

- إسرائيل هي الوطن التاريخي للأمة اليهودية.
- لليهود فقط في «إسرائيل «الحق في تقرير المصير.
- النشيد القومي هو «هاتيكفاه» أو نشيد الأمل وفيه دعوة لقتل الفلسطينيين.
- لكل يهودي الحق في الهجرة «لإسرائيل والحصول على الجنسية «الإسرائيلية».
- تعمل الدولة على تجميع شتات اليهود في الخارج وتعزيز المستوطنات.
- يوم إحياء ذكرى الجنود وضحايا المحرقة هي الأيام الرسمية للدولة.

هذا بعض ما جاء في قانون الدولة القومية اليهودية الدولة التي تنص بشكل لا لبس فيه على يهودية الدولة والاستمرار باستجلاب اليهود من أنحاء العالم وبناء المستوطنات الجديدة تمهيدا للبدء بالمرحلة الجديدة التي تبدأ بجريمة الإبادة ومن ثم الشروع قي الامتداد نحو لبنان والأردن والشام وأكدت على قداسة إحياء ذكرى المحرقة التي هي الجسر المفيد لاكتساب تعاطف العالم معهم والناظم لدعوة الانتقال إلى فلسطين بغاية إنشاء الدولة اليهودية.

يعتبر صدور قانون الدولة اليهودية القومية تمهيدا للشروع بحرب الإبادة العلنية بعد فشل الاحتواء والترحيل.

حرب الإبادة العلنية.

لقد بدأت حرب الإبادة العلنية قبل معركة طوفان فلسطين حيث لجأ الكيان الغاصب إلى مهاجمة المدن والقرى الفلسطينية والمخيمات وقتل كل من يستطيع الوصول اليه، واعتمدت أسلوب الاغتيال الفردي لبعض الأسماء المعروفة فاغتالت الإعلامية شيرين أبو عاقلة التي كان اغتيالها رسالة واضحة لاستهداف الإعلاميين وهذا ما يحصل اليوم في معركة طوفان الأقصى حيث فاق عدد الشهداء الإعلاميين 150 شهيدا، ونفذت مئات عمليات الاغتيال بحق الشباب المقاومين واقتحمت المخيمات والمدن بقصد القضاء على المقاومين.

ما تفعله الثكنة العسكرية في فلسطين ليست الغاية منه القضاء على المقاومة، بل إبادة الشعب الفلسطيني، لأنها أصبحت أمام خيارين لا ثالث لهما، إبادة الشعب الفلسطيني أو بداية العد العكسي وخروجها من خريطة العالم، وما تفعله من دمار وقتل ممنهج دلالة واضحة على تبنيها خيار الإبادة وبرعاية من يرعاها منذ كانت نطفة إلى أن أصبحت دولة.

بلادنا اليوم تعيش تحت وطأة نتائج التقسيم الأول والتقسيم الثاني، وهي أمام خيارين الانتصار أو الانتصار، فإذا كان التقسيم مقدمة لنشوء الكيان فإن طوفان الأقصى رد حقيقي على التقسيم وعودة تمهيدية لإلغاء التقسيم الثاني وإعادة النظر بالتقسيم الأول.

في ذكرى تقسيم فلسطين وبعد مضي ما يقارب أكثر من قرن على انطلاقة مشروع احتلال أرضنا تقف أمتنا من جديد بين الحياة والموت وهي ستختار الحياة وترفض الموت.

إبادة غزة وانتفاضة الجامعات الأمريكية الغربية

د. صياح فرحان عزام ـ عضو اتحاد الكتاب العرب في سورية

يتجه غضب الجامعات الأمريكية والغربيه دعما للشعب الفلسطيني وتنديداً بحرب الإبادة الجماعية في قطاع غزة ليشكل تطوراً مثيراً ومنعطفاً حاسماً في مسار التطورات والمواقف تجاه هذه الحرب وما سببته من مآس إنسانية ناطقه بكل ما يثير النقمة والغضب.

لقد حشرت هذه الاحتجاجات الطلابية الأمريكية القرار الأمريكي الداعم دائماً لكيان الاحتلال في فلسطين في الزاوية وأربكته راسمة «صورة» غير مألوفة منذ عشرات السنين.

من المعروف أن الجامعات تضم صفوة الأمم والشعوب من الطلاب والباحثين والأكاديميين، وهذه فئات نوعية وحية تعبر عن ضمائر المجتمعات وصنّاع مستقبلها، وأنه مهما بلغت درجة القمع من القوة فلا يمكن إخضاعها قسراً او تجاوزها والقفز فوق مطالبها. فما من حركة طلابية نهضت في العالم إلا وكانت مثالا ونموذجا في التحضير والسلمية لأنها تجمع جيلا كاملا من مختلف التيارات على مبدأ سام وهدف نبيل لقد كان هدف الحراك في الجامعات الغربية وما يزال نصرة الشعب الفلسطيني والوقوف إلى جانبه ضد آلة البطش والطغيان الصهيونية التي تمادت في القتل والتدمير وارتكاب الجرائم وانتهاك الحقوق الإنسانية والقوانين الدولية المدعومة بتواطؤ أمريكي وأوروبي مفضوح، إذ سرعان ما لجأ مسؤولوا أوروبا وأمريكا ومعهم عملائهم من قادة كيان الاحتلال الصهيوني إلى محاوله تغطية جرائمهم بحق قطاع وأهالي غزة بشماعة «معاداة السامية» ليستروا عوراتهم وحرجهم الكبير أمام العالم، وأمام هذه الاحتجاجات وفي محاوله يائسة لوأدها قبل أن تحدث انفصاما حادا في مؤسسات الدولة الأمريكية وشرخا واسعا لا يمكن إصلاحه في المجتمع الأمريكي أيضا.

الاحتجاجات الطلابية والتي وصفها بعض المراقبين السياسيين ب»ثورة الطلاب» انطلقت شرارتها من جامعة «كولومبيا» في نيويورك وامتدت إلى العديد من الجامعات والمعاهد البحثية المرموقة مثل هارفارد، وييال، وبرينستون، وضربت أيضا في جامعة السوربون أعرق الجامعات الفرنسية ومعهد باريس للدراسات السياسية، وكذلك ضربت في ألمانيا واستراليا رغم محاولات السلطات مواجهتها وتشويه صورتها وأهدافها بذريعة الزعم بان هذه الاحتجاجات تحرض على الكراهية وترفع شعارات محظورة وبائدة تضر بمصالح الدولة وهي تهمة وجهتها السلطات الألمانية لمنظمي مخيم احتجاج مؤيد للفلسطينيين خارج مبنى المستشارية الألمانية ببرلين.

وهكذا يتضح أن العدوان الوحشي على قطاع غزة والإنكار الغربي المستمر لحقوق الشعب الفلسطيني وازدواجية المعايير تجاه قضية فلسطين في المحافل الدولية لم تعد قادرة على مقاومة الوعي الصارخ في الجامعات والمؤسسات الأمريكية والغربية وبالتالي فإن هذا الحراك الطلابي يمثل صحوة إنسانية صرفة ونزيهة وصادقة لا علاقة لها بالكراهية والتحريض ومعاداة السامية. صرخة مدوية انطلقت من أعماق الذات الإنسانية، صرخة ترفض الإبادة واستمرار منح كيان العدو الصهيوني فرصة للإفلات من المحاسبة والعقاب ودعمه عسكريا وسياسيا هذا في ضوء كل ذلك الدعم الغربي لكيان منفلت ليس غريبا أن تثور الجامعات وتتصدى للنخب السياسية في بلدانها ومجتمعاتها.

خلفيات الحراك ودوافعه

لا شك بأن الحرب الأمريكية الصهيونية على غزة هي السبب الرئيسي للمظاهرات التي جرت في الجامعات الأمريكية وهذا مركزت عليه الصحف الأمريكية حتى الهامة منها مثل (النيويورك تايمز، والواشنطن بوست)، وأيضا ما دار حوله النقاش في قاعات الكونغرس الأمريكي حيث فسرت هذه الصحف بل حصرت أسباب المظاهرات في معاداة «السامية» والسؤال هنا، هل كانت مظاهرات الطلاب في جامعه كولومبيا عام 1968 والتي انتشرت كالنار في الهشيم لتصل إيطاليا وألمانيا، وتوقف الحياة في فرنسا، هل كانت معادية للسامية؟ بالطبع لا، وكذلك هذه المظاهرات الأخيرة أيضا، وتفسير ذلك، أن فعل الإبادة الجماعية في غزة هو واقع أقرت به علنا محكمة العدل الدولية عندما قبلت دعوة جنوب افريقيا ضد كيان الاحتلال.

إذاً غزة كانت محركاً للتناقضات في المجتمع الأمريكي وكذلك في أوروبا أي أن الأبناء الطلاب احتشدوا في الجامعات وأغلقوا الشوارع احتجاجا على فشل زعمائهم في بناء عالم أفضل بعد نهاية الحرب العالمية الثانية. قالها الطلاب المتظاهرون في برلين بصراحة لا غموض فيها يريدون إعادتنا إلى عام 1933 أي إلى الفاشية عندما انتخبوا هتلر. اذا اختزال المظاهرات وعقد جلسات النقاش في الكونغرس لتصوير ما حدث بوصفه معاداة للسامية فيه شيء من التسطيح الشديد للظواهر الاجتماعية المعقدة وفيه تجاهل لجوهر الحراك الطلابي الحقيقي.

جزء كبير من الغضب الأمريكي الطلابي في هذه الأيام سببه أن الإدارات الأمريكية المتعاقبة فاشلت في تقديم خيارات للناس في الانتخابات الأمريكية المقبلة إضافة إلى فشل إدارة بايدن الحالية في إدارة الشأن الداخلي الأمريكي، وفي التعامل مع الحرب

في أوكرانيا، ومع طوفان الأقصى هذا كله جزء كبير من أسباب الإحباط الأمريكي في هذه الأيام.

هذا وهناك سبب مهم للحراك الطلابي وهو أن الصور التي يراها المجتمع الغربي تظهر بوضوح الفجوة بين القيم المدعاة وبين الممارسات الغربية على أرض الواقع سواء في الدعم غير المحدود لكيان الاحتلال على الأرض بالسلاح والعتاد أو في مجلس الأمن حيث استعملت واشنطن الفيتو خمس مرات منذ بدء طوفان الأقصى وحرب الإبادة الصهيونية لتعطيل أي قرار لوقف إطلاق وتامين دخول المساعدات إلى قطاع غزة معطلة بذلك القانون الدولي لدرجة أن الطلبة لم يعد لديهم قدرة على استيعاب تصرف سفيرة أمريكا السمراء في الأمم المتحدة والتي تمثل بنات مارتن لوثر كينج ومانديلا عندما ترفع يدها مؤيدة لاستمرار الإبادة في غزة. هذه صورة ليست بالخفية لمن يعرف الجامعات الأمريكية خاصة والمجتمع الأمريكي عامة وبالتالي فحرب الإبادة في غزة اليوم تظهر التناقضات في النظام العالمي وداخل الأنظمة الحاكمة الغربية وتدفعها إلى الواجهة وتعيد طرح بعض الأسئلة مثل هل هناك حاجة لإصلاح مجلس الأمن الدولي، وإلى نظام عالمي جديد يرفع الظلم عن الشعوب وهكذا فإن النار المشتعلة في الجامعات أحرقت أقدام نتنياهو وبايدن وطوفان الأقصى المبارك لم يعد ملكا لغزة حيث اتسع كثيرا وبالتالي فإن مفاعيله ونتائجه ستنعكس على العالم بأسره ونستطيع القول إن غزة حركت العالم وغيرته فما بعد عمليه طوفان الأقصى لن يكون كما كان قبلها خاصة فيما يتعلق بقضية فلسطين التي كادت أن تنسى في حين استفاق العالم على ذلك وازدادت قناعة بان هذه القضية مصيرية لشعب طرد من أرضه ويجب أن تحل.

إذا الأجواء الطلابية الغاضبة في جامعة كولومبيا العريقة في نيويورك التي سادها الاحتجاج على جرائم الحرب في فيتنام في العام 1968 تكررت هذه الأيام تحت عناوين جديدة تستنكر التورط الأمريكي في حرب الإبادة والتجويع المنهجي بغزة المحاصرة وتطلب وقفا لإطلاق النار ووقفا آخر لأية استثمارات في شركات تدعم كيان الاحتلال الصهيوني بالتكنولوجيا العسكرية، ولا شك بان هذا الطلب يشكل تطورا غير مسبوق في السياسة الداخلية الأمريكية يضع العلاقات مع كيان الاحتلال بين قوسين كبيرين.

في المرتين على اختلاف الأزمان والعناوين نصبت خيام في الحرم الجامعي وجرت صدامات واعتقالات واقتحامات دون أن توقف زخم الغضب، وفي المرتين امتدت التظاهرات والاحتجاجات إلى كافه جامعات النخب الأمريكية.

هذا ومن الملاحظ أن هذه الاحتجاجات تؤكد أن الجيل الجديد يصطدم مدفوعا بمثله العليا مع مؤسسات الحكم (البيت الأبيض ومجلسي الكونغرس والمدّعين العامين وحكام الولايات) المستندة إلى آراء رؤساء الجامعات الذين هددوا بالقبضة الأمنية. وحسب صحيفه «نيويورك تايمز» فإن هذا الحراك الجديد الغاضب اكتسب وعيه من الحركات الاجتماعية السابقة (احتلوا وول ستريت، وحياة السود مهمة).

إذاً إنها الروح الشابة في كل مكان والناجمة عن تأثير التضامن الجيلي وقوه الضمير الإنساني، وبالتالي لا يمكن مصادرة المستقبل ولا الحجز على الغضب ولا الاستمرار في حرب إبادة غزة من دون ردّات فعل غاضبة وعواقب وخيمة. لقد أكد العديد من متابعي هذا الحراك في أوروبا وأمريكا على أنه شاعت في هذه الأيام كتابات الفيلسوف الألماني هربرت ماركر عن دور الطلاب في صناعة التاريخ وانتشرت صور الثائر الأممي جيفارا على جدران المدن الجامعية رمزا للتمرد على سطوة الأنظمة، وكان كل هذا وغيره مؤشر على دلالات عنوانها ثورة جامحة على الماضي كله.

وقائع وأقوال

لم يتوقع أحد في العالم رؤية انتفاضة أمريكية دعما لغزة ضد الصهاينة لقد نظّم هذه الانتفاضة تحالف طلابي يضم أكثر من 120 منظمة طلابية وأساتذة جامعيين، نصب خياما على أرض الجامعة وبعد أسبوع انتشرت الاحتجاجات في كليات وجامعات عدة في أنحاء أمريكا و أوروبا.

لقد جمعت التظاهرات طلاباً من مختلف الجنسيات والأديان والهويات وتعرض بعض الطلاب والأساتذة والصحفيين للضرب والسحل والاعتقال والملفت للنظر انضمام مواطنين لمظاهرات الطلاب وبعض أسر المتظاهرين وأعلنوا فخرهم بأولادهم ودعمهم لغزة.

- طلاب جامعة اكسفورد البريطانية استقبلوا نانسي بيلوسي رئيسة الكونغرس السابقة بعلم فلسطين وقاموا برفعه في وجهها تحديا لها.

- وأغلق الطلاب الطرق المؤدية لجامعة «سياتس يو» في باريس تنديدا بإبادة غزة، وهتفوا لفلسطين وارتدى بعضهم الكوفية الفلسطينية وانضمت جامعة سيدني في استراليا للانتفاضة.

- في جامعة نيويورك فوجئ الطلبة ببناء جدار خشبي حول ساحتها لمنع الطلبة والأساتذة من التظاهر فيها؟!

- في قلب جامعة جورج واشنطن وضع متظاهرون داعمون لغزة الكوفية والعلم الفلسطيني على تمثال جورج واشنطن أول رئيس لأمريكا.

- وضع متظاهرون على فلسطين على المبنى الذي سيحضر في بايدن العشاء السنوي لجمعية مراسلي البيت الأبيض.

- تعد الانتفاضة الحالية حراكا غير مسبوق في أمريكا منذ احتجاجات الحرب على فيتنام في أواخر الستينيات من القرض الماضي.

- أكدت «أنجيلا دافس» أستاذة بجامعة «اوهايو» أن الطلبة هم من يصنعون طريق التغيير، وأن فلسطين هي معيار اختبار العدالة للجميع وإنما يحدث اليوم سيضمن العدالة للجميع في العالم.

- كتبت كاتبه (إسرائيلية) في صحيفه هآرتس قائلة: اسرائيل خسرت الجامعات الأمريكية ... وقد تخسر الدعم الرسمي لاحقا.

ملاحظات واستنتاجات

من الملاحظ أن في وسائل الإعلام الأمريكية الكبرى وقفت ضد احتجاجات الطلاب بأشكال ودرجات متفاوتة، لكنها أجمعت على نسب كل ما يجري ويجري إلى عملية طوفان الأقصى، ولكن مع تجاهل لكل ما جرى بعد ذلك من مجازر وتهجير وتجويع وإبادة جماعية وقد خصصت هذه الوسائل الوسائل مقالات مطولة تصور أن الحراك معاد للسامية، مع التعتيم على الاشتراك اليهودي الواسع ضمن الاحتجاجات المؤيدة لفلسطين ولأهالي غزة.

كما أبدت وسائل الإعلام الأمريكية خيبتها من أن الاحتجاجات لم تهاجم حماس ولا تعتبر السبب فيما حدث مع محاولات ربط الاحتجاجات بتمويل يدفع للطلاب بمعنى أن الحراك هو نتيجة مؤامرة خارجية.

أما إذا تساءل عن خلفيات هذا الحراك ونتائجه الاولية فيمكن ايجازها على النحو الآتي:

1. ان الاحتجاجات الطلابية في أمريكا وأوروبا مرتبطة ببعضها البعض بمعنى أن كل تحرك أمريكي طلابي سابق انتقل إلى أوروبا واستراليا وأماكن أخرى من العالم.
2. حققت الاحتجاجات الطلابية الأمريكية الكبرى في أمريكا نتائج إيجابية وهذا ما ينطبق على الموقف من العنصرية تجاه السود، وعلى الموقف من حرب فيتنام ومن دولة الفصل العنصري في جنوب افريقيا، وهذا ما يثير ذعر الكيان الصهيوني الآن.
3. إن الحراكات الطلابية في أمريكا وأوروبا دائما ما كانت تبدأ في الجامعات ثم تمتد إلى شرائح أوسع في المجتمع وهذا ما حصل ويحصل الآن.
4. إن خلفيّات هذه الحراكات في الولايات المتحدة وأوروبا هي خلفيات اقتصادية واجتماعية أي أن مولداتها داخلية، وإن كانت تبدو متصلة بقضايا السياسة الخارجية الأمريكية مثل الحرب في فيتنام، قضية فلسطين ... الخ.
5. لوحظ التحول السافر داخل أمريكا نحو القمع السياسي المباشر ويأتي هذا التحول لسبب تراجع حصه الولايات المتحدة من الناتج العالمي وتعمّق الهوة الاجتماعية فيها وتخفيض مستوى الحريات السياسية والخدمات الاجتماعية اللتين يمكنهما المساهمة في استيعاب موجات مثل هذا الحراك وتجنّب تداعياته.
6. يتوقع بعض الباحثين أن الفوضى التي عمدت واشنطن إلى نشرها في العديد من دول العالم سترتد إلى الداخل الأمريكي وهناك شواهد وأدلة الآن ماثلة أمام الأعين لا يستطيع أحد تجاهلها.

بقي أن نقول إن ما حصل في انتفاضة الطلاب الأمريكية أمر هام ملفت للنظر، فاقتحام الحرم الجامعي ليس مجرد تظاهرة عادية علما بان الجامعات الأمريكية هي في الغالب وجه أمريكا وهي التي جعلت الولايات المتحدة في مقدمة الأمم، فعندما العالم كان يروّج لكيسنجر كان يقول إنه استاذ في جامعة «هارفارد» وبالتالي فان تظاهر الجامعات الأمريكية ضد كيان الاحتلال حدث تاريخي ومفزع، هو مفزع للكيان كتحول ليس لصالحه ومفزع لأوروبا لأنه تمدّد إليها ولكنه تظاهر ضد نتنياهو مقلد الهمجيّة والنازية وشهوات الإبادة الجماعية وضد الرئيس المتصهين بايدن.

مَنْ يكتب التاريخ؟

رامي حاج سعيد ـ كاتب وإعلامي فلسطيني/سورية

أن ندرك بعد فوات الأوان بأنّ الأمّة لم تؤتى إلّا من حيث حصّنها الله وكلّفها بصريح النّص عندما خاطبها بأن «أعدّوا» فهذا يعني بأنّ غيابنا المؤقت عن صناعة التاريخ إنما هو مفرز طبيعي لغياب تكليف الإعداد.

نعم التاريخ يكتبه المنتصرون -هذه حقيقة- وهذا ما بدى واضحاً في حجم ما كتب ودوّن في العقود الأخيرة من دراسات وأبحاث ومقالات تنتصر بمجملها للرواية الصهيونية على حساب الحقيقة الفلسطينية.

والسؤال هنا إذا كان معيار الانتصار هو الثابت الأهم في كتابة وتوثيق أو نفي الهويّة التاريخية لأي أمّة من الأمم، فكيف يمكننا تحضير البنية الفكريّة والثقافيّة العربيّة والإسلاميّة وحتّى العالميّة لاستعادة القدرة على فهم مركزية الهوية الفلسطينيّة وخصائصها الحضاريّة، وتحديداً بعد ما تحقق من انتصارات للمقاومة الفلسطينيّة في العقود الأخيرة، وما أثبتته من قدرة على تحقيق العديد من الانتكاسات البنيويّة في الخطاب الإعلامي للحركة الصهيونيّة.

ولمن يوجه هذا السيل من الكتابات المحكومة بالإسرائيليات على الرغم من نفيها جملة وتفصيلاً بحقائق تاريخيّةٍ وجغرافيّةٍ أصيلة، وأي أثر ننتظره اليوم، وربما نشاهد بعض تجليّاته في تفتيت حاضنة الهويّة الفلسطينيّة على مستوى الأمّة وما تجلّى من انحسار مؤلم لطوفان السابع من تشرين الأوّل عن معظم عواصم الأمّة وتوقفه عند حدود محور المقاومة وقطاع غزّة.

في الحقيقة هناك الكثير من الأسئلة التي تتطلّب بحثاً معمّقاً في إجاباتها وربما تستدعي استنفاراً على مستوى النخب الثقافيّة والفكريّة، فالتهديد اليوم بات وجودياً ولا يتعلّق بالهوية الفلسطينية دون هويّة الأمّة، وتحديداً في ظلِّ ما بدى من قصورٍ في فهم مفهوم الإعدادِ وتعطيل مضمونه الشّمولي.

ولكنّ السؤال الطارئ والأهم بالنسبة لي والذي جاء كمفرز طبيعي لمعركة طوفان الأقصى، وهو كيف استطاعت الهويّة الفلسطينيّة أن تقف وحيدة في معركة الوعي على الرغم من عظيم ما كتب ودوّن خلال ستة وسبعين عاماً من النكبة الفلسطينيّة، ورغم كل المجازر ومحاولات شطب الهويّة والتذويب والأسرلة؟

ثم كيف استطاعت الرواية الفلسطينيّة وبناءاتها السرديّة، استحضار الرأي العام العالمي وتفتيت مسلماته، على الرغم من كلّ ما تحدثنا به من مقدمات؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة لا بدّ لنا بداية من تتبّع بعض المرتكزات التي تقوم عليها النّواة الصلبة للهويّة الفلسطينيّة والتي شكّلت عاملاً حاسماً في ثباتها واستمرارها، بل وحافظت على خصائصها الحضاريّة:

1. البعد العقائدي:

فالعقيدة «الإسلاميّة» هي الحامل الحقيقي لهوية الأمّة وبالتالي هي الجزء الأهم من خصائص الهويّة الفلسطينية، وذلك لقدرتها على ضمان إعادة تركيب الجغرافيا الفلسطينية ضمن محيطها الإسلامي على الرغم من كل محاولات الفصل والإقصاء، وسيادة الخطاب المتعلّق بنفي البعد الديني العقائدي عن الهويّة الفلسطينية.

من جهة أخرى فإنّ الحضور التاريخي والروحي للديانة المسيحية في فلسطين شكّل عاملاً ثابتاً في استحضار الهويّة الفلسطينيّة في المخيال الديني المسيحي على أنّها مركز الاشعاع الروحي والبداية الأولى لانطلاق التراث الديني. والعقيدة هي أيضاً أداة التأطير النّاظمة لجملة الثوابت والخطوط الحمراء في معظم الممارسات النضاليّة للشعب الفلسطيني، أي أنها أحد أهم متاريس الاستمرار في المقاومة والسعي لتحرير الأرض بخلفيّة دينيةٍ مؤيدةٍ بنصٍّ شرعي ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ٧﴾.

2. البعد الإنساني:

فالتّجربة النّضالية للشعب الفلسطيني، جعلت من الهويّة الفلسطينيّة أنموذجاً إنسانياً من لحم ودم لكل تلك التجارب النضالية في العالم، وهيأت المناخات المناسبة لتعزيز حضورها في المحافل الدوليّة كشاهد على المظلوميّة التّاريخيّة، وكأداة لتصويب أيّ محاولة للتزوير.

3. البعد التاريخي:

فلا يمكن بأي شكل من الأشكال الحديث عن ثبات الهويّة الفلسطينية دون قراءة متعمّقة للسّياقات التاريخيّة التي أدت إلى تشكيلها، فالهويّة الفلسطينيّة هي جزء لا يتجزأ من المكون التاريخي للمنطقة، وهي أحد أهمّ عوامل الصّراع مع السرديّة الصهيونية، والتي لازالت تبحث في طين وهمها عن أثر واحد يعزز روايتها، ولهذا فإن شهادة الحجر في كل ركن من أركان فلسطين المحتلة ونفيه المطلق للوجود الاحتلاليّ شكل عامل استقرارٍ في بناء السرديّة الفلسطينيّة، وأطفى المزيد من الأبعاد التاريخيّة للهويّة الفلسطينيّة عبر اثباته للوجود الحضاريّ والقيميّ للشعب الفلسطيني.

4. البعد السيكولوجي للشخصية الفلسطينية:

والتي تشكّل النّكبة الفلسطينيّة العقدة الأهم في بناء تصوراته ومحاكماته، فالفلسطيني يمتلك التّجربة التاريخيّة القاسيةَ التي تنزّهه عن التّفريط بالهويّة وببعدها الجغرافيّ والمكاني، وتعيد ترتيب أولوياته الحياتيّة ضمن محدّد الانتماء الفطري لمدينته وقريته ومفتاح بيته وبالتالي لهويته، وتحديداً بعد أن عايش مرارة النّكبة والنزوح والبحث عن الهويّة ضمن جغرافيا الشتات، ولعلّ إرادة التّحدي هي الصفة الأهم في طبيعة التّكوين السيكولوجي للشّعب الفلسطيني، لأنه يدرك تماما بأن الانكسار أو التفريط أو الاستسلام وحتى الهروب لن يشكل عاملا حقيقياً في حمايته من القتل أو التّهجير والتّنكيل، وبأنّ المكافئ العقائدي للصهيونيّة العالميّة هي القضاء على الهويّة الفلسطينيّة، وبالتالي فإن عامل التحدي هو الضامن الوحيد في بقائه واستمراره والحفاظ على كينونته.

وأيضاً فإنّ اليقين بحتميّة النصر، هو مكون أصيل في شخصية الشعب الفلسطيني، والذي جاء بناء على جملة المعتقدات الدينيّة ونتيجةً لأصالة التّجربة التّاريخيّة في حتميّة استعادة الأرض مما شكل دافعاً حاسماً للصّبر والتّحمل والاستعلاء على كلّ الجّراح ومحاولات شطب الهويّة والتذويب والأسرلة.

ويبقى لمفهوم التكيّف في الشخصيّة الفلسطينية ذلك الأثر المديد في تحييد العديد من الممارسات الإقصائيّة للاحتلال والتّعامل معه على أنّه الثّابت الأهم في تطوير إمكانيات المقاومة واستحداث أنماطٍ نضاليةٍ مستمرةٍ وقادرةٍ على إثبات الهوية وإعادة إنتاجها.

وبهذا فإنّ ثبات الهويّة الفلسطينيّة وقدرتها على الاستمرار، حافظ بالضّرورة على فرصة إنعاشها على مستوى الرأي العام الدّولي، ومكّن من استحضار سياقاتها التّاريخيّة والحضاريّة عند أول استحقاق عسكري وسياسي كالذي حدث في السابع من تشرين الأول 2023. بل ومهّد لمنازلة تاريخيّة على مستوى الرواية والسرديّة، والتي بدأها الاحتلال في الأسبوع الأول من هذه الحرب بتطويع كلّ وسائل الإعلام والرأي العام الغربي، وتهجينهم ضمن محددات الإرهاب وقتل الأطفال وحرق الجثث، ثم حاول إيجاد مقاربة ما بين الهويّة الفلسطينيّة المقاومة وبين «داعش» وكل ما يحمله هذا الخطاب من مقومات ليّ الحقيقة، ثم استفرد في بناء منظومته الروائية على شرعنة القتل لإثبات مصيريّة المعركة، ومفصليّة الوجود الصهيوني، ثم أعاد استنهاض كل قواه وتحالفاته الإقليمية لإعادة الرواية الفلسطينيّة إلى ما كانت عليه قبل انطلاق المعركة أي إلى مرحلة السّكون ومراقبة التبدّلات الجيوسياسيّة في المنطقة دون أي مظهرٍ انفعاليّ أو فاعل، وإعادة الرواية الإسرائيليّة إلى مربع القداسة واستحالة الهزيمة والتّفوق.

وهنا لا بدّ لي أن أتوقف طويلاً عند المعنى المقصود في قراءة أحد قيادات حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين للمعركة وتحديداً في قوله: بأنّ «السابع من أكتوبر هو عمل مبدع ولكنّ الصمود الفلسطيني هو عمل معجز» فلا شك أنّ صمود الرّواية الفلسطينية وثبات القاعدة الصلبة في بناء سرديّتها أسس لمعركة السابع من تشرين الأوّل، ولكنّ القدرة على الصمود في المعركة والثبات وتقديم التضحيات هو من مهّد لاختراق جدران الرواية الإسرائيليّة وحقق تقدّماً على مستوى الرأي العام الدولي، بل وقام بتصحيح كلّ تلك الصّور الذهنيّة، المتعلّقة بالفلسطيني «الإرهابي والمجرم» وإعادة إنتاجها خارج كل مفردات السرديّة الإسرائيلية، فقدّمته كمقاتل لا يمتلك مقومات الجيش النظامي ولكنّه يقاتل عاري القدمين ويدافع عن أرضه بأظافره، وهذه صورة لا تكون إلا لصاحب حق، مما أحدث فجوة معرفيّة عند المتلقي الغربي بين ما عرف بالضرورة عبر تاريخ طويل من التهجين المعرفي اتجاه القضيّة الفلسطينيّة، وبين ما تقدّمة الصورة والرواية الفلسطينية من مشاهد ومن حقائق، وهذا ما مهّد لمزيد من الإنجازات على مستوى الرواية الفلسطينيّة ومن انحسار الحاضنة الدوليّة، وانتفاضة النخب الطلابية في الجامعات الأمريكيّة والأوروبيّة، والمظاهرات الحاشدة، والأخطر ربما هو التفلّت من قوانين معاداة السامية والهولوكست وتداعي جوهرة الرواية الصهيونية.

وأخيراً، لا أعرف حقيقة أن كانت الرواية الفلسطينيّة تمتلك وحدها مفاتيح تصحيح ما زيّف وما طمس من تاريخ هذه الأمّة، ومن الكتابات والبحوث المسكوت عنها!

ولا أعرف كيف يمكننا تفسير وتبرير هذا التفاوت الحاد بين الإعداد لمعركة التحرير، وبين الإعداد لمعركة التدوين والكتابة وتأطير الحقائق بما يخدم مفهوم النصر الكامل، ولكن ما أعرفه تماماً، بأنّ فلسطين اليوم ومقاومتها وروايتها، هي من تعيد كتابة التّاريخ.

فلسطين تحرر العالم

أيهم السهلي ـ كاتب سياسي فلسطيني ـ لبنان

ما يحدث في غزة نكبة، قد تماثل أو تزيد عن النكبة التي عرفناها مؤرخة في العام 1948، ونعيش آثارها يومياً، كفلسطينيين وكعرب، ولا أبالغ إن قلت، العالم يعيش آثارها، طالما أن سببها الرئيسي هو الاحتلال، وهو عالمي التواصل والعلاقات والتحالفات، وبالتالي يقع التأثير طالما أن السبب موجود. الجديد، أن ما سمعناه من الأجداد، وما وثّقه الكثير من المؤرخين والمفكرين والصحافيين الفلسطينيين، نراه اليوم ونسمع صوته. والجديد الآخر، هو أننا اليوم نمنع النكبة هذه، ونعيد الحكاية إلى أولها، أي إلى النكبة عام 1948، لتصحيحها، وإيقاف النكبة المستمرة.

في كتاب «دير ياسين.. الجمعة 1948/4/9» («مؤسسة الدراسات الفلسطينية» نيسان 1999) يبين مؤلفه الدكتور وليد الخالدي في الفصل الثاني، الاستعدادات للهجوم، باجتماع القادة العسكريون لـ «الإرغون» (إيتسل) و«شتيرن» (ليحي) لوضع خطة الهجوم على القرية، ويبين أن الحضور، وكانوا عشرة، يذكر اسم وصفة بعضهم، ناقشوا «تفصيلات الهجوم، وتطرقوا إلى كيفية معاملة الأسرى والشيوخ والنساء والأطفال»، ويشير الخالدي إلى أن بن تسيون كوهين، وهو أحد قادة «الإرغون» وقائد الهجوم على دير ياسين، أورد في شهادة له بخط يده، مودعة في مؤسسة جابوتنسكي في تل أبيب، أنه «كان ثمة اختلاف في الآراء ولكن الأكثرية كانت تحبّذ تصفية جميع الرجال وكل من يقف بجانبهم، أكانوا شيوخاً أم نساء أم أطفالاً. واتضح من ذلك أنه كان هناك رغبة عارمة في الانتقام لما حدث في كفار عتسيون وعطروت».

والإشارة هنا إلى معركتين وقعتا قبل ذلك بقليل بالقرب من مستعمرتين: الأولى جنوبي القدس على طريق الخليل، والثانية شماليها على طريق رام الله، وانتصر فيهما المجاهدون على قافلتين للهاغاناه، علماً لم يشترك أحد من دير ياسين في أيهما.» ويذكر الخالدي أيضاً، أن يهودا لبيدوت، مساعد بن تسيون كوهين، قال في شهادة له عن الاجتماع المذكور، أن اقترح المجتمعون تصفية سكان دير ياسين، بقصد: «تحطيم معنويات العرب ورفع معنويات الجالية اليهودية في القدس ولو قليلاً، وهي التي كانت في الحضيض نتيجة الضربات الموجعة التي كانت قد تلقتها مؤخراً.»(بيروت، ط2 تشرين الثاني /نوفمبر 2003، ص30-31)

ما أوردته عن الخالدي، يدلل كيف كان الصهاينة يفكرون بالفلسطينيين، وبالعرب في ذلك الحين، والكتاب مليء بالشهادات عن الناجين، كلها تدمي القلب والعين، لقسوتها. كما أنه مليء بمنقولات عن أرشيفات صهيونية، تبين كيف كانت تتخذ القرارات، كيف قتلوا وأعدموا، وكيف أجهزوا على أسرى وجرحى.

هذا الكتاب، الذي يتكلم عن مجزرة بشعة حدثت في العام 1948، لو غيّرنا فيه، أسماء الأماكن والأشخاص، لصلح تماماً لوصف ما يحدث اليوم في غزة. الاقتباس الذي أوردته أعلاه، من السهل جداً إيجاد ما يتطابق معه في الحرب المسعورة التي يشنها الاحتلال على الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، وفي الضفة الغربية، ولو بدرجة أقل، حتى الآن.

كما يذكر المؤرخ الإسرائيلي بيني موريس، أن الخطة «دال» أو «دالِت» خولت كل لواء حرية التعامل مع القرى الواقعة في منطقة عملياته، فصدرت التعليمات لكل لواء متضمنة: «خلال عملية الاستيلاء على القرى في مناطق عملياتكم، يرجع لكم تحديد ما إذا كان من الضروري تطهيرها أو تدميرها، وذلك بالتشاور مع مستشاريكم للشؤون العربي وضابط استخبارات الهاغاناه... ويُصرح لكم قدر الإمكان بتقييد عمليات تطهير وإخضاع وتدمير قرى العدو في مناطق عملياتكم»(«مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين»، بيني موريس، ترجمة: عماد عواد، سلسلة عالم المعرفة، العدد 406 نوفمبر 2013، ص214) هكذا كانت الأوامر، وهكذا هي الأوامر اليوم، فقد سمعنا وقرأنا رؤية أو خطة «وزارة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية» التي عالجت فيها كيفية التعامل مع سكان قطاع غزة، وقد درست بحسب الورقة، **ثلاثة خيارات:**

الخيار الأول: بقاء السكان في قطاع غزة، وإسناد الحكم إلى السلطة الفلسطينية.

الخيار الثاني: بقاء السكان في قطاع غزة، واستحداث سلطة عربية محلية من أوساطهم.

الخيار الثالث: إجلاء السكان المدنيين من قطاع غزة إلى سيناء.

وأوصت أن الخيار الثالث «هو الخيار الذي سيحقق نتائج استراتيجية إيجابية وطويلة الأمد بالنسبة إلى إسرائيل، وهو خيار قابل للتنفيذ. هناك حاجة إلى تحلي المستوى السياسي بالصرامة في مواجهة الضغط الدولي، مع التركيز على استقطاب الولايات المتحدة والدول المؤيدة لإسرائيل لدعم هذه الخطوة.»

بينما رأت الخطة، أن الخيار الأول، أي بقاء الفلسطينيين في قطاع غزة، هو الأكثر مخاطرة، معتبرة أن اعتماده يعني «انتصاراً غير مسبوق للحركة الوطنية الفلسطينية، وهو انتصار سيكلف إسرائيل ثمناً يتمثل في حياة آلاف المدنيين والجنود، كما أنه خيار لا يضمن الأمن الإسرائيلي.»[1]

من الواضح تماماً، أن لا فرق بين اليوم والبارحة في ذهنية الاحتلال، القتل هو القتل، لكن ما تغير هي الأدوات، وأنواع الأسلحة، وبينما اضطرت الوكالة اليهودية في العام 1948، بعد الضجة العالمية التي قابلت المجزرة المروعة في دير ياسين، إلى إنكار مشاركة قواتها (البلماح) في المجزرة، ولصقها فقط بـ «شتيرن» و«الإرغون» -علماً أنه في مساء 4/9، عقدت المنظمتان مؤتمراً صحافياً، وأعلنتا أن قوات البلماح شاركت في الهجوم-، كما أرسلت رسالة اعتذار إلى الملك عبدالله، وأرسل بن غوريون رسالة أخرى إليه، فضلاً عن تصريحات تشجب أفعال العصابتين. فإن الاحتلال اليوم، يجاهر بمجزرته، فمثلاً وليس حصراً، قال وزير الحرب الإسرائيلي يوآف غالانت: «سنفرض حصارا كاملا على مدينة غزة، لا كهرباء ولا طعام ولا ماء ولا وقود، كل شيء مغلق، نحن نحارب حيوانات بشرية ونتصرف وفقا لذلك». («معاريف»، 2023/10/11). كما قال رئيس دولة الاحتلال يتسحاق هرتسوغ: «نحن في حرب غزة في مواجهة حيوانات بشرية متوحشة تذبح المسنين والأطفال» («معاريف»، 2023/10/8). ومثلهما قال رئيس حكومة الاحتلال بنيامين نتنياهو: «نخوض حرباً للدفاع عن الوطن، حرب لضمان وجودنا، حرب سننتصر فيها. لقد فُرضت هذه الحرب علينا من طرف عدو بغيض، حيوانات بشرية تحتفل بقتل النساء والأطفال والمسنين. لم نر مثل هذه الفظائع منذ أيام داعش. لقد كنا نعلم دائماً من هي ‹حماس› والآن العالم كله يعلم. سنهزمها كما هزم العالم داعش» («يديعوت أحرونوت» 2023/10/9).

إذن ليس هناك أي تغيير يذكر لدى الاحتلال، إلا بأدوات القتل. الذي تغيّر، هو الشعب الفلسطينية ومقاومته، وقدرتهم معاً على التصدي للخطر الوجودي الحقيقي على بقاء فلسطين. بالبدء، كانت هناك مراهنات كبرى، على أن الشعب الفلسطيني، سيذوب ويتلاشى، ويقبل بالتعايش مع بعض الإغراءات المادية. لم يحدث ذلك، وتكّسر، كما كان يتكّسر عند كل محاولة وإعادة لنفس المخطط بأشكال مختلفة. بدءاً بأولى المحاولات الشعبية لإعادة تنظيم «شعب الخيام»، فكانت «شباب الثأر» ولاحقاً «حركة القوميين العرب»، مروراً بتأسيس «فتح» وباقي الفصائل الفلسطينية. وخلال عقد الستينيات، أنشئت «منظمة التحرير الفلسطينية» بقرار عربي، بقيادة أحمد الشقيري، بقصد تنظيم الشعب الفلسطيني، وبعد وقت تولتها الفصائل، بقيادة ياسر عرفات قائد «فتح»، ليلتحق في صفوف فصائلها وقواها الشعب الفلسطيني في الخارج والداخل، بهدف تحرير الأرض والعودة. وبعد عقود، وبعد تشتت مجدداً، أعاد الشعب إنتاج نفسه، فكانت القوى الإسلامية، وكانت «الانتفاضتين» بمشاركة فلسطينية عامة، من كل القوى الفلسطينية الحية.

واليوم، ها نحن، أمام حالة فلسطينية جديدة بكل ما للكلمة من معنى، فبينما كنا في العام 1948 أقل تنظيماً أمام العصابات الصهيونية، وأضعف قوة وعتاداً، فإن تلك العصابات نجحت في تهجير أكثر من 700 ألف من شعبنا، وفي تدمير أكثر من 400 قرية، واستيطان بلادنا، وعبرنة بعضها، وإتمام احتلالها بعد 19 عاماً، مع أجزاء من الدول العربية المحيطة، لكننا اليوم أمام مقاومة منظمة، تديرها قيادة، لم يعرف التاريخ الفلسطيني مثيلها، كما يقول المفكر الفلسطيني منير شفيق. تقاتل هذه المقاومة منذ أكثر من 8 شهور أحد أقوى جيوش العالم، ولم يتمكن من الانتصار عليها، بينما تتحقق إنجازات أخرى للقضية الفلسطينية، من إيصال إسرائيل إلى محكمة العدل الدولية، وإلى محكمة الجنايات الدولية، لتطرح أسماء قادة الاحتلال كمجرمين ومطلوبين، ولتصل القضية الفلسطينية إلى شوارع العالم، التي يخرج إليها ملايين يؤيدون الشعب الفلسطيني، ويؤيدون حقه بالحرية والحياة، وإلى كبرى جامعات العالم، أو كما تسمى جامعات النخبة، تلك التي تصدّر القادة. كما أن القضية الفلسطينية اليوم، أصبحت ورقة الانتخابات في أكثر من عاصمة في العالم، على رأسها، واشنطن. هذا فضلاً عن قرار الاعتراف بالدولة الفلسطينية كاملة العضوية، والاعتراف الرسمي بهذه الدولة من قبل إسبانيا والنرويج وإيرلندا.

ضحّينا كفلسطينيين بالكثير، أعداد شهدائنا وجرحانا كبير جداً، والدم ليس بمقدور أحد حمله، حتى المقاومة، برجالها وبقادتها. لكن هذا الاحتلال الذي يكرر السيناريو ذاته منذ ما قبل النكبة، آن الأوان لوضع حد نهائي له، وهو حد سيحرر العالم، ليس فلسطين فقط.

1ـ ورقة وزارة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية: الحل الأمثل هو إجلاء سكان غزة إلى سيناء، في الموقع الإلكتروني التالي: https://www.palestine-studies.org/ar/node/1654538

نظرة مبسطة حول مشروع الحزام والطريق

المشروع الاقتصادي المهم والحيوي

د. أدهم شقير ـ باحث في الشأن الاقتصادي ـ سورية

على مدى قرون طويلة كان طريق الحرير أحد أقدم طرق التجارة وأهمها، بعد أن مثّل للعالم شرياناً رئيسياً للتفاعل الثقافي والتجاري في مناطق أوراسيا (أوروبا وآسيا) المختلفة، حتى منتصف القرن الخامس عشر.

وهناك مساعٍ جديدة لإعادة إحياء هذا الطريق، بلْ وتطوير تأثيره ومداه وخصائصه بشكلٍ يواكب إمكانات الدول العظمى والاقتصاد العالمي المفتوح لعالمنا الحديث.

طريق الحرير القديم من القرن الثاني قبل الميلاد، ويشير الاسم إلى شبكة الطرق البرية والبحرية التي ربطت بين الصين وأوروبا مرورا بالشرق الأوسط، بطول يتعدى عشرة آلاف كيلومتر.

اما طريق الحرير الجديد، فهو مشروع صيني عملاق تشارك فيه 123 دولة، تريد الصين من خلاله تسريع وصول منتجاتها إلى الأسواق العالمية، بما في ذلك آسيا وأوروبا وأفريقيا وأميركا الجنوبية والوسطى.

ما معنى الحزام والطريق؟

ويعرف المشروع رسميا باسم «الحزام والطريق»، وهو مبادرة صينية قامت على أنقاض طريق الحرير القديم، ويهدف إلى ربط الصين بالعالم عبر استثمار مليارات الدولارات في البنى التحتية على طول طريق الحرير الذي يربطها بالقارة الأوروبية، ليكون أكبر مشروع بنية تحتية في تاريخ البشرية، ويشمل ذلك بناء مرافئ وطرقات وسككا حديدية ومناطق صناعية...

يتضمن المشروع فرعين رئيسين: البري «حزام طريق الحرير الاقتصادي»، والبحري «طريق الحرير البحري».

ويسميه المشرعون الصينيون عقد اللؤلؤ يتألف من موانئ تبنيها الصين. تمتد غربًا بطول المحيط الهندي لأن الموانئ والطرق السريعة والسكك الحديدية الجديدة يمتد طريق الحرير البحري من الساحل الصيني عبر سنغافورة والهند باتجاه البحر المتوسط ضمن هذه المبادرة الصينية التي لن تعزز فقط نفوذ بكين في المنطقة، بل يمكن أن تساعد الصين فقط يومًا ما في حالة نشوب نزاع عسكري إنما ستؤدي لتهميش الهند وتحجيم حضورها و ليس صعبا تخيل الحصار الصيني للهند.

ـ أما الفرع البري من المبادرة الذي من المقدر أن يغطي أكثر من 2600 مشروع في أكثر من 100 دولة، فيشمل ست ممرات رئيسية هي:

1. الجسر البري الأوراسي الجديد الذي يمتد من غربي الصين إلى روسيا الغربية.
2. ممر الصين – مونغوليا – روسيا الذي يمتد من شمالي الصين إلى الشرق الروسي.
3. ممر الصين – آسيا الوسطى – آسيا الغربية الذي يمتد من غربي الصين إلى تركيا.
4. ممر الصين – شبه جزيرة الهند الصينية الذي يمتد من جنوبي الصين إلى سنغافورة.
5. ممر الصين – باكستان الذي يمتد من جنوب غربي الصين إلى باكستان.
6. ممر بنغلاديش – الصين – الهند – ميانمار الذي يمتد من جنوبي الصين إلى الهند.

ما هي الدول التي يمر بها طريق الحرير الجديد؟

تشمل الممرات البرية: الجسر البري الجديد الأوراسي الذي يمتد من غرب الصين إلى غرب روسيا عبر كازاخستان، ويتضمن سكة حديد طريق الحرير عبر منطقة سنجان ذاتية الحكم في الصين وكازاخستان وروسيا وبيلاروسيا وبولندا وألمانيا.

هذا و يمرّ الفرع الشمالي من منطقة بلغار- كيبتشاك وعبر شرق أوروبا وشبه جزيرة القرم وحتى البحر الأسود وبحر مرمرة والبلقان ووصولاً للبندقية. أمّا الفرع الجنوبي فيمرّ من تركستان وخراسان وعبر بلاد ما بين النهرين والعراق والأناضول وسوريا عبر تدمر وأنطاكية إلى البحر الأبيض المتوسط أو عبر دمشق وبلاد الشام إلى مصر وشمال أفريقيا.

من اين يبدأ طريق الحرير واين ينتهي؟

ابتداء من الساحل الغربي لليابان مروراً بالساحل الصيني نحو جنوب شرقي آسيا فالهند وصولاً إلى الشرق الأوسط ثم إلى البحر المتوسط كان يبيع التجار المسافرون على هذه الطرق الممتدة على أكثر من ١٥٠٠٠

كيلومتر منتوجات المنسوجات والمشغولات الخشبية والأحجار الكريمة والمشغولات المعدنية والبخور وخشب البناء والزعفران.

ما سبب إنشاء طريق الحرير الجديد؟

الفكرة الأساسية من المشروع عملياً هي بناء شبكة سميكة من البنى التحتية التي تسهل تبادل السلع والمعرفة والثقافة ليس فقط بين الصين وأوروبا، ولكن أيضاً بين تلك البلدان التي يمر عبرها في أوراسيا والشرق الأوسط وإفريقيا وأوروبا الشرقية التي توافق على المشاركة.

كم يبلغ طول طريق الحرير؟

وقد وضع قسم من هذا الطريق على لائحة التراث العالمي عام 2014 ويمتد هذا القسم لمسافة 5000 كلم عبر ثلاث دول هي الصين، كازخستان وأوزبكستان. يتضمن موقع طريق الحرير 33 موقعاً مختلفاً تشمل مدن رئيسية، قصور، مستوطنات تجارية، ممرات جبلية، منارات، أجزاء من سور الصين العظيم، حصون، أضرحة ومباني دينية.

أثر مبادرة الحزام والطريق على تكاليف التجارة العالمية انخفاضا في مدة الشحن يتراوح بين 1.7 الى 3,2 في المئة في الدول المشاركة.

وتشكل مبادرة الحزام والطريق جسرا لتعزيز العلاقات الاقتصادية والتجارية والاستثمارية بين نحو 75% من سكان العالم البلدان الواقعة على طول الممر الاقتصادي الذي يصل بين الصين ووسط وغرب آسيا ستشهد أعلى نسبة انخفاض في ازمنة النقل.

تنفيذ جميع مشاريع البنى الأساسية للنقل في إطار المبادرة عالميا. سيقلل من التكاليف التجارية الإجمالية بنسبة تتراوح بين 1.1 و2.2 في المئة في اقتصادات البلدان المنضمة إلى المبادرة، سيتراوح الانخفاض في التكاليف التجارية بين 1,5و 2,8 في المئة.

طموحات الصين في «طريق حرير جديد»

أعلن الرئيس الصيني شي جين بينغ عام 2013 عن إنشاء ممرٍ تجاريٍّ مُزدوج جديد لإعادة فتح القنوات بين الصين وجيرانها في الغرب، وعلى الأخص: آسيا الوسطى والشرق الأوسط، وأوروبا.

حيث بلغ حجم التجارة الخارجية للصين أكثر من 6.3 تريليون دولار للصين، وفقاً لبيانات المكتب الوطني الصيني للإحصاء. وحجم الصادرات للصين 3.59 تريليون دولار عام 2022، ووفقاً لخطة عمل مشروع «الحزام والطريق» أو ما بات يُعرف باسم «طريق الحرير الجديد»، الصادرة عام 2015، تشمل المبادرة الطُّرق البرية (أي الحزام) والطُّرق البحرية (أي الطريق) بهدف تحسين العلاقات التجارية في المنطقة من آسيا الوسطى لأوروبا، من خلال استثمارات البنية التحتية

يمتد غربًا من وسط آسيا إلى أوروبا ويسميه البعض "طريق الحرير" الجديد يتضمن تأهيل وبناء الصين لطرق وشوارع وسكك حديدية.

يوضح موقع Silk Capital للتاريخ والتوثيق، أنّ «مفهوم طريق الحرير» كان يشير بصورة فعليَّة لكلٍّ من الطرق البرية والبحرية التي تربط بين آسيا وأوروبا.

لعبت التجارة على طريق الحرير دوراً بارزاً ومحورياً في تطوير حضارات الصين ومملكة جوجوريو (كوريا الشمالية والجنوبية اليوم) واليابان وشبه القارة الهندية وبلاد فارس وأوروبا والقرن الإفريقي والجزيرة العربية،

ولكن ما هو الفارق بين طريق الحرير الأصلي ونسخته الحديثة الذي ابتكرته الصين وتعمل بشكلٍ حثيث على إقناع الدول بجدواه، وهل يمكن أن يكون ذراعاً اقتصادية ممتدة للسيطرة على شكل العالم السياسي وموازين القوى العظمى؟

طريق الحرير «القديم».. شريان طوَّر الحضارات على جانبيه في حين أن المصطلح بات معروفاً لنا مما تم توثيقه من العملات المعدنية الحديثة التي عُثِرَ عليها في تلك المناطق، فإنّ طريق الحرير اشتق اسمه من التجارة المربحة في الحرير والخيول التي تمَّت على طول هذه المساحات الشاسعة من العالم.

بدءاً من عهد أسرة هان الصينية (207 ق. م حتى 220م) وسَّعت الإمبراطورية نصيب آسيا الوسطى من طُرُق التجارة، حيث كانت أوزبكستان الحالية بمدينتيها الشهيرتين بُخَارَى وسَمَرقَند ومنطقة آسيا الوسطى مركزاً لطريق التجارة العالمي الأوَّل.

وعلى الرغم من أنّ «الحرير» كان بالتأكيد العنصر التجاري الرئيسي الذي يتم تصديره من الصين، فقد تم تداول العديد من السلع الأخرى سواء كانت مادية «معنوية». وبالإضافة إلى الأديان والفلسفات والأفكار والتقنيات والعلوم الحديثة المختلفة، انتشرت من خلال هذه الطرق التجارية الأهم في ذلك الوقت الأمراض أيضاً؛ فكان طريق الحرير سبباً في تفشي الطاعون في آسيا وأوروبا بين عامي 1346 - 1353.

كما فتحت المعاملات التجارية والرحلات المستمرة عبر هذا الطريق المجال لتطوير علاقات سياسية واقتصادية بعيدة المدى لم يكن بالإمكان أن تتم من قبل. وكذلك بدأت الحضارات المختلفة تَطَّلع على بعضها البعض.

وكان من بين أجناس التجار الرئيسية خلال العصور القديمة عبر هذا الطريق: الصينيون والعرب والهنود والصوماليون والسوريون والفرس واليونانيون والرومان والجورجيون والأرمن والتركمان، في الفترة من القرن الخامس حتى القرن الثامن ميلادياً.

«طريق الحرير» وتغيير الثقافات عبر «الورق والبارود»

سافر المستكشف الأوروبي ماركو بولو في القرن الثالث عشر على هذا الطريق ووصفه بعمقٍ في أعماله الشهيرة. لكن، ومع ذلك لم يُنسب إليه الفضل في تسميته بطريق الحرير.

ويُعتقد أن أصل التسمية قد صاغها الجغرافي والرحالة الألماني فرديناند فون ريشتهوفن، في عام 1877 ميلادياً، والذي أطلق عليه اسم «Seidenstrasse» أي طريق الحرير باللغة الألمانية.

في حين أن العديد من أنواع البضائع المختلفة كانت تنتقل على طول شبكة التجارة على طريق الحرير، فإن الاسم يأتي من شعبيَّة الحرير الصيني عندما وصل إلى الغرب، خاصة في روما.

فقد امتدت طُرُق طريق الحرير من الصين عبر الهند وآسيا الصغرى، حتى بلاد ما بين النهرين، وصولاً إلى مصر والقارة الإفريقية ثمّ اليونان وروما وبريطانيا.

أصبحت منطقة شمال بلاد ما بين النهرين (إيران الحالية) أقرب شريك للصين في التجارة، وبدأت تبادلاتٍ ثقافية مهمة بينهما.

كان للورق مثلاً والبارود، وهما اختراعان صينيَّان، تأثيرٌ أكبر على الثقافة العامة لدول العالم الواقعة على الطريق، أكثر من الحرير نفسه. فالورق ساهم في التوثيق ونقل المعرفة، والبارود أثّر بشكلٍ كبير على شكل الحروب.

كما ساهمت «بُهارات الشرق» الغنية أكثر على الموضة واستحداث طرق الطهي الجديدة عن تلك التطورات الثقافية التي نشأت من صناعة الحرير.

الحركة الاحتجاجية الطلابية الأميركية

تواجه القمع الشامل

عبد النبي العكري ـ كاتب سياسي وناشط حقوقي ـ البحرين

لعل ما يجري في جامعة كولومبيا يختصر ما يجري في الولايات المتحدة من مواجهة ما بين الحركة الاحتجاجية الطلابية المناصرة لفلسطين والمعارضة للتحالف الأميركي «الإسرائيلي» الصهيوني من ناحية ومؤسسات السلطة في الدولة والمجتمع الأميركي بمختلف تفرعاتها.

في تطور نوعي لحركة الاحتجاجات الطلابية الجامعية المناصرة لفلسطين والتي انطلقت من جامعة كولومبيا المرموقة في نيويورك أقدم الطلبة المحتجون إلى الاعتصام بإقامة مخيم في فضاء الجامعة والذي أضحى يستقطب مزيدا من المحتجين وتلقى فيه الكلمات التضامنية وتجرى المناقشات لإبعاد حرب الإبادة من قبل الكيان الصهيوني بمشاركه أميركية وغربية ضد الشعب الفلسطيني، وانضم إليهم أساتذة وأكاديميين وعاملين من الجامعة .ويعيد هذا الحراك إلى الأذهان الاحتجاجات الطلابية الجامعية ضد الحرب الأميركية في فيتنام في الستينيات والتي انطلقت من جامعة كولومبيا أيضا وامتدت للجامعات الأميركية عبر الولايات المتحدة والتي أسهمت في الانسحاب الأميركي من فيتنام في عهد نيكسون.

ومن المهم هنا التنويه إلى أن شعارات ومطالب المحتجين قد تطورت أيضا فإلى جانب المطالب السابقة بوقف الحرب «الإسرائيلية « على غزة والحرية لفلسطين ووقف الدعم الأميركي المطلق للكيان الصهيوني، فقد طرح مطلب وقف التعاون مع الكيان الصهيوني وجامعاته , ووقف الاستثمار في الكيان الصهيوني والشركات الأميركية الداعمة له والمتورطة في الحرب .كما طرحت في النقاشات طبيعة النظام الأميركي الذي يعيش على الحروب والاستغلال ويدعم الأنظمة الفاشية مثل الكيان الصهيوني. وهنا صعدت مؤسسة السلطة من المواجهة فاستدعت رئيسة الجامعة د.نعمت شفيق للمثول والاستجواب أمام لجنة التعليم في مجلس النواب والذي طالبها بطرد الطلبة والأساتذة المعتصمين بإنهاء حركة الاحتجاج بل إن بعضهم طالبها بالاستقالة. وبالفعل فقد طلبت د.شفيق قوات الأمن بالتدخل دون موافقه مجلس الجامعة. حيث تابعنا جميعا اقتحام الشرطة بكل تجهيزاتهم القتالية لحرم الجامعة واعتداءاتهم العنيفة على الطلاب بالضرب واعتقال ما يزيد عن مائة طالب منهم وإحالتهم للتحقيق والمحاكمة. مجلس الجامعة وبخ رئيسه الجامعة لاستدعائها للشرطة وما ترتب عليه من هدر حرمة الجامعة وانتهاك فاضح لحقوق طلابها والاعتداء عليهم مما ترتب عليه من تداعيات خطيرة

وكما أن الاحتجاجات التي بدأت في

جامعة كولومبيا قد انطلقت منها لتجتاح الجامعات الأميركية، فإن ما تعرض له الطلبة والمدرسين المعتصمين في كولومبيا أطلق حملة واسعة للتضامن معهم واستنكار ما جرى لهم من قمع واعتقال من قبل الشرطة حيث اجتاحت ظاهرة الاعتصام وإقامة مخيمات احتجاجيه العشرات من الجامعات الأميركية عبر الولايات المتحدة.

أما الوجه الآخر للقمع الرسمي فيتمثل في تبني السلطة لأجندة الكيان الصهيوني واللوبي «الإسرائيلي» والحركة الصهيونية وهو أن الحركة الاحتجاجية معاديه للسامية ولليهود ول»إسرائيل» كما هي معادية لأمريكا ذاتها .من هنا أقر الكونجرس الأميركي قانون باعتبار معاداة للصهيونية بأنها معاداة للسامية يتوجب تجريمها .كما جاءت التصريحات الرسمية للقادة الأميركيين في مؤسسات السلطة باستنكار وإدانة الحركة الاحتجاجية والدعوة لقمعها .من هنا أتت خطورة قيام رئيس مجلس النواب مايك جونسون (المحسوب على ترمب) بزيارة إلى جامعة كولومبيا محاطا بحراسة مشددة ومخاطبة المحتجين بعنف واتهامهم بمعاداة السامية واليهود وإسرائيل وامريكا وعدم الوطنية والفوضوية مهددا بإنهاء الاعتصام بالقوة .

بالطبع فان ذلك يمثل سابقة خطيرة في تدخل فاضح للسلطة التشريعية والتنفيذية والأمنية في الجامعات والمؤسسات الأكاديمية وهدر استقلاليتها انصياعا لمصالح دولة أجنبيه «الكيان الصهيوني» وعلى حساب مصالح أمريكا ودستورها وشرعيتها وقيمها.

وكما جرى من انتهاكات فاضحة في جامعة كولومبيا فقد اجتاحت موجة كاسحة من التشهير والعقوبات واقتحامات قوات الأمن والحرس الوطني جميع الجامعات الأميركية التي تشهد الاعتصامات وجرى التنكيل بالطلبة والأساتذة والأكاديميين المعتصمين بشكل وحشي لا سابق له. بل إن هذه الموجة الوحشية انتقلت إلى جامعات أوروبا في فرنسا وألمانيا في ظاهرة لا سابق لها. في جميع هذه الجامعات وفي ظل هذه التدخلات والضغوط غير المشروعة عمدت إدارتها إلى فصل المئات من الطلبة وعشرات من الأكاديميين واعتبار الاعتصامات غير مشروعة وطالبت الطلبة إنهائها. ومع الاستمرار في الاعتصامات والاحتجاجات اقتحمت قوات الشرطة والحرس الوطني بكامل جاهزيتها القتالية عشرات الجامعات واعتدت بوحشية على الطلبة والأساتذة المعتصمين. لقد شاهدنا هذه المشاهد المروعة التي تنم عن خوف شديد للسلطة الأميركية من وعي النخبة الطلابية والأكاديمية من الاميركيين وخطر تحولها لحركه تغيير شامل، والاستعداد للتضحية بقيم وحقوق الأميركيين لصالح الكيان الصهيوني بكل وسائل الضغط والانتقام والقمع. ولقد شاهدنا استغاثة البروفسورة نويل مكافي رئيسة قسم الفلسفة بجامعة ايموري باتلانتا والمعاملة الوحشية أثناء اعتقال البروفسورة أستاذة الاقتصاد بجامعة جنوب كاليفورنيا.

أما الظاهرة الأخرى فهي قيام قادة اللوبي «الإسرائيلي» والحركة الصهيونية والمسؤولين الأميركيين بزيارات تحقيق وتفتيش لهذه الجامعات والإدلاء بتصريحات تحريضية ضد حركة الاحتجاج باعتبارها معادية للسامية واليهود و»إسرائيل» وأمريكا وتقديم معلومات كاذبة عن استهداف الطلبة اليهود والإسرائيليين، والمطالبة بمعاقبتهم وقمع حركتهم بالدعوة لتدخل الشرطة والحرس الوطني وهو ما يجري حاليا .

ومن أهم الجامعات التي جرى اقتحامها وقمع المعتصمين طلبة ومدرسين واعتقالهم جامعه هارفرد ونورث ويسترن ومعهد التكنولوجيا في ولاية ماساشوستس وجامعة جورج واشنطن بالعاصمة واشنطن وجامعه ييل وجامعة واشنطن في سانت لويس وجامعة جنوب كاليفورنيا وجامعة بيركلي وجامعة لوس انجيلس وجامعة اوستن بتكساس وجامعة بلومنجتن باندیانا وجامعة أريزونا وجامعة ايلينيو وجامعة ايموري باتلانتا وجامعه بنسلفانيا وجامعه جنسفيل بفلوريدا وغيرهم من الجامعات .

ورغم ذلك فقد عمد الطلبة المحتجون للتجمع مره أخرى وإقامة مخيمات الاعتصام في أكثر من جامعة. رغم الاعتقالات والقمع ومرابطة قوات الأمن حيث عمد أساتذة الجامعة إلى تكوين حزام بشري لحماية الطلاب المعتصمين. كما انظم إلى الطلبة المعتصمين العديد من الأساتذة والاكاديميين والمهنيين الجامعين بدءاً بجامعة كولومبيا وتبعتها الجامعات الأخرى ونالهم ما نال الطلبة من اعتداءات الشرطة والتحقيق والإحالة للقضاء .

ويطرح المعتصمون إلى جانب المطالب التي ذكرناها سابقا مطالب إطلاق سراح زملائهم وإلغاء قرارات الطرد من الجامعة بحق الطلبة والمدرسين ومحاسبة مسؤولي الجامعات عن قراراتهم الخاطئة وكذلك محاسبه عناصر الشرطة والحرس الوطني عما ارتكبوه من اعتداءات وإلغاء الملاحقات القانونية. وبفضل هذه الضغوط فقد توقف استهداف الاعتصامات مؤقتا وتخطئة قرارات الاستعانة بقوات الأمن من قبل مجالس بعض الجامعات.

احتمالات تطورات الصراع

تبقى احتمالات تطورات الصراع مفتوحة على مختلف الاحتمالات. حرب الإبادة «الإسرائيلية « ضد غزة وباقي فلسطين المحتلة مستمرة مع ما يترتب عليها من مذابح وتجويع ودمار والمشاركة الأميركية فيها مستمرة مما يستثير أصحاب الضمير وفي مقدمتهم المعتصمين. .وفي ظل المعركة الانتخابية الأميركية، فإن المزايدات لإرضاء الكيان الصهيوني واللوبي «الإسرائيلي» فيما بين الحزبين (الجمهوري والديمقراطي) ومرشحيهما ترمب و بايدن والمتنافسين في الطبقة السياسية سيزداد .كما أنه في ظل السطوة والنفوذ «الإسرائيلي» والصهيوني، فان الحركة الاحتجاجية مستهدفة بمزيد من القمع بهدف تصفينها.

من ناحية أخرى فان صمود الحركة الاحتجاجية وتجذرها وتوسعها لتشمل مزيدا من الجامعات والطلبة والأكاديميين وارد خصوصا بعد انضمام المدرسين والاكاديميين لهم في بعض الجامعات. كما أن بعض السياسيين المرموقين في الكونجرس مثل بيرني ساندز والهان عمر والمرشحين المستقلين لانتخابات الرئاسة والكونجرس والولايات يقفون إلى جانب الحركة الاحتجاجية والتي تحظى بتغطية إعلامية رغم انحياز الإعلام الرسمي. كما أن انتقال الحركة الاحتجاجية إلى الجامعات والمدن الأوربية يعزز من موقعها ومصداقيتها .كما أنه من المحتمل أن تتوسع الحركة الاحتجاجية لتشمل منظمات وتنظيمات وفئات اجتماعيه مثل نقابات العمال وروابط المهنيين والاختصاصين والمجالس المحلية. .

النكبة مستمرة..
حتى دحر الاحتلال

علي زيدان ـ باحث وكاتب سياسي ـ لبنان

تعرض الشعب الفلسطيني، في شهر أيار/ مايو من عام 1948، إلى ضربة قاصمة، تركت آثارها على تاريخه وهويته الوطنية، حيث أصبح أكثريته من اللاجئين المنتشرين في بلدان الشتات. كما أدت أحداث النكبة إلى تحولات كُبرى في المشهد السياسي في المنطقة والعالم. جاءت أحداث النكبة ذلك العام تتويجاً لنشاط استعماري مكثف قامت به دولة الاحتلال آنذاك، بريطانيا، لدعم الحركة الصهيونية في إقامة وطن قومي لليهود على أرض فلسطين وفقاً لوعد بلفور المشؤوم. وفي عام 1947 أصدرت الأمم المتحدة القرار 181 بتقسيم فلسطين إلى دولتين، واحدة عربية وأخرى يهودية. لقد حظي قرار إنشاء الكيان الصهيوني الجديد بتأييد ودعم الدول الكبرى آنذاك، بما فيها الاتحاد السوفياتي السابق. بينما لم تحظى الدولة الفلسطينية المفترضة بأية إشارة، ولم تُتَّخذ أية خطوات عملية نحو إعلانها.

لقد شكل تاريخ 15 أيار 1948، نقطة تحول مثيرة في مسار الأحداث التاريخية، وتَغيُّر المعالم الجغرافية لمنطقة الشرق الأوسط. لفد أقيمت دولة للكيان الصهيوني على أجزاء كبيرة من فلسطين التاريخية بلغت أكثر من 55%، دون أن يتم قيام دولة فلسطينية على ما تبقى من أرض فلسطين التاريخية، وفقاً لقرار التقسيم الأممي. وبعد إنشاء الكيان الصهيوني، قامت بعض الأنظمة العربية في عام 1949، بدور سلبي ومتخاذل بالتعاون مع بريطانيا والمنظمات الصهيونية، وذلك من أجل القضاء على فرصة إنشاء الكيان الفلسطيني المستقل، ومحو فلسطين من الذاكرة والجغرافيا. فقد تم ضم الضفة الغربية إلى إمارة شرق الأردن، وإعلان المملكة الأردنية الهاشمية؛ وبالمقابل قامت الحكومة المصرية بضم قطاع غزة إلى الوصاية المصرية. هذا الموقف العربي الرسمي المتواطئ الذي كانت تديره بريطانيا والمنظمات الصهيونية ساهم بتعميق آثار النكبة، والقضاء نهائياً على إمكانية قيام الدولة الفلسطينية المفترضة. اعتمدت العصابات الصهيونية استراتيجية نازية، خلال حرب العام 1948، من أجل تثبيت دعائم الكيان الجديد قائمة على ارتكاب المجازر المنظمة في القرى الآمنة من أجل ترويع وإرهاب المواطنين العزل، وتهجيرهم من ديارهم وأراضيهم إلى خارج حدود فلسطين، نحو الدول العربية المجاورة. وظلت هذه السياسة النازية سمة أساسية من سمات الكيان الصهيوني يمارسها منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم. وعلى هذا الأساس تم تهجير مئات الآلاف من الفلسطينيين ومصادرة أراضيهم. وقد ترافقت تلك الأحداث بصمت دولي تام، وتنسيق كامل بين الكيان الصهيوني وحكومات وشخصيات عربية. منذ ذلك التاريخ، والنكبة ظلت مستمرة بأشكال مختلفة، تعرض فيها الشعب الفلسطيني لأصناف شتى من المؤامرات والمذابح، حتى بات يُنظر إليه كشعب زائد في المنطقة، يقف عقبة أمام تطبيع العلاقات مع الكيان الصهيوني وتحويله إلى دولة طبيعية في المنطقة. إلا أن تمسك الشعب الفلسطيني بهويته الوطنية وحقوقه المشروعة ونضاله المستمر جعل حق عودة اللاجئين إلى ديارهم الأصلية نقيضاً للنكبة.

هذا العام، تمر ذكرى النكبة الأليمة في خضم أحداث لا تقل أهمية وخطورة عما حصل في عام 1948. وهذه الأحداث تحمل

نفس الملامح لما حصل آنذاك. في العام 1948، اعتمد الفلسطينيون على مساعدة الدول العربية في مقاومة المشروع الصهيوني. وتعهدت تلك الدول بتحرير فلسطين وطرد الصهاينة، وأرسلت قوات غير منظمة ينقصها التدريب والتنظيم والسلاح، ولم تستطع الوقوف بوجه العصابات الصهيونية المنظمة والمسلحة، فانسحبت تاركة الفلسطينيين العُزّل يواجهون أبشع المجازر والتهجير القسري. ولم يتمكن الفلسطينيون من تنظيم أنفسهم، بطريقة جيدة وفعالة، بالرغم من وجود المناضلين الذين صدقوا الوعود العربية، وبذلوا الغالي والنفيس للدفاع عن الأرض والوطن. فكانت النكبة. وفي هذا السياق، يُمكن القول، ما أشبه اليوم بالبارحة. كتب عبد الله التل في مذكراته عن حرب 1948 أن اليهود كانوا يُهاجمون القرى العربية ويفتكون بالعُزل والعجزة من النساء والشيوخ والأطفال، فتسمع القوات البريطانية الاستغاثة ولكنها لا تتحرك. ولكن حينما كان العرب يقومون بالهجوم على المستوطنات اليهودية تهب القوات البريطانية لحماية اليهود، ومعاقبة وقتل العرب في سبيلهم. هذه السياسة ما زالت قائمة إلى اليوم. فبعد عملية طوفان الأقصى في 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023، أدانت معظم دول العالم، بما في ذلك العديد من الحكومات العربية، هذه العملية واعتبروها عمل إرهابي فظيع قام به فصيل ديني متطرف. وقامت الدول الأوروبية ذات الإرث الاستعماري البغيض بدعم الكيان الصهيوني وتزويده بالأسلحة الفتاكة والمال والإعلام والدعاية الرخيصة والكاذبة بالإضافة إلى المعلومات الاستخبارية للقضاء على المقاومة، متجاهلين حقيقة أن هذا الكيان الصهيوني اغتصب أرض فلسطين منذ عام 1948، وظل يرتكب المجازر تلو المجازر أمام صمت عالمي يوحي بالموافقة على ما يجري. تلك الدول لا تُريد أن تَرى أو تَسمع. إنه عالم فقد ضميره وأصبح بلا أخلاق ولا قيم. لكن اليوم تغيرت تلك الصورة إلى الأبد. تمسك الفلسطينيون بأرضهم، وبحقهم في المقاومة بالرغم من حروب الإبادة والتجويع المتكررة. وأصبحت المقاومة الفلسطينية أكثر تنظيماً، وأكثر إصراراً وفعالية في مقاومة المشروع الصهيوني، بالرغم من الإمكانيات المتواضعة والمحدودة. وقد جاءت عملية طوفان الأقصى استمراراً لنهج المقاومة من أجل تحرير الأرض واستعادة الحقوق الوطنية المشروعة. إلا أن الكيان الصهيوني تصرف بوحشية غير مسبوقة، عكست صورته الحقيقية وصورة الدول الداعمة له. وشن حرباً غير متكافئة ضد الفلسطينيين العُزّل في قطاع غزة، استعمل فيها أحدث الأسلحة الأمريكية الفتاكة والمحرمة دولياً، وتم إلقاء كميات هائلة من المتفجرات فاقت قدرتها التدميرية قنبلة هيروشيما عدة مرات. وتم تدمير الأحياء السكنية، والبنى التحتية، والمستشفيات، والمدارس ومراكز الإيواء، ومارست قوات الاحتلال حصاراً مطبقاً منعت فيه الماء والغذاء والدواء والوقود، دون أن ينبس العالم الذي يدعي التمدن وينادي بحقوق الإنسان بأي كلمة. ولم تصدر أي احتجاجات على أعداد الضحايا من الأطفال والنساء وكبار السن الذين جاوز عددهم عشرات الآلاف من الشهداء، والمفقودين، والجرحى، بالإضافة إلى المعتقلين الذين تتم معاملتهم بأسوأ مما يتصوره العقل البشري. بينما صدرت بعض الإدانات الخجولة عقب مقتل ستة أفراد، من منظمة المطبخ العالمي، ينتمون إلى جنسيات أوروبية وأمريكية، بعد أن استهدفهم جيش الاحتلال. وينبغي القول إن مُجرمي الحرب الذين يقودون هذا الكيان الغاصب هم أنفسهم وإن تغيرت أسمائهم وتواريخهم. ولعل ما يحدث اليوم في قطاع غزة، بعد معركة طوفان الأقصى، من حرب إبادة جماعية ومحاولة تهجير للفلسطينيين من أرضهم يؤكد أن هذا النهج الصهيوني النازي هو استمرار لذات النهج التاريخي منذ عام 1948، وأن النكبة الفلسطينية ما زالت متواصلة بكل تفاصيلها المريرة. هذا النهج المتجدد، هو ما يطلق عليه اليوم تسمية «عقيدة الضاحية»، التي طورها مجرم الحرب الجنرال غادي إيزنكوت، عضو المجلس الوزاري المصغر الحالي، في أعقاب حرب لبنان عام 2006، وتم تطبيقها في الحروب المتتالية ضد قطاع غزة منذ عام 2008 وحتى اليوم، ولم تحصد إلا الفشل. وبسبب صعوبة القتال والمواجهة مع قوات المقاومة الفلسطينية غير النظامية، يقوم العدو النازي باستخدام قوة مفرطة وغير متكافئة ضد التجمعات السكانية من أجل ترويعهم وتحريضهم ضد المقاومة، وتدمير شامل للبنى التحتية المدنية، والمصالح الاقتصادية، ومراكز الخدمات المدنية، من أجل حسم الحرب بسرعة وقوة، ومن دون أي اعتبار للرأي العام العالمي وما يجري من احتجاجات.

هذه الاستراتيجية المعتمدة اليوم، هي نفسها التي اعتمدها الكيان الصهيوني، بأشكال مختلفة، منذ تأسيسه. واليوم، ما زال جيش الاحتلال يشن حرب الإبادة على قطاع غزة، وفقاً لهذه العقيدة النازية، مستخدماً أحدث الأسلحة الأمريكية، حيث تحولت المناطق الآهلة بالسكان إلى ركام غير صالح للسكن. وبالرغم من أن حكومات معظم دول العالم متعاطفة مع الكيان الصهيوني، وترى ضرورة الإفراج عن الأسرى الصهاينة، فإنها ما زالت تتجاهل القتل الوحشي المتعمد للمدنيين العُزّل وهم يبحثون عن الغذاء والتموين، وتتجاهل وجود الآلاف من المعتقلين الفلسطينيين الذين يطالبون بالحرية والاستقلال. غير أن صوت المقاومة، اليوم، وصمودها الأسطوري قد بدأ يُغير المعادلة. وبدأ العالم يستفيق من غفوته، ومن تأثير الدعاية الصهيونية التقليدية، ومن خوف الاتهام بمعاداة السامية وغيرها من الاتهامات الكاذبة التي يبتزوهم بها. وما التحركات الطلابية التي تعم الجامعات الأمريكية والأوروبية ودول أخرى في العالم إلا دليلاً على هذه الصحوة. وينبغي القول إن العديد من التحركات السياسية والاحتجاجية في العالم، ومن ضمنها أصوات يهودية، باتت ترى أن الكيان الصهيوني صار يُشكل خطراً على اليهود أنفسهم، كما يُشكل خطراً على دول وشعوب المنطقة. وقد أصبحت سياسة دعم وتمويل هذا الكيان الغاصب بأموال دافعي الضرائب الأمريكيين عبئا على المجتمع الأمريكي، تحاول الإدارة الأمريكية التخفيف من حدته.

لكن ينبغي القول هنا إن النكبة ومفاعيلها ما زالت مستمرة، ويبدو أنها سوف تستمر في عنفها وقسوتها حتى دحر الاحتلال كلياً وإقامة الدولة الفلسطينية الديموقراطية المستقلة على كامل التراب الفلسطيني. وينبغي النظر إلى عملية طوفان الأقصى بأنها نقطة تحول رئيسة في تاريخ الشعب الفلسطيني ومقاومته الباسلة. بمعنى آخر، هي المحاولة الصحيحة على الطريق الصحيح. غير أن هذا الأمر يتطلب إنهاء الانقسام الفلسطيني وتوحيد كلمة المقاومة تحت راية واحدة، وصوت واحد، ونهج واحد هو نهج المقاومة. حينها، يمكن تحقيق حلم العودة، وإعادة إعمار غزة، وفلسطين بصورة أجمل.

ورقة بحثية

في الذكرى ال (76) للنكبة:

قضية الشعب الفلسطيني عصية على الطمس والتذويب والانكسار

عليان عليان ـ باحث وكاتب سياسي ـ الأردن

في هذه الورقة البحثية، نتوقف أمام محطات ضرب (القضية - الهوية الفلسطينية) ومحاولات شطبها وأمام النضال الوطني الفلسطيني والقومي العربي، للحفاظ على القضية واشتقاق السبل باتجاه إنجاز خطوات عملية لبلورة كيانية للشعب الفلسطيني، تتولى إدارة الصراع مع العدو بوصفها رأس حربة للمشروع القومي العربي لتحقيق هدف تحرير فلسطين.

تصادف الذكرى الـ(76) للنكبة الفلسطينية، في ظل معركة طوفان الأقصى التاريخية التي أعادت الاعتبار للسردية الفلسطينية في العالم أجمع بشكل عام وفي الشارع الشعبي في الولايات المتحدة والدول الغربية بشكل خاص، وباتت الهوية العربية الفلسطينية ترفرف في سماء العالم كما العلم الفلسطيني، معلنةً بقوة التضحية، وبصخب الانتصارات الفلسطينية منذ السابع من أكتوبر، أن هذه الهوية عصية على التذويب والانكسار رغم المؤامرات المستمرة على هذه الهوية منذ عام 1948 وحتى اللحظة.

محطات التآمر على الهوية الفلسطينية

وفي الإجابة على سؤال يطرح في الذكرى أل (76) للنكبة: كيف استطاع الشعب الفلسطيني أن يحافظ على هويته بعد ستة وسبعين عاماً من النكبة رغم كل المجازر و محاولات الشطب والتذويب والأسرلة من قبل الكيان الصهيوني؟ نتوقف باختصار أمام أبرز محطات شطب الهوية الفلسطينية منذ عام 1948 وحتى اللحظة.

لقد سعت الدول الغربية وخاصة بريطانيا والولايات المتحدة وبعض القوى الرجعية منذ عام 1949 أي بعد مرور سنة واحدة على النكبة، لضرب (القضية الفلسطينية - الهوية الفلسطينية الكفاحية) وتذويبها في الإطار العربي العام، من خلال توطين اللاجئين الفلسطينيين في دول الطوق وغيرها، لإفقاد الشعب الفلسطيني خصوصيته الوطنية، علماً أن الشعب الفلسطيني لم يتنكر في يوم من الأيام لهويته العربية ولانتمائه القومي، لكن خصوصية المواجهة مع العصابات الصهيونية وداعميها من الاستعمارين البريطاني والأمريكي قبل عام 1948 وبعده، اقتضت منذ البدايات إبراز الهوية الفلسطينية بوصفها هوية نضالية تربط بين الخاص الوطني والعام القومي وفق ما سبق وأن أكده القائد الشهيد أبو علي مصطفى.

أولاً: محطة التوطين وشطب قضية فلسطين من جدول أعمال الأمم المتحدة

نشير ابتداءً إلى أنه اتخذ قرار في مؤتمر أريحا في الأول من ديسمبر 1948 بضم الضفة الغربية للأردن، حيث تمت الوحدة عام 1950 بعد إجراء انتخابات مناصفة بين الضفة الغربية والضفة الشرقية، وأصبح مواطنو الضفة الغربية مواطنين أردنيين، ولم تعترف الدول العربية في حينه بهذه الوحدة واعتبرتها احتلالاً.

بعد صدور قرار من الأمم المتحدة في 8 كانون الأول 1949 بإنشاء وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين، تم حذف قضية فلسطين من دورات الجمعية العامة للأمم المتحدة واستبدالها ببند يحمل عنوان «التقرير السنوي للمفوض العام لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين، وذلك عبر تنسيق ثلاثي ما بين الكيان الصهيوني والأمين العام للأمم المتحدة آنذاك والولايات المتحدة « واستمر الأمر كذلك حتى عام 1974.

وقد شاركت رئاسة الأونروا الإدارة الأمريكية وبريطانيا، في خمسينات القرن الماضي ومطلع الستينات، في طرح مشاريع

لتوطين اللاجئين بهدف تصفية الأونروا كمقدمة لتصفية قضية اللاجئين، والمصادرة على حقهم في العودة، وتحطيم هويتهم الوطنية، وأبرز هذه المشاريع التي تم طرحها على امتداد النصف الثاني من القرن العشرين:(6)

1. مشروع حسني الزعيم عام 1949 / مشاريع (الأونروا) للتوطين 1952-1954 /مشاريع دالاس 1953، 1956/ مشاريع جونستون 1955، 1961/ مشروع ايدن 1955/ مشروع ايرنهاور 1957، 1958/ مشروع ارئيس جون كنيدي عام 1957/ مشروع الأمين العام للأمم المتحدة «همرشولد» 1959/ مشروع الرئيس بيل كلينتون عام 2000م.

يضاف إلى ذلك المشاريع الاسرائيلية مثل: مشروع ليفي أشكول 1965 / مشروع إيجال آلون 1968 / مشروع شلومو جازيت 1994.

ثانياً: محطة شطب قضية اللاجئين الفلسطينيين والتوطين والتأهيل والتعويض بعد توقيع اتفاقيات أوسلو

ويمكن التأريخ لتاريخ هذه المحطة باتفاقيات أوسلو 1993، التي رحلت قضية اللاجئين الفلسطينيين إلى مفاوضات الحل النهائي، دون أن تسندها بأي قرار من قرارات الأمم المتحدة ذات الصلة، ومن ضمنها قرار 194 في 11 ديسمبر (كانون أول) عام 1948 وقرار الأمم المتحدة الشهير رقم 3236 لعام 1974، ناهيك أن ديباجة القرار انطوت على القرار 242 الذي تعامل مع مرحلة ما بعد 1967 وليس مع مرحلة ما بعد 1948 ما يعني تجاهل قضية اللاجئين الفلسطينيين وحقهم في العودة، والتراجع عن قرار التقسيم عام 1947 على سوءته وإجحافه بحقوق الشعب الفلسطيني، لصالح التسليم بوجود الكيان الصهيوني على 80 في المائة من مساحة فلسطين التاريخية مقابل حكم ذاتي محدود.

كما تعاملت اتفاق أوسلو مع أبناء الشعب الفلسطيني في الضفة والقطاع بوصفهم سكان وليس شعب له هوية، يقيمون على أرض متنازع عليها، تم حل مشكلتهم في إطار حكم ذاتي محدود ومقيد الصلاحيات، لا يمكنه السيطرة على مقاليد الأمور وتفاصيلها فوق الأرض وتحتها ،كما هو مثبت في اتفاق باريس الاقتصادي واتفاق أوسلو (2) الذي قسم الضفة إلى مناطق (ا) و(ب) و(ج) وضع من خلالها المنطقة (ج) التي تشكل (60) في المائة من مساحة الضفة الغربية وتتضمن كافة أحواض المياه ومصادر الثروة الزراعية، تحت السيطرة الإسرائيلية المطلقة.

ومن أبرز مشاريع التوطين والتأهيل لدمج فلسطيني الخارج في المجتمعات التي يعيشون فيها وإفقادهم هويتهم الفلسطينية : وثيقة جنيف 2003، ووثيقة أبو مازن-بيلين ، لكن وثيقة جنيف التي وقعها عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير آنذاك ياسر عبد ربه، بموافقة ضمنية من الرئيس الراحل ياسر عرفات مع وفد صهيوني برئاسة يوسي بيلين على رأس وفد فلسطيني شكلت قمة التآمر على الهوية، وعلى حق العودة واستبداله بالتوطين والتعويض من خلال مختلف بنوده ومواده ومن ضمن ما تناولته الوثيقة أن تحل هيئة دولية جديدة محل وكالة غوث اللاجئين. وإعادة تأهيل واستيعاب اللاجئين في دول وامكنة إقامتهم.

يضاف إلى ذلك موقف رئيس السلطة الفلسطينية الرافض لحق العودة، الذي تمثل في الخطاب الذي ألقاه في جلسة افتتاح ما يسمى بمنتدى الحرية والسلام الفلسطيني في مقر السلطة في مدينة رام الله، في 7 شباط – فبراير 2019، الذي ضم شخصيات فلسطينية وإسرائيلية، وأعلن فيه «بأنه لن يسمح بعودة (5) ملايين لاجئ فلسطيني إلى ديارهم مكذباً ادعاءات الإعلام الإسرائيلي بهذا الصدد... الخ». كل ما تقدم هو تحصيل حاصل لاتفاقات أوسلو، وللاعتراف بقرار مجلس الأمن رقم 242.

لقد استهدفت إسرائيل من خططها لتوطين اللاجئين الفلسطينيين وتأهيلهم عدة أمور أبرزها : منع عودة اللاجئين الفلسطينيين / شطب الهوية الفلسطينية وتذويب قضية اللاجئين وإزالتها من قلب الصراع العربي الإسرائيلي/ تقليص الضغط الإنساني الدولي والدبلوماسي الغربي وضغط الامم المتحدة على اسرائيل.

وقد ترافقت مع طروحات التوطين والتأهيل الواردة في وثيقة جنيف طروحات من الأونروا في البلدان المضيفة، تتحدث عن تأهيل اللاجئين الفلسطينيين، دون التطرق لمصادرة حقهم في العودة، وذلك كخطة أولية يمكن البناء عليها للتوطين وشطب الهوية، لكن هذه الطروحات لم يكتب لها النجاح، جراء أبناء شعبنا في مخيمات اللجوء في الدول المضيفة في كل من الأردن وسورية ولبنان.

ثالثاً: محطة تغيير المناهج التعليمية

لقد انعكس توقيع المعاهدات والاتفاقات مع الكيان الصهيوني، على تغيير المناهج الدراسية في العديد من الدول العربية وخاصةً منهج التاريخ والتربية الإسلامية والتربية الوطنية التي تتعلق بطبيعة الصراع العربي الصهيوني وجوهره القضية الفلسطينية، ابتداء من معاهدة كامب ديفيد مروراً باتفاقيات أوسلو ووادي عربة، ووصولاً لاتفاقيات التطبيع الإبراهيمية، حيث راحت القوى الحاكمة في هذه الدول تلغي الكتب المتعلقة بالصراع العربي الإسرائيلي وبالقضية الفلسطينية من مناهجها، والمتعلقة بالحركة الصهيونية وأخطارها، إل وتروج لمسألة ضرورة الاعتراف بالعدو الصهيوني بوصفه (آخر) يجب الاعتراف به والتعامل معه، من خلال المؤتمرات والندوات حول « حوار الأديان» وإنكار حقيقة «أن الصراع معه صراع وجود» بحكم طبيعته الكولونيالية الإحلالية .

ولم تصل الأمور عند هذا الحد، بل تجاوزتها باتجاه لجوء البعض في سياق التطبيع الإبراهيمي إلى عقد الاتفاقات الأمنية والاقتصادية مع الكيان الصهيوني في سياق استراتيجي والاستثمار بعشرات المليار في مشروعات الكيان الاقتصادية.

ودول التطبيع العربي هنا تنفذ بدقة النظرية الصهيونية التي تقول « يجب نزع العداء من عقل العربي قبل نزع السلاح من يده».

محطات الحفاظ على القضية الفلسطينية

وفي مقابل المحطات سالفة الذكر لطمس القضية والهوية الفلسطينية، كانت ولا تزال صور مشرقة للحفاظ على الهوية النضالية الفلسطينية وعلى القضية الفلسطينية، من التبديد والضياع تبدت:

أولاً: مرحلة النهوض الوطني والقومي قبل تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية

وقد تضمنت دور الأدب الفلسطيني المقاوم، ودور حركة القوميين العرب بقيادة الدكتور جورج حبش، ودور حركة فتح و، ودور حزب البعث العربي الاشتراكي ودور اتحاد طلبة فلسطين، وحركة الأرض، والجمهورية العربية المتحدة والعراق حيث تضافرت جهود هذه القوى المركزية في الساحة العربية والفلسطينية لبعث القضية الفلسطينية وحمايتها، باعتبارها القضية المركزية للأمة العربية.

1. دور الأدب والفن: لعب الأدب والفن بما يتضمنه من رواية وقصة قصيرة وشعر وفن تشكيلي وتراث فولكلوري، دوراً هاما في إعادة بعث الهوية الفلسطينية بعد نكبة 1948 في مواجهة محاولات الحركة الصهيونية لطمسها وإفقادها لخصوصيتها... فالأدب الفلسطيني بعد نكبة 1948، كما يوضح. الدكتور «جريس نعيم خوري» «هو أدب الهوية بلا أدنى شك، وقد استطاع في هذا المجال أن يبرز الهوية الفلسطينية، ويفرزها ويميزها ويسهم في إيصال القضية الفلسطينية إلى المحافل العالمية

2. دور حركة فتح وفصائل العمل الفدائي: بلورت حركة فتح برنامجها الأول عام 1958 الذي يحدد الخيارات الكبرى للحركة ومنطلقاتها، التي تبرز الهوية الفلسطينية عبر خطوات عملية وجريئة، وفي هذا المؤتمر تم إعداد الوثائق، وجرت الموافقة عليها خلال اجتماعات تشرين أول(أكتوبر) 1959، التي تضمنت بنى الحركة ونظامها الداخلي واستراتيجيتها وتكتيكها ووسائل عمل وتمويل الثورة، وفي هذا المؤتمر توضحت مهام مختلف أجهزة «فتح»، والكيفية التي سيجري تجنيد وإعداد الأطر والكوادر على أساسها، أما البرنامج السياسي الذي يحدد الخيارات الكبرى للحركة، فقد تمت الموافقة عليه في مطلع عام 1958.

وقد أعطت الحركة الأولية للكفاح المسلح الذي مارسته منذ منتصف الستينات بجدارة، وانقلبت عليه لاحقاً بعد توقيع اتفاقيات أوسلو 1993، ولم يقتصر الأمر في تلك الفترة على حركة فتح، بل ظهر حوالي (36) تنظيماً فدائياً في نهاية الخمسينات ومطلع الستينات تراوحت في أحجامها وأبرزها منظمة شباب الثأر الناجمة عن حركة القوميين العرب، و(ج. ت. ف) التي تشكلت من ثلاث فرق فدائية هي: فرقة الشهيد عز الدين القسام ومركزها سورية، وفرقة الشهيد عبد القادر الحسيني ومركزها الضفة الغربية، وفرقة الشهيد عبد اللطيف شرورو ومركزها سورية أيضاً.... وقد مارست عناصر هذه الفرق، عمليات فدائية في الأراضي المحتلة عام 1948، في أواخر الخمسينات وأوائل الستينات، إلا أن الجبهة لم تعلن عن نشاطها المسلح، إلا مع بداية الشهور الأولى من العام 1967، إثر حرب حزيران (يونيو)1967.

3. دور حركة القوميين العرب وحزب البعث العربي الاشتراكي: لقد لعبت كل من حركة القوميين العرب بقيادة الدكتور جورج حبش، وحزب البعث العربي الاشتراكي دوراً هاما في الحفاظ على الهوية الفلسطينية، ورغم أن الحزبيين تجمعهما ذات العقيدة القومية وذات الأهداف، إلا ن الحركة تميزت بصفات أكثر وضوحاً وتميزاً، ارتباطاً بجهة النشأة وبرنامج العمل الذي جمع منذ البداية وبشكل واضح بين البعدين القومي والفلسطيني في إطار علاقة الخاص الوطني بالقومي العربي.

وما يجب الإشارة إليه هنا، أن حركة القوميين العرب نشأت كحركة فدائية تؤمن بأسلوب «الحديد والنار» لاستعادة فلسطين، وشكلت منظمة «شباب الثأر» لهذا الغرض (1964-1967)، كما أنها شكلتها في إطار فهمها القومي للقضية الفلسطينية، الذي يتلخص بعنوان «الوحدة هي طريق تحرير فلسطين»، لجأت إلى تشكيل لجنة من بعض كوادرها وقياداتها الفلسطينية لمتابعة الأمر

حيث تكونت هذه اللجنة من كل من الدكتور جورج حبش والدكتور وديع حداد، وأسامة النقيب (من فلسطيني سورية)، أحمد اليماني، وعبد الكريم حمد (من فلسطيني لبنان)، زاهي قمحاوي (من فلسطيني الأردن).

أما حزب البعث الذي اعتبر في أدبياته القضية الفلسطينية قضيته المركزية الأولى، فقد سبق وأن تقدم بمذكرة إلى مؤتمر وزراء الخارجية العرب عام 1961، أكد فيها على «ضرورة إطلاق حرية شعب فلسطين، بتنظيم نفسه في جبهة تحرير فلسطينية، وعدم زج قضية فلسطين في السياسات الإقليمية»... وقالت المذكرة تحت بند «قضية الكيان السياسي لشعب فلسطين» «أن جماهير الشعب الفلسطيني، قد عبرت مراراً عن رغبتها الملحة في إنشاء كيان نضالي يجمع أبناء فلسطين، وينظم كفاحهم لتحرير فلسطين، وينظم ويقود جهود مختلف الحكومات والمنظمات العربية في سبيل تحرير الأرض المغتصبة

4. دور اتحاد طلاب فلسطين: تشكل من مختلف الروابط الطلابية الجامعية الفلسطينية وعقد مؤتمره الأول في القاهرة في/1959/1، أي في ذكرى تقسيم فلسطين، تأكيداً على إبراز الشخصية الفلسطينية المستقلة.

وقد شكل تأسيس اتحاد طلاب فلسطين من خلال دوره وفعالياته، محطة بارزة في بعث الهوية الفلسطينية على طريق إبراز الكيانية الفلسطينية، وقد استمد الاتحاد أهميته خلال تلك الفترة، ليس فقط من خلال إفرازه لعدد من القادة السياسيين الفلسطينيين الذين تصدروا الحركة الوطنية الفلسطينية فيما بعد، بل كذلك من اعتباره أحد مقومات الشخصية الفلسطينية المستقلة، ودعامة من دعامات بنائها، ومرشداً أميناً على إعادة تكوينها وصقلها، في وقت مبكر من عملية البناء الوطني.

5. دور حركة الأرض الفلسطينية في المناطق المحتلة عام 1948:

كان نشوء هذه الحركة، محاولة لإبراز الهوية والكيانية الفلسطينية في مناطق 1948 في مواجهة محاولات الكيان الصهيوني لتذويب هويتهم القومية، وبعد فترة من نشاطاتها الوطنية تم اعتقال قياداتها، لكن مفاعيل دورها من خلال صحيفتها، لعب دوراً في الحفاظ على الهوية الفلسطينية.

6. دور الجمهورية العربية المتحدة والعراق: لعبت الجمهورية العربية المتحدة دوراً مبكراً لبلورة الهوية الفلسطينية ووضع القضية الفلسطينية في إطارها التنظيمي الصحيح، حين قدمت وزارة الخارجية المصرية آنذاك، توصية لمجلس جامعة الدول العربية في مارس(آذار) 1959، تدعو فيها إلى ضرورة العمل من أجل إبراز الكيان الفلسطيني، واستجاب مجلس الجامعة في مارس – آذار 1959، إلى مبادرة الجمهورية العربية المتحدة، لبحث بعض الجوانب الفلسطينية المستقلة، مثل إبراز الكيان الفلسطيني وإنشاء جيش لهذا الكيان، ووافق المجلس في دورته الحادية والثلاثين، على قرارات هامة تتعلق بالشعب الفلسطيني من ضمها موضوع الكيانية وإنشاء جيش فلسطيني، لكن هذه المحاولة أجهضت جراء رفض الأردن لهذه المبادرة أثناء اجتماع مجلس الجامعة في بلدة شتورا اللبنانية في شهر آب (أغسطس) 1960.

وفي ذات الوقت عام 1959، قامت حكومة العراق في عهد عبد الكريم قاسم، بتشكيل فوج عسكري فلسطيني، تحت مسمى «فوج التحرير الفلسطيني»، الذي خضع لتدريبات عسكرية من قبل ضباط الجيش العراقي، وقد عملت الهيئة العربية العليا، على تنظيم عملية تطوع الفلسطينيين في هذا الفوج من مختلف الدول العربية.

ثانياً: مرحلة نشوء منظمة التحرير الفلسطينية عام 1964

شكل قيام منظمة التحرير الفلسطينية في القمة العربية الثانية في الإسكندرية

محطة مركزية في بعث الهوية والكيانية الفلسطينية، ففي مؤتمر القمة العربي الأول بتاريخ 23 كانون أول- ديسمبر 1963 ألقى جمال عبد الناصر خطاباً هاماً في مدينة بور سعيد تعرض فيه للقضية الفلسطينية بقوله: أن الجمهورية العربية المتحدة، ترى بأن قضية فلسطين في الساعات الحرجة ولحظات الحسم المصيري، وتتقدم على ما عداها وتسبقه وتفرض عليه مطالبها، ولا تخضع لاعتباراته.

واستجاب الملوك والرؤساء العرب للدعوة، وانعقد المؤتمر في القاهرة بتاريخ 15 كانون ثاني (يناير) 1964، واتخذ قرارات هامة فيما يتعلق بتحويل نهر الأردن من منابعه رداً على إقدام العدو بضخ مياه النهر إلى صحراء النقب، وفيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، جاء في قرارات المؤتمر النص التالي: «إن الاستعداد العسكري العربي الجماعي بعد استكماله، هو الوسيلة الأخيرة العملية للقضاء على إسرائيل نهائياً، وأن قيام (إسرائيل)، هو الخطر الأساسي الذي اجتمعت الأمة العربية بأسرها لدفعه». ...

أما بشأن الكيان الفلسطيني، فقد قرر المؤتمر النص التالي «أن يقوم السيد أحمد الشقيري ممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربية، بالاتصال بالدول الأعضاء وبالشعب الفلسطيني، بنية الوصول إلى القواعد السليمة لتنظيم الشعب الفلسطيني، وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره». ... وقد استثمر الشقيري هذا القرار عبر تواصله مع مختلف أبناء الشعب الفلسطيني وعمل على عقد مؤتمر وطني في القدس معلناً تشكيل منظمة ا التحرير الفلسطينية، الذي صادق على الميثاق القومي الذي أعده بنفسه، وعن البدء بتشكيل جيش ا التحرير الوطني الفلسطيني.

وبغض النظر عن فردية الشقيري، والخلل الذي شاب تكوين المؤتمر الوطني على الصعيد الطبقي وموقفه السلبي من الأحزاب وتحديداً من حركة القوميين العرب، ومن حركة فتح، إلا أن المنظمة شكلت لبنة مركزية لإحياء القضية الفلسطينية، ولتكون فيما بعد الإطار الجامع للكل الوطني الفلسطيني.

ثالثاً: مرحلة الثورة الفلسطينية المعاصرة (قيادات فصائل المقاومة للمنظمة)

يمكننا الجزم أن الثورة الفلسطينية المعاصرة، التي تولت قيادة منظمة التحرير ابتداء من المجلس الوطني الرابع 1968، بعد استقالة أحمد الشقيري، لعبت الدور الأبرز في الحفاظ على القضية وفي بلورة الهوية الفلسطينية، عبر الاستثمار السياسي للكفاح المسلح ووضع قضية اللاجئين الفلسطينيين في إطارها السياسي والقانوني الصحيح، بوصفها جوهر الصراع الفلسطيني _ الصهيوني ولب القضية الفلسطينية، وكان لهذه المقاومة الباسلة الفضل ولأول مرة في إعادة طرح قضية اللاجئين الفلسطينيين بقوة على الصعيد العالمي، حيث اعتبرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في قرارها رقم 2535 في ديسمبر /كانون أول 1969 «أن مشكلة اللاجئين العرب الفلسطينيين ناشئة عن إنكار حقوقهم ا الوطنية والمحددة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان «، حيث جرى التأكيد على هذه الحقوق في خمس قرارات للأمم المتحدة في الفترة ما بين عام 1970-1973.

ومع اكتساب (م. ت.ف) صفة الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني من قبل الجامعة العربية وقبولها كعضو مراقب في الأمم المتحدة ودعوتها لحضور اجتماعات الأمم المتحدة، أصبح من الممكن إعادة الاعتبار لقضية فلسطين كقضية شعب له حقوقه الوطنية المشروعة، وأن قضية اللاجئين جزء لا يتجزأ من هذه الحقوق غير القابلة للتصرف ... حيث تجلى ذلك في قرار الأمم المتحدة الشهير رقم 3236 الصادر بتاريخ 1974/11/22، الذي جاء فيه في البند (2) ما يلي: « ونؤكد من جديد أيضا حق الفلسطينيين غير القابل للتصرف في العودة إلى ديارهم وممتلكاتهم الذين شردوا منها واقتلعوا منها وتطالب بإعادتهم». ..ومنذ ذلك التاريخ باتت قضية اللاجئين الفلسطينيين هي قضية حق عودة فردي وجماعي لكل الفلسطينيين خارج وطنهم.

لكن هذه الإنجازات لمنظمة التحرير على صعيد بعث القضية الفلسطينية واعتبار منظمة التحرير حركة التحرر الرئيسية في العالم بعد انتصار الثورة الفيتنامية، جرى ضربها عبر اندلاق القيادة المتنفذة لمنظمة التحرير نحو نهج التسوية المذل ممثلاً باتفاقيات أوسلو الذي ضرب، وهذا النهج جرى التمهيد له مسبقا عبر برنامج النقاط العشرة الذي سمي زوراً وبهتاناً ب(المرحلي) في سبعينات القرن الماضي، وعبر اتفاق شباط مع الأردن بعد عقد المجلس الوطني الدورة (17) في عمان، وفي قرارات الدورة 18 للمجلس الوطني التي اعترفت بالقرار 232 ..

لقد تمرد أبناء شعبنا على مخرجات اتفاقيات أوسلو ومشتقاتها في انتفاضة الأقصى في 28 سبتمبر (أيلول) 2000، وفي تصديهم للعدوان الصهيوني المستمر على قطاع غزة في الأعوام 2008-2009، 2012، 2014، وفي هبة الدهس والسكاكين في الضفة عام 2015 وهبة التصدي للأبواب الالكترونية في القدس في 14 يوليو (تموز) 2017، وهبة باب الرحمة المقدسية في 22 شباط (فبراير) 2019، وهبة الانتصار لأبناء شعبنا في حي الشيخ جراح بالقدس عام 2021، ومعركة سيف القدس التاريخية 2021، وفي المواجهات المستمرة بين أبناء شعبنا وبين قوات الاحتلال في عموم الضفة الغربية، وفي معركة وحدة الساحات في أغسطس (آب) 2022م، ومعركة ثأر الأحرار في مايو (أيار) 2023، ومعركة بأس جنين في يوليو (تموز) 2023 م والقائمة تطول وتطول.

رابعاً: مرحلة طوفان الأقصى

لا نبالغ إذ نقول أن هذه المحطة هي الأهم والأبرز في تاريخ الكفاح الفلسطيني للحفاظ على القضية والهوية الفلسطينية، لأنها برهنت أن هدف التحرير ممكن تحقيقه على عكس ما روج دعاة الاستسلام، ونقلت هدف التحرير الكامل من زاوية الإمكانية النظرية إلى زاوية الإمكانية الواقعية، ولأنها برهنت أن الحرب غير المتناظرة، في مواجهة معسكر الكيان الصهيوني وحلفائه، كفيلة بتحقيق النصر، عندما تتوفر قيادة مؤتمنة على الثوابت الاستراتيجية الفلسطينية، كتلك التي تقود المقاومة في قطاع غزة والضفة الغربية.

فالمقاومة لم تكتف بإلحاق الخسائر البشرية والمادية في صفوف العدو، بل ضربت الدور الوظيفي للكيان، وطرحت سؤال الوجود بقوة في الكيان الصهيوني، وهشمت المرتكزات التي قام عليها الكيان الصهيوني» الاستيطان والهجرة والقوة العسكرية، وأعادت الاعتبار للقضية الفلسطينية ناهيك أنها كشفت بؤس الرهان على خيار السلام المزعوم، وكشفت عورة المطبعين ووضعتهم في موقعهم الصحيح كقوات احتياط للعدو، وقربت إلى غير رجعة السردية الصهيونية في دول الغرب الرأسمالي وخاصةً في الولايات المتحدة، وأعادت الاعتبار للرواية العربية في فلسطين.

غزة عرّت الرواية الإسرائيلية
وأسقطت ورقة التوت الأخيرة لها أمام شعوب العالم
السردية والرواية الفلسطينية تنتصر بالكفاح الوطني

وديع أبو هاني - إعلامي فلسطيني

العودة والحنين إلى الوطن ما انفك يساور تفكير ووجدان اللاجئين الفلسطينيين، عبروا عن ذلك من خلال تمسكهم بالأرض والاحتفاظ بمفاتيح العودة والكواشين. وعاش حلم العودة في وجدان الشعب الفلسطيني على مدار الصراع الدامي مع المشروع الصهيوني، من خلال تمسكهم بالتراث والفلكلور وبالأغاني والأهازيج الوطنية ودبكتهم الشعبية بحفاظهم على التقاليد والأمثال الشعبية ومنها المأكولات الشعبية الفلسطينية.

توارثت الأجيال الفلسطينية ذلك ولعبت الجبهة الثقافية دوراً في مواجهة عسف وتكتيكات المستوى السياسي الرسمي.

كان للمثقفين الثوريين الذين كتبوا بالدم لفلسطين دور هام في مواجهة محاولات المساومة والتفريط بالحلم والحق الفلسطيني خلال العقود السابقة.

لقد أسهمت أوسلو باتفاقاتها السياسية والاقتصادية والأمنية في إضعاف الرواية والرؤية الوطنية من خلال تجزئة الحل والمغامرة والتفريط بالحقوق الوطنية التي وصلت إلى سراب وطريق مسدود.

فكانت الرواية والسردية الفلسطينية حاضرة وعصية على النسيان رغم محاولات تغييبها وإضعافها.

طوفان الأقصى وأحرار العالم والاحتجاجات الطلابية جدد الأمل والتفاؤل بحتمية تاريخية لنضال وانتصار شعبنا. وأعاد الاعتبار والمصداقية للرواية وللحق الفلسطيني في أذهان العالم.

أريد للنكبة الفلسطينية الكبرى عام 1948 أن تتأبد وأن يطويها النسيان بإحلال نموذج الهنود الحمر في أمريكا الذين قاوموا لأربعة قرون وانتهت بإبادتهم.

وكانت المعركة الفاصلة مذبحة (الركبة الجريحة عام 1890) التي انتهت بمصير مواطنين الهنود الحمر الذين كانوا يعيشون في البراري جراء حرب المواجهة مع الاستعمار الانغلوسكسوني للبيض.

حيث عمل الاحتلال الأمريكي على تغيير التركيبة السكانية والهوية الثقافية لأمريكا الجنوبية.

فالشبه التاريخي قائم بين الاحتلالين الإنجلوسكسوني للبيض بحق الهنود الحمر. وبين ما جرى ويجري في فلسطين على يد جيش الاحتلال ومستوطنيه من ممارسات عنصرية.

الاستعماران اللذان مارسا التطهير العرقي بحق الهنود الحمر والفلسطينيين.

سعى نظام الابرتهايد العنصري الكولونيالي الاستيطاني الصهيوني في فلسطين على تجسيد مقولته: شعب بلا أرض لأرض بلا شعب. مستفيدين من اختلال موازين القوة العالمي في حينه لصالح المجمع الاستيطاني الصهيوني المصطنع.

جراء ذلك اعتمدت الرواية الصهيونية المزورة في الأمم المتحدة بقرار أممي أدى للاعتراف «باسرائيل» وبقبولها بالأمم المتحدة شريط تنفيذها للقرارين ١٨١ والقرار ١٩٤، واللذان لم ينفذا حتى الآن رغم إجحافهما بالحقوق الوطنية الفلسطينية.

لقد أنتجت النكبة عام ١٩٤٨ التغريبة الفلسطينية الممتدة منذ ٧٦ عاما»، وعملت الدول الاستعمارية على دعم وتسويق الرواية الصهيونية في المحافل الدولية.

وتم دعم إسرائيل كوطن لليهود في فلسطين باعتبارهم ضحايا الهولوكوست الذي جرى لهم في أوروبا على أيدي تلك الشعوب الأوروبية على حساب سكان الأرض الأصليين.

تم توفير كافة مقومات الدعم والحياة للكيان المصطنع كقاعدة متقدمة للمشروع الامبريالي في منطقتنا. وأصدر الحاكم العسكري والحكومة الصهيونية عشرات القرارات العنصرية ومنها مصادرة أملاك الغائب. إضافة للسياسات العنصرية بحق الأرض والسكان ومحاولات محو الذاكرة وتغييب المعالم التاريخية. حيث عمد الاحتلال على تغيير أسماء المدن والقرى والشوارع والسيطرة على كل شيئ في فلسطين. ووصل تزوير التاريخ الى حد سرقة الثروات والتراث والفلكلور الفلسطيني.

كما جرى تدمير أكثر من 530 قرية فلسطينية قبل النكبة وأرتكب عشرات المجازر الدموية على يد عصابات هاغانا وشتيرن الصهيونيتين.

وجرى التهجير بالقوة لحوالي 800,000 فلسطيني إلى دول الطوق، في محاولة من الكيان الغاصب الاستيطاني لتفريغ الأرض والسكان. وعمل على عبرنة وأسرلة وتهويد كل شيء في فلسطين. رغم كل ذلك عبر الشعب الفلسطيني عن تمسكه بأرضه وحقه بالعودة، ودافع عن روايته الوطنية بالدم والعرق. وحافظ على سرديته الوطنية التي لم يطويها النسيان نتيجة للمقاومة الشاملة التي خاضها الشعب الفلسطيني.

لقد عبر الشعب الفلسطيني وأبناء المخيمات واللاجئين عن دفاعهم عن الحق الفلسطيني من خلال المواجهات والانتفاضات المتعاقبة منذ عام ١٩١٩ ثم ثورة البراق وإضراب عام ١٩٣٦ وصولا الى انطلاقة الثورة الفلسطينية المعاصرة عام ١٩٦٥.

ثم امتشاق البندقية الفلسطينية في مواجهة الاحتلال الغاصب لفلسطين.

فكانت الانتفاضة الأولى والثانية وما بينهما من محاولات للتصدي لمشاريع تصفية الوجود الفلسطيني عام 1970 في الأردن، ثم في لبنان عام 1976 مرورا بالاحتلالين الاسرائيليين للبنان عام 1978 وعام 1982 كمحاولات محمومة لتصفية الوجود المادي والمعنوي ولمؤسسات الشعب الفلسطيني وثورته في دول الطوق.

ورغم ما خلقته اتفاقيات اوسلو وملاحقها الأمنية والاقتصادية من تداعيات كارثية على الوحدة الوطنية والحقوق الوطنية. لم يستسلم الشعب الفلسطيني واستمر بكفاحه وتضحياته داخل الوطن وخارجي داخل المعتقلات وخارجها وفي المخيمات.

وقدم شعبنا الغالي والرخيص للدفاع عن حقوقه وحفظ وجوده وكيانه وهويته الوطنية. واجه مخطط تدمير المخيم الشاهد على النكبة، وانهاء دور وكاله الغوث للاجئين الفلسطينيين وما ترمز له من تعبير والتزام للمجتمع الدولي بقضية اللاجئين وتصدى شعبنا لمحاولات خلق البدائل. كذلك لمحاولات شطب القرار 194.

مشاريع جميعها كانت تهدف الى إضعاف العامل الذاتي الوطني الفلسطيني.

كذلك تصدى شعبنا في أراضي 48 لمحاولات الفصل والترانسفير ومصادرة الأراضي، وهدم البيوت وإثارة الجريمة والفتن.

الدفاع عن الرواية الفلسطينية تعمد بالدم.

استمر الشعب الفلسطيني في الدفاع عن روايته وسرديته الوطنية في مواجهة الرواية الصهيونية المزورة والمصطنعة التي حاول الاحتلال فرضها بالقتل والتدمير.

لقد أسس الدكتور الراحل قسطنطين زريق لمصطلح علم وأدب النكبة. فكانت مأساة النكبة حاضرة في عقل ووجدان الشعب الفلسطيني كما كان حاضر أدب الأرض المتلة وأدب السجون.

لعل ما قدمه ايلان بابيه الأكاديمي اليهودي في كتابه (التطهير العرقي) إلا دليل ملموس على الممارسة الصهيونية الدموية التي حاول ترويجها بالدم والحديد والنار والتدمير.

لقد أفشل الشعب الفلسطيني على مدار الصراع محاولات تركيعه واستسلامه، وتحويله لهنود حمر والى كتل سكانية متناثرة ومفصولة.

شكلت ملحمة وطوفان الأقصى الضربة القاضية للسردية الصهيونية أمام العالم، وكانت ملحمة وطوفان 7 اكتوبر عام ٢٠٢٣ لحظة الحقيقة الساطعة للرواية الوطنية وعدالة القضية الفلسطينية في مواجهة سردية وممارسات الإبادة لجيش الاحتلال..

ثمانية أشهر على ملحمة الشعب الفلسطيني، لعبت دوراً بإعادة الاعتبار للسردية والرواية الوطنية الفلسطينية. رغم تضليل الحكومات الغربية ودعمها لإسرائيل باعتبارهم شركاء بالعدوان على غزة. ووصلت الحقيقة الفلسطينية إلى كل أرجاء العالم منذ 7 اكتوبر وكانت الرد على محاولة التصفية والتهجير. ساهم الصمود الفلسطيني بطوفان الأقصى وانتفاضة الجامعات الأمريكية والأوروبية وطوفان أحرار العالم وحركات التضامن ورفع العلم الفلسطيني والشعارات والهتافات دورا» بارزا» في نصرة الحق الفلسطيني.

وهي تأكيد على سطوع فجر السردية الوطنية الفلسطينية مقابل خفوت وتراجع وافتضاح الرواية الصهيونية المزعومة.

٧٦ عاماً على النكبة، تكشفت أكثر الجريمة المستمرة بحق الشعب الفلسطيني وحقوقه. وأثبت خيار المقاومة جدواه وكذلك التمسك بالحق الوطني الفلسطيني

وسيكون لطوفان الأقصى مفاعيل وأهمية مستقبلية. وسيسهم طوفان العالم المؤيد لغزة المسمار الأخير في نعش الكيان الغاصب على طريق هزيمته.

يبقى تجسيد الرواية والحلم والحق الفلسطيني استحقاق كفاحي.

الكفاح الوطني في الميدان الطريق الوحيد لإعادة الاعتبار للسردية الوطنية الفلسطينية التي لم يطويها الزمن رغم عمر النكبة ومحاولات التآمر عليها.

سيبقى معول المقاومة كفيل بدفن الرواية الصهيونية، وهزيمة مشروع الإبادة والتطهير العرقي الصهيوني في فلسطين على طريق إحلال السلم والسلام العالميين من أجل عالم متعدد الأقطاب أكثر عدالة وإنسانية.

غزه معيار لانتصار الإنسانية في العالم سيكون نجاح طوفان أحرار شعوب العالم الأثر الأكبر والطريق الأقصر المجدي لعالم إنساني بلا حدود بلا حروب.

الحتمية التاريخية تؤكد أن روايتنا الوطنية ستنتصر كما انتصرت رواية الشعب الفيتنامي والجزائري وشعب جنوب افريقيا. على طريق تحرير العالم من أنظمة العبودية والاستغلال والتطهير العرقي والإبادة الجماعية.

في مناهضة التطبيع التربوي

معاذ الجحري ـ عضو اللجنة المركزية للنهج الديمقراطي العمالي ـ المغرب

بداية نؤكد دفعة واحدة أن النضال ضد الامبريالية والنضال ضد الصهيونية والنضال ضد الاستبداد هو معركة واحدة. وقد قال بن خلدون عن حق أن المستبدين والطغاة هم الذين يجلبون الغزاة.

أولاً: التطبيع التربوي بصفة عامة: ما هي مقوماته وأهدافه؟

هذا الصنف من التطبيع:

- يستهدف السطو على الذاكرة الجماعية وطمسها وجعل ما حدث ويحدث أمرا طبيعيا ومقبولا: وعد بلفور، النكبة...
- يعمل على فبركة ذاكرة جديدة يتحول بمقتضاها المستوطن الوافد المحتل الغاصب الى صديق وتجعل من صاحب الأرض غريبا مهددا بالتهجير أو في أحسن الأحوال مواطنا من الدرجة الثانية.
- يعمل على ضرب كل القيم الجامعة قصد اجتثاث ثقافة المقاومة لتحل محلها ثقافة الاستسلام.
- يقوم على صهر الوعي، هذا المفهوم الذي صاغه الشهيد وليد دقة. صهر الوعي يهدف الى تحويل أدمغة الأسرى إلى صفحة بيضاء ليكتب عليها ما يريد. ولكن لا يقتصر الأمر على الأسرى، بل الشعب الفلسطيني كله في مرمى عملية صهر الوعي، لأن هذا الشعب يرفض الاستسلام ويتمسك بالمقاومة على الرغم من طبيعة السلطة الفلسطينية المنبثقة عن أوسلو وهي سلطة قائمة على مناهضة المقاومة المسلحة ووضعها كنقيض للمقاومة السلمية والتنسيق الأمني مع العدو وملاحقة المقاومين والتضييق على القوى المناضلة وتدجين عدد من منظمات المجتمع المدني عن طريق التمويل والإغراءات...

يريد العدو أكثر من ذلك، صهر وعي شعوب منطقتنا كلها، لأن التطبيع مع الأنظمة بقي حبيس القمة ويظل منبوذا ومرفوضا شعبيا.

يقول الشهيد وليد في كتابه صهر الوعي: «لم يعد الجسد الأسير في عصر ما بعد الحداثة هو المستهدف مباشرة وانما المستهدف هو الروح والعقل»(1) والهدف هو إعادة صياغة البشر وفق رؤية العدو (2).

ما هي قنواته؟

ليست المدرسة والجامعة، القنوات الوحيدة ولكن هناك القنوات الإعلامية وأنشطة مختلف القوى المتصهينة من أحزاب ونقابات وجمعيات ومثقفين...

ولكن سنركز فيما يلي على المؤسسات التعليمية.

ما هي بعض مظاهره على مستوى منطقتنا؟

- اعتماد خرائط تشير إلى «إسرائيل» بدل فلسطين في عدد من بلدان الخليج.(3)
- ادراج القدس عاصمة للكيان الصهيوني في بعض الكتب المدرسية في مصر.
- سحب دروس التاريخ حول القضية الفلسطينية كليا أو جزئيا.
- تغيير المناهج التربوية حتى يشعر الصهاينة بالانتماء للمنطقة وأنهم مكون طبيعي من مكوناتها: الإمارات العربية المتحدة نموذجا.
- ترديد السردية الصهيونية عربيا وحتى فلسطينيا لقضية اللاجئين برفض عودتهم بدعوى أنهم خرجوا لكونهم باعوا أرضهم وقد أصبحت لهم أملاك وثروات وعلاقات في بلدان الاستقبال والدفع في اتجاه توطينهم أو في أحسن الأحوال السماح بالعودة فقط لمن خرجوا وليس لأبنائهم واحفادهم (منظور سيمون بيريز)

ثانياً: التطبيع التربوي في المغرب:

لا يخرج التطبيع التربوي ببلادنا عن الإطار المشار إليه من حيث المقومات والتمظهرات وهو طبعا أخطر أشكال التطبيع لأن الهدف منه على المدى المتوسط هو كما سبقت الإشارة الى ذلك، استيطان وجدان الناشئة وبالتالي ترسيخ باقي أشكال التطبيع الأخرى وجعلها أمرا طبيعيا ومقبولا ومرحبا به.

هذا السم الخطير:

-يمر عبر قناة رسمية هي وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي،

-يأخذ طابعا تدريجيا ينطلق من الجزئي إلى الكلي،

-يستهدف الفئات العمرية التي تكون في أمس الحاجة إلى اكتشاف كل شيء لاسيما من خلال الأنشطة التربوية التي تغري المتعلمين وتستميلهم لتشرب مختلف القيم التي يراد ترسيخها فيهم.

ما هي تمظهراته؟

1. حذف بعض محاور الدرس حول القضية الفلسطينية والصراع العربي- الإسرائيلي وتقليص الغلاف الزمني المخصص له من 3 حصص إلى حصة واحدة وذلك بموجب وثيقة التكييف التي أصدرتها الوزارة الوصية بتاريخ 2 يناير 2024 وبعدها الإطار المرجعي المكيف والمحين وهذا بالسنة الثالثة إعدادي وكذلك الأمر بالنسبة للسنتين الأولى والثانية باكالوريا.
2. التلاعب بقيم التسامح والتعايش على

مستوى الابتدائي والإعدادي من خلال مواد التربية الإسلامية والاجتماعيات والتربية على المواطنة.

3. صهينة المكون اليهودي الذي يشار إليه في دروس التربية على المواطنة والاجتماعيات في الإعدادي

4) الخلط المتعمد في الدستور المغربي لسنة 2011 بين المكون اليهودي وهو بالفعل مكون تاريخي له مكانته والمكون العبري الذي لم يكن له وجود أبدا أي في بلادنا على الاطلاق. ذلك أن اليهود المغاربة كان يتكلمون اللغات المتداولة في المناطق التي يقطنونها ما عدا كلمات قليلة بالعبرية خلال صلواتهم.

ما هي مرجعيته من الزاوية الرسمية؟

1. قانون الإطار، وخاصة:

- المادة الثانية حول ما يسمي بالسلوك المدني حيث عرف بكونه «التشبث بالثوابت الدستورية للبلاد، في احترام تام لرموزها وقيمها الحضارية المنفتحة، والتمسك بالهوية بشتى روافدها، والاعتزاز بالانتماء للأمة، وإدراك الواجبات والحقوق، والتحلي بفضيلة الاجتهاد المثمر وروح المبادرة، والوعي بالالتزامات الوطنية، وبالمسؤوليات تجاه الذات والأسرة والمجتمع، والتشبع بقيم التسامح والتضامن والتعايش» الى هذا الحد قيم التضامن والتعايش والتسامح هي قيم مجردة وحمالة أوجه، ولكن ما هو محتواها الملموس، لأن الحقيقة هي دائما ملموسة؟ هل يمكن التعايش بين الاحتلال وشعب تحت الاحتلال؟ وهل يوجد لدينا في المغرب أصلا مشكل اسمه التعايش بين المغاربة اليهود والمغاربة غير اليهود؟ وهل ترحيل اليهود المغاربة والاتجار فيهم ينسجم وقيم التعايش؟ والتضامن يتم مع من، مع فلسطين أم الاحتلال الصهيوني؟ ففي عز حرب الإبادة لغزة، قام في أواسط أبريل المنصرم، وفد يضم مجموعة من «المؤثرين» من بلدان عربية وإسلامية، من بينهم مغاربة، متصهينين تحت يافطة التسامح والتعايش يقدمون أنفسهم نشطاء سلام، قام بزيارة الى الكيان الصهيوني تضامنا مع هذا الأخير.

- المادة الخامسة بخصوص إدماج البعد الثقافي في البرامج والمناهج والتكوينات والوسائط التعليمية، بما يكفل تعريف الأجيال القادمة بالموروث الثقافي الوطني بمختلف روافده وتثمينه، والانفتاح على الثقافات الأخرى، وتنمية الثقافة الوطنية.

ان تثمين الموروث الثقافي بالنسبة لشعب ما، أمر مشروع ولكن الهوية بشكل عام هي مسألة صراع مجتمعي حول المستقبل والأمر يتعلق بالمحتوى الذي نعطيه لهذا الموروث.

2. اتفاقية الشراكة المبرمة بين وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي(=الوزارة) ومركز الدراسات والأبحاث حول القانون العبري وجمعية الصويرة موكادور.

هذا هو الأساس المرجعي الذي عليه تبني الوزارة دعوتها المؤسسات التعليمية لتأسيس أندية التسامح والتعايش في التنوع ودعم أنشطتها مثل تنظيم مسابقات في مجال الفن التشكيلي وزيارات جماعية للتلاميذ إلى المعابد اليهودية وزيارة بيت الذاكرة وأنشطة ثقافية وورشات تفاعلية وندوات ومعارض وعقد شراكات مع مؤسسة التراث الثقافي اليهودي المغربي لدعم هذا التوجه (5).

كما قررت الوزارة إدراج الرافد اليهودي في المناهج وستمتد هذه المراجعة في الزمن تدريجيا من الابتدائي إلى التعليم العالي. والبداية من خلال مادة التربية المدنية في القسم النهائي من التعليم الابتدائي في الموسم الدراسي 2022/2021 حيث وقع الاختيار في هذا الصدد على عهد الملك العلوي محمد بن عبد الله (=محمد الثالث: 1757-1790). مع العلم أن هذا الملك إذا كان قد أسس مدينة الصويرة ذات الأغلبية اليهودية فذلك لكي يلعب وجهاء وأعيان هذه الأغلبية دورا مهما في تحسين العلاقات مع أوروبا إلى درجة جعل منهم طائفة تسمى «تجار الملك». ومن جهة أخرى فقد تأثر بالوهابية حتى عرف عنه قوله «أنا مالكي المذهب، وهابي العقيدة» وهو ما يفسر إذنه بتهديم بعض الزوايا وبإتلاف الكتب المتساهلة في الدين كتلك المحللة لمذهب الأشعرية كما أمر بمقتضى مرسوم تجنب الخوض «في علم الكلام والمنطق وعلوم الفلاسفة وغلاة الصوفية وكتب القصص» في المساجد تحت طائلة العقاب (4). فكيف يكون رمزا للتسامح والتعايش؟ ولماذا تحاصر الدولة الأندية الحقوقية للجمعية المغربية لحقوق الانسان ضدا على اتفاقية الشراكة معها وهل هذه أقل تسامحا من الأندية حول التسامح والتعايش المدعومة رسميا في إطار المسلسل الخياني للتطبيع؟

هذا ما يفضح المرامي الحقيقية وراء تسييس وأدلجة قيم نبيلة كالتعايش والتسامح بجعلها تخدم أجندة التطبيع مع الكيان الصهيوني كما هو مغرض الخلط عمدا بين المكون العبري والمكون اليهودي للهوية المغربية وكذلك اعتبار اليهود المغاربة الذين تمت المتاجرة في ترحيلهم إلى الكيان الصهيوني جالية مغربية في هذا الكيان الغاصب والعنصري والعمل على تجنيسهم.

ثالثاً: مقترحات للتصدي للتطبيع التربوي:

نقتصر هنا على محاور عامة:

1. قيام الأندية التربوية الخاصة بالتلاميذ (أندية التربية على حقوق الإنسان، أندية التربية على المواطنة...) بأنشطة متنوعة حول القضية الفلسطينية.

2. حث النقابات التعليمية على القيام بواجبها في مناهضة التطبيع بكافة أشكاله وضمنه التطبيع التربوي بدءا بفضح البرامج والمناهج ومحتوى المقررات. ويمكن في هذا الصدد استثمار مناسبة الدخول المدرسي والجامعي وكذا بمناسبة اليوم العالمي للمدرس (5 أكتوبر من كل سنة) لتوجيه رسائل للأساتذة والطلبة والتلاميذ وتنظيم ندوات ومهرجانات ...

3. حث فصائل الاتحاد الوطني لطلبة المغرب على تحمل مسؤولياتها التاريخية في إعادة الاعتبار للقضية الفلسطينية التي كانت على الدوام قضية مركزية لدى الحركة الطلابية.

4. قيام الجمعيات الثقافية التقدمية بأنشطة لفائدة الأطفال والتلاميذ والطلبة: ندوات ومعارض كتب وأمسيات وأفلام ومسابقات في دور الشباب وفي المخيمات الحضرية والصيفية.

5. إنجاز دليل مبسط يستهدف الأساتذة والمتعلمين بوجه خاص للتعريف بالقضية الفلسطينية والحركة الصهيونية ومفاهيم جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية وأعمال التطهير العرقي والابادة الجماعية التي يرتكبها الكيان الصهيوني ومعنى التطبيع والمكون العبري في الدستور المغربي وغيرها من القضايا الضرورية لتسليح الفئات المعنية نظرياً.

هوامش:

(1) صهر الوعي. وليد نمر دقة. ص.21

(2) نفس المرجع. ص. 21

(3) التطبيع التربوي وكيفية المواجهة https://www.alalam.ir/news/5989423

(4) مجلة دعوة الحق https://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/2231

(5) انظر أرضية الجبهة المغربية لدعم فلسطين ومناهضة التطبيع المتعلقة بالتطبيع التربوي.

زلازل من المخمل

عبد النور الهنداوي ـ شاعر من سورية

لا أحد يستطيع أبداً، ولا حتى الخيال، أن يمنع الحرية من التنقّل بين الأزقّة، وإعطائها أقراص منع الحمل، طالما الوحوش الاستراتيجية، تنمو وراء الحائط، دون ضوابط، لابتلاع الحياة.

في أمريكا الآن، يتشقق ظهر الأفق، وإلّا كيف للحضارات ان تكون في حالة صِدام دون أن ينفجر العالم، والدخول في رؤيا طازجة تساعد بالضرورة على إعادة تشكيل هذا العالم، دون الحاجة إلى عكازات، أو إلى الحرائق.

هل شاخت قلوبنا، وإن الأشياء التي تعرفنا قد شاخت، وهذا يعني نهايتنا؟

كيف تكون الحرية في المستنقع، والمكان المثالي لقيلولة الغبار، وجوه اطفالنا.

يبدو أن العربي الآن، يعاني جداً من صدمة الخوف، لأنه لا يعرف من هو المسؤول عن لحظة الخيانة، وإن الأمكنة التي يعيش فيها، تنتج الكثير من درجات الأحزان المتراكمة، وهي أيضاً الأمكنة التي فيها لحظة الهذيان تطارد الأرواح الممتلئة بالجراح.

هل ننظر إلى بعضنا البعض بعيون البرابرة؟ وننذر لأننا نشبه الحرائق المتنقلة.

علينا إذاً أن لا نشعر بالهلع، أو تبكيت الضمير، لأن ثقافتنا تواطأت مع الأفكار التي يُفترض أن لا تزرع فينا، كيف أننا لا نعيش في أمكنة لا تشبه الأمكنة.

كم كتبنا عن الدم العربي الذي أصبح مادة بلهاء، وأن الكثير جداً من دمنا لا يوازي ولا حتى قطعة رثّة من الحرية؛ هل نقول قدمان من القشّ للحرية؟

كل الأمكنة العربية القديمة، الممتلئة بالأوراق القديمة، والمقاعد القديمة، والأفكار القديمة، تعاملنا اليوم، وكأننا فضيحة من الدرجة الممتازة، ولا أحد يستطيع أن يضع كل هذه الكمية من الرمال أمام أحدنا دون أن يرحب بالجنون.

من يكترث إذن بالهزيمة؟ اهي النصوص المقدّسة، أم هذه الكمية من الرمال السائل تحتها كل هذا الفردوس الهائل؟

الخوف كلّه من ازدواجية الثقافة العربية، حين تبتلع القهقهات، وسيّرتنا الهلالية وصلت إلى ما وصلت إليه، حتى أنها رسمت لون الحِداد الأبديّ مع «الإبل» التي تجرّ الأزمنة وهي نائمة!

يقولون مطلوب ملائكة للعمل في بلاد العرب لإنتاج الخيال؛ لكن المشكلة أن شروط العمل سيئة جداً، لأن سياسة الحكّأم العرب تشبه الدم!

كيف لشاعر عربي مثلاً، أن يكتب قصيدة أحداثها في العصر الحجريّ، ومفرداتها من الباطون المسلّح، وإنه كان لنا ذات يوم، امبراطورية صنعتها الرياح، أكثر ممّا صنعتها الخيول.

إن ما يحصل في بلاد العرب، أن الإنسان قد تحوّل إلى وقود أيديولوجي، فيما التاريخ العربي صار له خاصيّة الثلوج.. مع أنه في الأدبيات ولِدَ من الصخر.

حتى الهراوات الغليظة، صارت تطارد الخبز، الخبز العربي طبعاً، واليوم صارت تطارد ظهورنا، لأن أصابعنا قد تدرّبت جيداً على مداعبة المقابر، وخيالنا العربي، صار قريباً جداً من نقطة النزاع الأخير.

لن أقول أنّ لدينا هبوط حّاد في الحلم، ولا أزلَ لدينا نداعبه لنرى كيف تتشكّل الآلام، أو أن يأسنا تحوّل تدريجياً إلى عباءة للخراب.

يتحدثون اليوم « اصطلاحاً « عن ميكانيكية الحلم، وإنه ليس أكثر من تراكم غريزيّ، صنعته الأيديولوجيا التافهة، وهذا العالم الذي حوّلنا إلى ملهاة، بسبب الإدارة

المشوّهة لدمنا، وكأن دمنا هو المسؤول المباشر عن كل الانهيارات، وكأن أيضاً لا طبول، ولا ساحات وغى، ولا فلسفة كانت لنا، للدخول في اختزالنا الفذّ، لعظمتنا المنقطعة النظير!

عيوننا خالية كليّاً من الفرح، في حين أمراء القحط، وملوك العشائر يضحكون بفظاظة، لأن قلوبنا أضحت قطعاً من الحجارة.

لا شيء يخيف المواطن العربي اطلاقاً، لأنه يعيش على حافة جسده، فيما حاكمه.. قدم عند هيكل سليمان وقدم على عتبة البيت الأبيض، ونحن الرعاع نحتاج فقط، إلى عطاءات هزيلة يقدمها لنا - يهوديّ- يحكمنا بأمر الله. ويرتّل نبضات قلوبنا ترتيلا!

لندع كلّ ما كتبناه ينتظر قليلاً، لأنهم جعلونا ننتعل الأحذية الضيّقة حتى ونحن نيام، وقد تُعطى الأوامر للهراوات من جديد بتعقّب أرواحنا، دون العبث بأفواهنا التي صارت مطاحن للخشب، ولا يسعفنا، لا القليل من الخيال، ولا الملاعق اليهودية وهي ترخي بظلالها جانب الموائد العالية.

ماذا يقدّم الذئب لشقيقه الذئب؟

أظن لا رهان على إعادة الهيكلة للخيال، ولا اعتراض على اليهودي وهو يأكل فطيرته المحشوة بالنار، وإن كان العربي ما زال لديه الفائض النرجسي في استعادة ذكرياته المريرة عن « حبيبته الأندلس ».

إنه الغموض الممتدّ من المحيط الهادر، إلى الخليج الثائر، والعربي يقف مشدوهاً امام عَظَمَته المزيفة، أي أنه يصنع أي شيء، كي يلتقط أي شيء من جثته التي تعفّنت على الرصيف.

قد لا تنتهي قيلولة الدم، ولن تنتهي ايضاً ثقافة الدم، وندّعي أن الزمن لا يعمل لمصلحة العربي، طالما اليهودي بيده إدارة الرياح، وإن عواء الخبز يلاحقنا بضراوة، لأن ثمّة ذباب يقف بكل ثقله على كتفي تاريخنا.

أزمة العربي انه بلا أزمة، ما دامت الجغرافيا تتضاءل، بل «وستزول « ونحن قابعون وراء الأبواب، وبشكل لافت تماماً، لان حاخامات اليهود، لا يضعون على موائدهم خرائط نهائية، لاعتقادهم انهم سينتقلون من وعيهم الصغير إلى وعيهم الكبير، لأن التوراة تؤكد على إحاطة غير اليهودي بالمقابر!

ماذا يقول العربي للعربي.. مع ان هذا السؤال، لا يضيف اي شيء لا للتاريخ، ولا الجغرافيا، وإنه فقط يتمحور حول إلغاء أحدهم الآخر، وكأن الزلازل المحيطة بتراب العرب، مصنوعة من المخمل!

كيف تلعب الأشباح إذن، ونردّد في كل لحظة، أن التاريخ الذي لا يتعذّب، هو تاريخ يليق بالحمقى فقط.

كم يبدو المشهد العربي بكل ما يمتلك من خيال، حين يلتقي من يحتضن العذاب من أجل العذاب.

السؤال هنا: مَن مِن السياسيين العرب قرأ « فرنسيس فوكوياما « واقتنع أن الكراهية الأمريكية حتى ضمنيّاً تؤكّد على العربي الإرهابي، وتحتضن الأيديولوجيا، لتفكيك ما تبقّى لدينا من خيال، أو جذوات هي أصلاً رديفنا البنيويّ، وإننا لسنا أبناء النصوص التي وقفت يوماً ما على صهوات الأطلال.

قد يستسيغ الخيال العربي لعبة المرايا، وأن يكون ضدّ الوثنية السياسية، وإن الخطيئة ليست مركّباً ثابتاً في ذات الإنسان العربي، وإنه يستطرد في شاعريته، وإبداعاته، حين يكون الطحين وقد صار يتسلّق أعمدة الكهرباء، ويحاول أن يقتنع أن فلسفته لا تتعارض أبداً مع تحديث وعيه، وإن الحرية مثل أبناء المستنقعات تربّي نفسها بنفسها؛ عند ذلك نشاهد وعينا الضائع، وهو يحاول تفجير نفسه في الزمن.

كم قاسية الحرية أمام الخيال، لأن أصلها أي الحرية، إنما انتماء للعقل البشري، لا الفجيعة البشرية، ولأننا نحن العرب، أبناء الفجيعة، لا ضير اطلاقاً ان يكون الآخر يفكّر في إعادة انتاجنا بالشكل الذي يريد.

أخاف على الدم العربي أن يصدأ، وأخاف أن يتقيّأه الخيال، وأيضاً أخاف أن تذهب دموعنا إلى ما هو أبعد بكثير، سيّما وإن وعينا لا خوف عليه، لأنه مهدّد بالإبادة، بل لأنه اكّد قطيعته مع أصابعنا الضائعة، ومع الصفقات الضائعة.

اقول بصراحة: نحن لا نستطيع الاختيار، كل ما نستطيع فعله، أننا نفكّر في لحظة الإقصاء، وكيف تكون بلورتها أمام لحظة الاختيار، حيث لم نقف ولا مرّة بجانب لحظة الوعي.. فشذّتنا الغيبوبة إلى حضنها لئلّا ندخل زمن الاستثناء، أو في الزمن الذي قرأ عن الاستثناء.

هل اقترب الخيال العربي من الانفجار؟ يبدو أنه يريد العثور على أفق في هذه التراجيديا، ليأكل نفسه بسبب تكريس مأساته قدّأم اللهاث؛ خصوصاً وإن هشاشته، قد تصدّعت أيضاً.. واللمسات الأيديولوجية قد أفرغت محتواه، واستعاض عن هزيمته بتحوّله إلى شظايا، قد تستقرّ في اللاوجود والله أعلم!

البكاء العربي لا يزال رائعاً، ويتكوّر على نفسه داخل الوجوه المطرّزة بالغبن، ولا أحد يدري ما إذا كان حفّار القبور، قد تحوّل بكل ما يمتلك من تقنية في استقبال الجثث، ليظل بعيداً عن الخيال الجّاف، ويعلن بأقلّ كمية من الدموع، مداعبة جثته حتى لا يسقط في هذا الخيال، وهو يؤدّي دوره خارج العالم.

قال لي أحدهم: ليس من الضروري أن يكون خيال العربي حقيقياً، أو حتى ممكناً، لأن المجهول، لا يستطيع أن ينام، كونه بلا تاريخ، أو إنه انطوى على نفسه وبات على علاقة حميمية مع الفشل. ويبدو أن لدينا قابلية رائعة أن نعيش بلا خيال، وبذلك تكون ذاكرة العربي قد آلت إلى الانقراض، بل شارفت على نهايتها، وإنها أخذت قرارها تلقائياً بالانتحار!

هل حقاً أننا فقدنا القدرة على استعمال الخيال؟ وهل هناك حيطان تقف بيننا وبينه، ونتعامل معه بمكبرات الصوت، وهل خيال العربي يخضع إلى الآن لعملية جراحية تعيد كيانه ولو مشلولاً، لربما يصير له ما يشبه الهيكل، ويستعيد ما انكسر منه، ويستعيد وضوحه ولو في الحلم؟

قد تنتفي عملية الإبداع حين يترعرع الخيال أمام الأيدي الخشنة، وإنه صار هشّاً مثل قطعة الاسفنج، وعليه امتصاص كلّ الضربات، حتى ضربات المطارق البلهاء!

الخيال العربي، ليس إلّا قطعة من الندم بنكهة المطلق، والمطلوب منه، أن يتكيّف مع واقعه فقط، وهذا هو المطلوب.

إنها الوسيلة الوحيدة لجعل قوّة الموت، أكثر فاعلية من قوّة الحياة، وبهذه الحالة، لن يمتلك « هذا « الخيال الميت، القدرة على الموت!

يقول آخر: المهم أن لا يعود الخيال، كعودة المحطّمين وأيضاً أن لا يأكل نفسه بحثاً عن كيانه الفلسفي، أو يستعمله الآخر كمادة واقية لتجفيف ما تبقّى «لدينا» من خطواتنا الساخنة.

لا أحد يتنبّأ بمستقبل الخيال العربي، والمجهول يضغط بكل قوته على أكتافنا، وإن المطلوب.. هو إعادة تشكيله لأي شكل، بل إعادة إنتاجه، كي لا يحطّم بعضه البعض!

الخيال العربي، زلزال من المخمل

عَقدَ صفقة مفتوحة مع العدم!

فلسطين بين سرديّتَين سردية الوهم وسردية الحقيقة

د. ثائر يوسف عودة ـ ناقد وأستاذ جامعي

بعد ستٍ وسبعين سنة على وقوع كارثة النكبة الكبرى في فلسطين 1948، لم تخرج السردية الصهيونية عن حدود الحكايات التي قيّدت نفسها بها، والجدار العازل (الغيتو) الذي أحاط بمفردات هذه السردية حول فلسطين المتخيّلة الافتراضية، والآخر المختلف المخرِّب الذي لا يستحق الحياة، ولم تغادر تلك السردية منظومة الأفكار والقيم المشتهاة التي تبحث عن الصهيوني الذي يجب أن يكون لا الصهيوني الموجود فعلاً.

وفي المقابل فإنّ المبدع الفلسطيني والعربي شعر بأنه ملزمٌ بإنتاج سردية مقابلة ومناهضة لتلك التي أنتجها الكتّاب الصهاينة؛ فاختارت السرديات العربية والفلسطينية موضوعة فلسطين بشكل جزئي أو كلي لإثبات الحقّ التاريخي بعيداً عن أكاذيب الصهيونية وأوهامها، واحتضنت تلك السردية فلسطينياً يختلف من منفى إلى آخر ويُهجّر لكنه في النهاية يعود إلى وطنه بأيّ طريقة كانت روحاً أو جسداً يدفعه إيمان راسخ بأنّ هذه الأرض أرضه والمقدس المسيحي فيها يهمّ المسلم والمقدّس المسلم يعدّه المسيحي جزءاً من ثقافته ومن هويته.

سردية الوهم:

منذ أن نشر مؤسس الحركة الصهيونية تيودور هرتزل روايته الطوباوية الافتراضية «أرض قديمة جديدة عام 1902» لم تتغيّر السرديات الصهيونية كثيراً، وإن التفتَ بعضُ كتّابها إلى رصد التحولات في الواقع الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع الصهيوني الجديد وتصويره بعد مرور أكثر من عشرين سنة على سرقة فلسطين، إلا أنّ تصوّر «هرتزل» لفلسطين في العقل الجمعي الصهيوني «أرض جدباء قاحلة تفوح منها رائحة الفقر والتخلّف» وبأنها سوف تتحوّل إلى كلّ معاني التقدم والحياة الحديثة بقدوم اليهودي المتكاتف والمتحالف مع المسيحية الأوروبية، بقيَ هو الطاغي على السردية الصهيونية في مجملها وعصبها المحرّك، لقد كانت دعوة «هرتزل» في روايته دعوة سياسية بحتة، لا تحمل الطابع الفني بقدر ما تحمل دعوة لليهود في العالم للذهاب إلى فلسطين، وقد أقرَّ هو نفسه بذلك، بعدما اعتزل الكتابة الأدبية فيما بعد، واتجه لإنشاء المنظمة الصهيونية، وعقد أول مؤتمر للصهيونية في مدينة «بال» السويسرية عام 1897.

كما أنّ اللغة العبرية كانت من الأسس التي بُنيت عليها فكرة الكيان الصهيوني، والخيط الذي تمكّن اليهود من تمريره فيما بينهم ليتفقوا أخيراً على فكرة الوطن القومي؛ فقد كانت اللغة العبرية بعد القرن التاسع الميلادي لغة الصلوات الدينية عند اليهود، لكنها تحوّلت في القرن الثامن عشر، إلى لغة سياسية تجمع اليهود على فكرة التجمّع في مكان واحد وإقامة دولة يهودية، تلك اللغة التي قال عنها بن غوريون «كانت لغة غير متكلّمة، تعيش في القلوب»؛ وبالتالي فإنّ الصهيونية الأدبية كان لها الأسبقية على الصهيونية السياسية، التي استخدمت فيما بعد الأدب من أجل تحقيق أهدافها في الوجود والسيطرة على الأرض الفلسطينية، كما يرى الأديب الفلسطيني الشهيد غسان كنفاني في كتابه «الأدب الصهيوني»، إذ يقول «ربما كانت تجربة الأدب الصهيوني هي التجربة الأولى من نوعها في التاريخ حيث يستخدم الفن في جميع أشكاله ومستوياته للقيام بأكبر وأوسع عملية تضليل وتزوير تتأتى عنها نتائج في منتهى الخطورة».

وقد اعتمدت السردية الصهيونية، سياسة التضليل الثقافي والادّعاء والتدليس، وقلب الحقائق، واستجداء العاطفة العالمية، من خلال روايات أدبية كثيرة، جاءت ممهّدة لفكرة الدولة الغاصبة، ومسوّقة للمعاناة التي طالت اليهود في أوروبا عبر التاريخ، فاشتغلت هذه السردية على هدف محدد وهو تصنيف اليهودي بأنه الأحقّ بالأرض، من خلال مسوّغات واهية، قائمة على التزييف، واجترار الخزعبلات من الخيال، وكان مرادهم من هذا «السيرك الأدبي» إقناع العالم بأنّ العربي لا يستحق الوجود على هذه الأرض، من خلال إيراد قناعات غير عقلانية حوله، فلم يكتفِ الكاتب الأيرلندي فرانك أوكنور -على سبيل التمثيل لا الحصر- عند التمهيد لقدرة اليهودي على صناعة الجَمال، واستثمار الأرض، ففي

روايته «نجمة في الريح»، بدا مدهوشاً، كما أورد غسان كنفاني، من الجمال الذي تمكّن القليل من اليهود من صناعته في الأرض الفلسطينية، إذ كتب «سمعتُ أنّ اليهود في فلسطين، جعلوا الصحاري تتفتح كالورود»، والغريب أنّ روايته هذه كانت قائمة على السماع لا أكثر! عند هذه اللحظة التاريخية بالذات، أدرك قادة الصهاينة في وقت مبكر أنه لم يكن كافياً كسب الصراعات الحربية والقتل والمجازر، بل كان عليهم، أيضاً، كسب صراع الروايات «السرديات» التي أثبتت في الماضي أنّ لها تأثيراً أكبر على مسار التاريخ البشري.

سردية الحقيقة:

في مقابل ذلك التخريف و»السرك الأدبي» في السردية الصهيونية، صار لزاماً على الفلسطيني أن يثبت روايته ويعيدها إلى الأجيال المتعاقبة، وأن ينقل الحكايات والقصص المتوارثة من سردية شفوية مسموعة إلى سردية مكتوبة تكمن أهميتها في حقيقتها، وفي أنها قائمة على البناء التاريخي لهذه الأرض الذي يمتدّ لآلاف السنين، وليس سرداً عن أوهام وأساطير تاريخية، بل تأكيداً لحقّ الفلسطيني في أرضه، ودحض السردية الصهيونية، خاصة في ظلّ التطبيع الذي يقوم به الاحتلال ويروّج له عبر الأجيال الصغيرة بأنّ لليهود إرثاً سياسياً وتاريخياً في أرض فلسطين.

إنّ أيّ نصّ كتبه ويكتبه الفلسطيني عن عالمه وحياته بكلّ تفاصيلها من عاديّها إلى غريبها ومن خاصّها إلى عامّها، هو في حقيقته حفظٌ لما يرد فيه من عناصر تُشكّل مع الزمن الذاكرة الفلسطينية، ومجمل وعي الفلسطينيين محمول ومنقول في المتداول الشفهي من حكاياتهم وأخبارهم، وفي النصّ المكتوب الذي تعرّض طويلاً لمحاولات المحو والمصادرة، وهذا ما يجعل أيّ نصّ مكتوب حفظاً لعناصر الذاكرة وإبرازاً لها، بدءاً من العناصر المادية مثل أسماء الأماكن والأشياء، وصولاً للأحداث العامة والمشاعر الجمعيّة، وهو مشغولٌ بسؤال الذاكرة وسؤال التاريخ، ويحاول أن يُقدّم إسهاماً فيهما، بوعي من الكاتب أو من دونه، وفي سرد أبعادها من الزمان والمكان والحدث والشخصيات، وتزداد أهمية هذه النصوص عندما تحترف صياغة ما تعتمره ذاكرة الإنسان وطبيعة علاقته بالمكان، بل وأكثر من ذلك حينما تتحول إلى وثيقة تسجيلية تتميز بالسلاسة والخروج عن الأطر الجامدة في توثيق الذاكرة التاريخية، وتحتلّ الرواية الفلسطينية حيزاً مهماً بالحفاظ على الذاكرة الجمعية الموحدة، وذلك لقدرتها على استعراض الأحداث المفصلية في حياة الشعب الفلسطيني ومسيرته في المعاناة والكفاح والإنجاز، كما أنّ كثيراً من تلك الروايات أعادت إظهار الكثير من معالم الذاكرة الاجتماعية والسياسية والثقافية والتراثية عبر توليفة سردية سلسة جذبت اهتمام المعنيين من الثقافات الأخرى.

إنّ السردية الفلسطينية بخلاف السردية الصهيونية تحفل بشخصية الآخر النقيض المجرم، لذلك اعتنت بفضح السردية الصهيونية التي زوّرت التاريخ والآثار والأماكن وحاولت إيجاد سردية مضادة لتلك السردية التي أنتجت مئات الروايات التي تدّعي أنّ هذه الأرض توراتية وخاصة مدينة القدس، وقد وضعت سرديات معظم الكتّاب الصهاينة أسساً وقواعد لإثبات حقّ تاريخي لها في فلسطين، إلا أنّ هذه السردية كانت افتراضية تستند إلى الخيال والوهم أكثر من الواقع، أما السردية الفلسطينية فوثّقت المكان الحقيقي والبشر الذين عاشوا فوق هذه الأرض منذ آلاف السنين فكتبوا سيرتهم وسيرة شعب بأكمله.

على سبيل التمثيل لا الحصر، حين نحلّل سيرة الأديب الكبير جبرا إبراهيم جبرا «البئر الأولى» بالتحديد وهو يتحدث عن مكان ولادته الأولى في بيت لحم ومدينة القدس والبئر التي نهل منها نرى أنه يرسم صوراً لبشر حقيقيين ولم يكن أسير صورة مثالية أو نموذجية وهمية غير حقيقية، فقد ولدَ من رحم هذه الأرض وقد غدت الزمان والمكان وحركة التاريخ.

وكذلك فعل الناقد والباحث الكبير إحسان عباس في سيرته «غربة الراعي» التي تحدث فيها عن طفولته، وأسرته، ودراسته، وعمله وغير ذلك، وركّز على جزئية محدّدة وهي العلاقة بين الفرد والجماعة من ناحية، وبين الأدب والتاريخ من ناحية أخرى وبخاصة أنّ الكاتب عاش النكبة شاباً وشيخاً، ثم انتقل إلى المنفى في العواصم العربية، فكان مثالاً حيّاً لحياة الشعب الفلسطيني الذي هُجّر من أرضه، واضطر إلى حياة الاغتراب، حاله في ذلك حال الرعاة الذين يضربون في الأرض غرباء، وظلّ الإحساس بالغربة يرافقه حتى آخر العمر، فتنتقل «غربة الراعي» على صعيد المكان بين فضاءات متعددة في فلسطين وفي بعض عواصم الأقطار العربية، فهي تبدأ من عين غزال، وتمرّ بحيفا وعكا والقدس وصفد، وتتنقل بين القاهرة والخرطوم وبيروت وعمان وغيرها، وعلى الرغم من كون التحولات الشخصية في السيرة مرتبطة بالتحولات المكانية، إلا أنها لا تنبثق عنها بالضرورة. فقد سعت «غربة الراعي» إلى تشييد فضاء متماسك، لأنّ عنوانها بما ينطوي عليه من دلالات فلسفية وشعرية، يوحّد مسارات تلك الأمكنة نحو بؤرة بعينها، ويجعلها بما تنطوي عليه من تحولات تشير إلى الحضور القوي لذلك المكان الغائب الذي تنهي العودة إليه غربة ذلك الراعي.

أما الناقد والمنظّر الكبير يوسف سامي اليوسف فإنه في رباعيته (تلك الأيام) يكرّس الجزء الأول منها للحديث عن طفولته في قريته الوادعة، ويسرد فيه عن أحداث نكبة 1948 حيث كان عمره حوالي عشر سنوات وتحدّث عن السقوط القاسي لبلدته الجميلة (لوبية) عروس طبرية، بالإضافة إلى تشريح عميق للصهيونية وعلاقاتها بالعرب والغرب بأسلوب ممتع وعميق، وقراءة عميقة للتاريخ الفلسطيني القديم والمعاصر، كما أعلن اليوسف في مقدمة الجزء الرابع: «ظهرت الأجزاء الثلاثة الأولى من هذا الكتاب الذي أحاول من خلاله أن أشهد على زمني أو أن أرسم له صورة ناجية من كلّ زيف أو تزوير».

ما أخبرنا ويخبرنا به كلّ سارد فلسطيني يكرّس مقاومة هذا الشعب الذي قاوم منذ أن كان الاستيطان مجرد فكرة، وكلّ فلسطيني كتبَ ودوّنَ ما حدث في زمنه وما عانى منه شعبه أصبح الآن مؤرّخاً عظيماً؛ لأنه وثّق حقيقة بدت عصية على التصديق، وكلّ السرديات التي كُتبت وستُكتَب تحرم العدو من أن يمارس محوه ضد الذاكرة الفلسطينية، والسؤال المورّق الذي تحاول أن تجيب عنه السردية الفلسطينية هو إذا لم نكتب فما مصير الحكايات التي لا نكتبها؟ هل تصبح مُلكاً لأعدائنا؟! لقد آمنت السردية الفلسطينية بأنها تكتب عن أرض باركتها السماء وبأنّ الأرض المباركة تورّث صفاتها إلى أبنائها وبسبب هذا الميراث من الإيمان تنصر الأرض أبناءها وتدافع عنهم وعن ذاتها في آن، وما يقوم به أهل هذه الأرض اليوم في طوفان الأقصى ومواجهة العنف الصهيوني المطلق السراح في فلسطين كلها إلا برهان على تجذّر الفلسطيني وصموده الذي صورته السردية الفلسطينية.

وراء كل نكبة مخيم

مروان عبد العال

روائيٌ وعضو المكتب السياسيّ للجبهة الشعبيّة لتحرير فلسطين

ينتمي المخيم إلى تاريخ النكبة، إبنٌ مِن أبنائها وحفيد من أحفادها، كل مخلوق في المخيم ، كائن من كائنات النكبة، أينما وجدت نكبة ستجد مقابلها مخيم، ووراء كل نكبة مخيم ، كلما تقادمت النكبة صار المخيم بلا حدود وبلا أشرعة، وكلما ارتفعت أعداد الخيام، ستعرف أن نكبة كبيرة قد وقعت، وكلما ازدحمت الخرائط والتصميمات وأدوات انتاج الحروب، وهيئات الإغاثة ومراكز توزيع الطعام، ستدرك أنها سياسة غربية زاحفة تتهدد هوية المخيم، لتغيير وجهته أو نسف مضمونه أو لتخترع مسمى جديد له، وسيثير غضب السادة كلما نمى وانتشر وتكاثر مع استمرار النكبة، وأنه مصمم أن لا يزول إلا بزوالها، يرى نفسه عالم مؤقت ووطن افتراضي أو فضاء الاستثناء كما وصفه جورجيو اغامبين،لأنه ليس عاديا كسائر العالم او شيء مفتعل لهدف انساني ,يرمز للمكان المحاذي للوطن ، إنه غريب ليس بوطن و توطين ولا من يحزنون.

المخيم الذي أنجبته النكبة، كائن غريب في حالة وطن متخيّل، الفكرة ونقيضها معاً ! مألوف وخارج النظام أصلاً، ويتهم أنه خارج القانون، المخيم فضيحة النكبة ، صورة من عار الهزيمة وشكل من الحياة العارية والمقفلة في ذات الوقت.

كم تداول البعض اسم المخيم كتهمة، وألقيت على ابن المخيم كما تم تحميل النكبة على ابن النكبة، ومسؤولية الفلسطيني على نكبته، حتى بدأ الهجوم على مصطلح النكبة، ومحاولة تجريم استخدام هذا المصطلح، والقصد هو فصل القضية الإنسانية عن عمقها السياسي والهوياتي!

أن تطلق على ابن المخيم العائد أو الثائر أو الفدائي، أسماء مستحبة لكنها بلغة الأعداء تعني "إرهابي"! كما تعبير اللاجئ صفة سلبية عن إنسان ناقص يحتاج لإعالة، ليظل المخيم هو المكان المحاذي والمتورط في الأشياء، والمحاذي أو (نيوترال سوفي) لأن الحياد يعني اللاتعريف واللاتوصيف وصراحة اللاهوية، والحياد الجغرافي يعني فضاء خارج المكان أو اللامكان، فهو وجود قسري نتيجة تطهير عرقي، لوجود لمجموعات بشرية بيوسياسية أي يصبح كائن سياسي وعضوياً، حتى لو لم يكن منخرطا في السياسة لكنه موضوعها.

المخيم ضحية مستدامة طالما لم يتغير وضعه، ولأنه يعيش في (غيتو) لذلك غالبًا ما يجد نفسه صاحب حق، يعاند ثقافة الكراهية والإنعزال بأن تجعل منه صاحب سوابق، ومثير للشبهات وغير مرغوب فيه، كمختبر للممارسات السياسية، ومعيار لما حصل من ردود فعل على جريمة العصر التي لم يكن ضحيتها الجيل الأول عام 1948 فحسب، بل أترابهم من اللاجئين، كالذي يجري الآن، وبتواطؤ رجعي عربي ودولي استعماري في إبادة شعب و إقامة كيان لقيط مكانه.

إن كان المخيم هو النتيجة فإن النكبة هي السبب لو لم يكن الاقتلاع والتشريد والتطهير واحتلال وطن لما كان المخيم أصلًا، هو رمز الصراع وأصله، فاللجوء لم يعد مسألة حصرية للفلسطينين وحدهم أو حتى لجيل واحد من الفلسطينيين، فلا يوجد ذاكرة فلسطينية يمكنها أن تتحرر من سردية النكبة، وتصفية الوجود الفلسطيني بالمعنى الفيزيائي للكلمة لم يتوقف عند جيل واحد فحسب، إنما عابرة للأعمار وطالت الأجيال الفلسطينية كافة زمانياً ومكانيًا، وإن كانت الهولوكوست جرت لمرة واحدة فقط ولكن يمارس بحق شعب آخر و"غيتو وارسو" مازال مستمراً بأسماء أخرى ولكن "غيتو غزة".

انكشفت طبيعة صنّاع النكبة وقادتها ورعاتها ومشجعيها لتستمر آلة الفتك بالقضاء على السكان الأصليين أمام أعين العالم، وتجريد الفلسطينيين من إنسانيتهم قبل حقوقهم.

الهدف AL-HADAF
كل الحقيقة للجماهير
فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية